

## الجزء الثالث

### بسم الله الرحمن الرحيم

#### فاتحة

#### استنشاط القارئ ببعض الهزل

وإن كنا قد أمَلْنَاكَ بِالْجِدِّ وبالاحتجاجاتِ الصحيحة والمرَّوِّجة؛ لتكثر الخواطر، وتشحذَ العقول - فإنا سننشِطُكَ ببعض البَطالات، وبذكر العللِ الظَّريفة، والاحتجاجاتِ الغريبة؛ فربَّ شعْرٍ يبلُغُ بفَرْطِ غباوةِ صاحبه من السرور والضحك والاستطراف، ما لا يبلغه حشدُ أحرَّ النـ\_\_\_\_\_وادر، وأجمَ\_\_\_\_\_ع المع\_\_\_\_\_اني.

وأنا أستظرفُ أمرين استظرافاً شديداً: أحدهما استماعُ حديثِ الأعراب، والأمرُ الآخرُ احتجاجُ متنازِعَيْنِ في الكلام، وهما لا يحسنانِ منه شيئاً؛ فإنَّهما يُثيرانِ من عَرِيبِ الطَّيِّبِ ما يُضحِكُ كلَّ تَكُلَّانٍ وإن تشدَّد، وكلَّ غضبانٍ وإن أحرَقَه لهيبُ الغَضَبِ، ولو أنَّ ذلك لا يحلُّ لكان في باب اللُّهُو والضحكِ والسُّرورِ والبَطالةِ والتشاغُلِ، ما يجوز في كلِّ فن.

وسنذكر من هذا الشكل عِللاً، وُورِدُ عليك من احتجاجات الأغبياءِ  
حُجَجاً، فإنْ كنتَ ممَّن يستعمل المِلاَلَةَ، وتَعَجَّل إليه السَّامة، كان هذا  
البابُ تنشيطاً لقلْبِكَ، وجماماً لِقوَّتِكَ، ولنبتدئ النَّظَرَ في باب الحمام  
وقد ذهب عنك الكلالُ وحدثَ النشاطُ.

وإن كنتَ صاحبَ علمٍ وِجْدٍ، وكنتَ ممرَّناً موفِّحاً، وكنتَ إلفَ تفكيرٍ  
وتنقييرٍ، ودراسةٍ كَثْبٍ، وحِلْفَ تَبْيِينٍ، وكان ذلك عادة لك لم يضرَّكَ  
مكانه من الكتابِ، وتخطَّيه إلى ما هو أولى بك، ضرورة التنويع في  
التأليف وعلى أتبي قد عزمْتُ - واللَّهُ الموفِّقُ - أتبي أوشح هذا الكتابَ  
وأفصلُ أبوابه، بنوادِرٍ من ضُروبِ الشُّعرِ، وضروبِ الأحاديثِ، ليخرج  
قارئُ هذا الكتابِ من باب إلى باب، ومن شكل إلى شكل؛ فإتبي رأيتُ  
الأسماعَ تملُّ الأصواتِ المطرِبَةَ والأغانيَّ الحسنة والأوتارَ القصيحة،  
إذا طال ذلك عليها، وما ذلك إلاَّ في طريق الراحة، التي إذا طالت  
أورثت الغفلة.

وإذا كانت الأوائِلُ قد سارَتْ في صغارِ الكتبِ هذه السَّيرة، كان هذا

التَّديبُ لِمَا طَالَ وَكثُرَ أَصْلَحُ، وَمَا غَايَتَنَا مِنْ ذَلِكَ كُلِّهِ إِلَّا أَنْ تَسْتَفِيدُوا  
خَيْرًا.

وقال أبو الدرداء: إِنِّي لِأَجْمُ نَفْسِي بِنَعْضِ الْبَاطِلِ، كَرَاهَةً أَنْ أَحْمِلَ  
عَلَيْهَا مِنَ الْحَقِّ مَا يَمْلُئُهَا!.

### ادِّعَاءُ عَبْدِ اللَّهِ الْكَرْخِيِّ الْفَقْهِ

فَمِنَ الْاِحْتِجَاجَاتِ الطَّيِّبَةِ، وَمِنَ الْعِلَلِ الْمَلْهِيَةِ، مَا حَدَّثَنِي بِهِ ابْنُ  
الْمَدِينِيِّ قَالَ: تَحَوَّلَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ الْكَرْخِيُّ اللَّحْيَانِيُّ إِلَى الْحَرْبِيَّةِ  
فَادَّعَى أَنَّهُ فَاقِيهِ، وَظَنَّ أَنَّ ذَلِكَ يَجُوزُ لَهُ؛ لِمَكَانِ لِحْيَتِهِ قَالَ: فَأَلْقَى عَلَيَّ  
بَابَ دَارِهِ الْبُورِيَّ، وَجَلَسَ وَجَلَسَ إِلَيْهِ بَعْضُ الْجِيرَانِ، فَأَتَاهُ رَجُلٌ  
فَقَالَ: يَا أَبَا عَبْدِ اللَّهِ رَجُلٌ أَدْخَلَ إِصْبَعَهُ فِي أَنْفِهِ فَخَرَجَ عَلَيْهَا دَمٌ، أَيُّ  
شَيْءٍ يَصْنَعُ؟ قَالَ: يَحْتَجِمُ، قَالَ: قَعَدْتَ طَبِيبًا أَوْ قَعَدْتَ فَاقِيهَا؟

### جَوَابُ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ الْمَرْوَزِيِّ

وَحَدَّثَنِي شَمْعُونُ الطَّبِيبُ قَالَ: كُنْتُ يَوْمًا عِنْدَ ذِي الْيَمِينِ طَاهِرِ بْنِ  
الْحُسَيْنِ فَدَخَلَ عَلَيْهِ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ الْمَرْوَزِيُّ فَقَالَ طَاهِرٌ: يَا أَبَا عَبْدِ اللَّهِ

مَدْ كَمْ دَخَلْتَ الْعِرَاقَ؟ قَالَ: مِنْذِ عِشْرِينَ سَنَةً، وَأَنَا صَائِمٌ مِنْذِ ثَلَاثِينَ سَنَةً، قَالَ: يَا أَبَا عَبْدِ اللَّهِ، سَأَلْنَاكَ عَنْ مَسْأَلَةٍ فَأَجَبْتَنَا عَنْ مَسْأَلَتَيْنِ

### جواب شيخ كندي

وَحَدَّثَنِي أَبُو الْجَهَّاجِ قَالَ: ادَّعَى شَيْخٌ عِنْدَنَا أَنَّهُ مِنْ كِنْدَةٍ، قَبْلَ أَنْ يَنْظُرَ فِي شَيْءٍ مِنْ نَسَبِ كِنْدَةٍ، فَقُلْتُ لَهُ يَوْمًا وَهُوَ عِنْدِي: مِمَّنْ أَنْتَ يَا أَبَا فَلَانٍ؟ قَالَ: مِنْ كِنْدَةٍ، قُلْتُ: مَنْ أَيُّهُمْ أَنْتَ؟ قَالَ: لَيْسَ هَذَا مَوْضِعَ هَذَا الْكَلَامِ، عَافَاكَ اللَّهُ.

### جواب حَتْنِ أَبِي بَكْرٍ بَرِيرَةَ

وَدَخَلْتُ عَلَى حَتْنِ أَبِي بَكْرٍ بَرِيرَةَ، وَكَانَ شَيْخًا يَنْتَحِلُ قَوْلَ الْإِبَاضِيَّةِ، فَسَمِعْتُهُ يَقُولُ: الْعَجْبُ مِمَّنْ يَأْخُذُ النَّوْمَ وَهُوَ لَا يَزْعُمُ أَنَّ الْإِسْتِطَاعَةَ مَعَ الْفِعْلِ قُلْتُ: مَا الدَّلِيلُ عَلَى ذَلِكَ؟ قَالَ: الْأَشْعَارُ الصَّحِيحَةُ، قُلْتُ: مِثْلُ مَاذَا؟ قَالَ: مِثْلُ قَوْلِهِ:

يَقَعَنَّ الْأَرْضَ إِلَّا وَفَقَا

ومثل قوله:

شَتَّى وَيَقَعْنَ وَفَقَا

ومثل قولهم في المثل: وَقَعَا كَعَكْمَيْ عِيْر.

وكقوله أيضاً:

مِقَرٌّ مُقْبِلٍ مُدْبِرٍ مَعَا كَجُلْمُودٍ صَخْرٍ حَطَّه السَّيْلُ مِنْ عَلِي

وكقوله:

يدي عن أن تمسَّ أكفهم إذا نحنُ أهوينا وحاجتنا مَعًا  
ثم أقبل عليَّ فقال: أما في هذا مقنع؟ قلت: بلى، وفي دون هذا!

### جواب هشام بن الحكم

وذكر محمد بن سلام عن أبان بن عثمان قال: قال رجلٌ من أهل الكوفة لهشام ابن الحكم: أترى الله عزَّ وجلَّ في عدله وفضله كلَّفنا ما لا نطيعُ ثمَّ يعدُّبنا؟ قال: قد والله فعل، وكنا لا نستطيع أن نتكلم به.

### سؤال ممرور لأبي يوسف القاضي

وحدَّثني محمد بن الصباح قال: بينا أبو يوسف القاضي يسيِّرُ بظَهْر الكوفة - وذلك بعد أن كتبَ كتابَ الحَيْل - إذ عرضَ له ممرورٌ عندنا أطيّب الخلق، فقال له: يا أبا يوسف، قد أحسنتَ في كتاب الحيل، وقد بقيتُ عليكَ مسائلٌ في الفِطن، فإنْ أذنتَ لي سألتك عنها، قال: قد أذنتُ لكَ فَسَلْ، قال: أخبرني عن الجِرِّ كافرٌ هو أو مؤمن؟ فقال أبو يوسف: دينُ الحرِّ دينُ المرأةِ ودينُ صاحبةِ الجِرِّ: إن كانت كافرةً فهو كافر، وإن كانت مؤمنةً فهو مؤمن، قال: ما صنعتَ شيئاً، قال: فقل أنتِ إِدْنُ؛ إذ لم ترضِ بقولي، فقال: الجِرُّ كافر، قال: وكيف

علمت ذلك؟ قال لأنَّ المرأة إذا ركعت أو سجّدت استدبر الحُرَّ القبلة واستقبلت هي القبلة، ولو كان ديُّه دينَ المرأة لصنع كما تصنع، هذه واحدة يا أبا يوسف، قال: صدقت. قال: فتأذن لي في أخرى؟ قال: نعم، قال: أخبرني عنك إذا أتيت صحراءً فهجمت على بول وخراء كيف تعرف أبول امرأة هو أم بول رجل؟ قال: والله ما أدري قال أجل والله ما تدري قال: أفتعرف أنت ذاك؟ قال: نعم، إذا رأيت البول قد سال على الخراء وبين يديه فهو بول امرأة، وخراء امرأة، وإذا رأيت البول بعيداً من الخراء فهو بول رجل وخراء رجل، قال: صدقت. قال: وحكى لي جوابَ مسائلٍ فنسيت منها مسألة، فعاودته فإذا هو لا يحفظها.

### جواب الحجاج العبسي

وحدّثني أيُّوب الأعور، قال قائل للحجاج العبسي: ما بال شعر الاسْتِ إذا نبت أسرع والتفّ؟ قال: لقربه من السَّماد والماء هطل عليه .

### جواب نوفل عريف الكناسين

وحدَّثني محمَّد بن حَسَّان قال: وقفتُ على نوفلٍ عَرِيفِ الكَنَّاسين،  
وَإِذَا مُوسُوسٌ قَدْ وَقَفَ عَلَيْهِ، وَعِنْدَهُ كُلُّ كَنَّاسٍ بِالكَرْخِ، فَقَالَ لَهُ  
الموسوس: ما بال بنتِ وردانِ تدعُ قعرَ البئرِ وفيه كُفْرٌ خِراءٌ وهو لها  
مُسَلَّمٌ وعليها موفرٌ، وتجيءُ تطلبُ اللُّطَاخَةَ التي في استِ أحدنا وهو  
قاعِدٌ على المَقْعَدَةِ، فتلزمُ نفسها الكُلْفَةَ الغليظة، وتتعرَّضُ للقتلِ،  
وَإِنَّمَا هَذَا الَّذِي فِي أَسْتَاهُنَا قِيرَاطٌ مِنْ ذَلِكَ الْمَدْرَهَمِ، وَقَدْ دَفَعْنَا إِلَيْهَا  
الدَّرَهَمَ وَافِيًّا وَافِرًا، قَالَ: فَضَحَكَ الْقَوْمُ، فَحَرَّكَ نَوْفَلٌ رَأْسَهُ ثُمَّ قَالَ:  
أَتَضْحَكُونَ؟ قَدْ وَاللَّهِ سَأَلَ الرَّجُلُ فَأَجِيبُوا وَأَمَّا أَنَا فَقَدْ - وَاللَّهِ - فَكَّرْتُ  
فِيهَا مِنْذُ سِتِّينَ سَنَةً، وَلَكِنَّكُمْ لَا تَنْظُرُونَ فِي شَيْءٍ مِنْ أَمْرِ صَنَاعَتِكُمْ،  
لَا جَرَمَ أَنْتُمْ لَا تَرْتَفِعُونَ أَبَدًا قَالَ لَهُ الموسوس: قُلْ - يَرْحَمُكَ اللَّهُ -  
فَأَنْتَ زَعِيمُ الْقَوْمِ، فَقَالَ نَوْفَلٌ: قَدْ عَلِمْنَا أَنَّ الرُّطْبَ أَطْيَبُ مِنَ التَّمْرِ،  
وَالْحَدِيثَ أَطْرَفٌ مِنَ الْعَتِيقِ، وَالشَّيْءَ مِنْ مَعْدِنِهِ أَطْيَبُ، وَالْفَاكِهَةَ مِنْ  
أَشْجَارِهَا أَطْرَفٌ، قَالَ: فَغَضِبَ شَرِيكُهُ مَسْبُحَ الكَنَّاسِ ثُمَّ قَالَ: وَاللَّهِ  
لَقَدْ وَبَّخْتَنَا، وَهَوَّلَتْ عَلَيْنَا، حَتَّى ظَنَّنَّا أَنَّكَ سَتُجِيبُ بِجَوَابٍ لَا يَحْسُنُهُ  
أَحَدٌ، مَا الْأَمْرُ عِنْدَنَا وَعِنْدَ أَصْحَابِنَا هَكَذَا، قَالَ: فَقَالَ لَنَا الموسوس: مَا  
الْجَوَابُ عَافَاكُمْ اللَّهُ، فَإِنِّي مَا نَمْتُ الْبَارِحَةَ مِنَ الْفِكْرَةِ فِي هَذِهِ  
الْمَسْأَلَةِ؟ قَالَ مَسْبُحٌ: لَوْ أَنَّ لِرَجُلٍ أَلْفَ جَارِيَةٍ حَسَنَاءٍ ثُمَّ عَتَّقَنَ عِنْدَهُ

لبردت شهوته عنهنّ وفترت، ثمّ إن رأى واحدةً دون أحسنهن في الحسن صبا إليها ومات من شهوتها، فبنت وردان تستظرف تلك اللطاحة وقد ملّت الأولى؛ وبعضُ الناسِ الفطيرُ أحبُّ إليهم من الخمير، وأيضاً إنّ الكثيرَ يمنعُ الشهوة، ويورث الصدود، قال: فقال الموسوس - واستحسنَ جوابَ مسبِّح، بعد أن كان لا يرى جواباً إلاّ جواب نوفل -: لا تعرفُ مقدارَ العالمِ حتّى تجلسَ إلى غيره أنتم أعلم أهل هذه المدرة، ولقد سألتُ علماءها عنهُ منذُ عشرينَ سنةً فما تخلصَ أحدٌ منهم إلى مثلِ ما تخلصتم إليه، وقد والله - أنتم عيني، وطابَ بكم عيشي وقد علمنا أنّ كلّ شيءٍ يُستلبُ استلاباً أنّهُ الذ وأطيب، ولذلك صارَ الدّبيبُ إلى الغلمان ونيكهم على جهة القهر الذ وأطيب، وكلُّ شيءٍ يصيبهُ الرّجل فهو أعزُّ عليه من المال الذي يرثه أو يهب لـه.

علة الحجاج بن يوسف قال: وحدّثني أبانُ بن عثمان قال: قال الحجاجُ بن يوسف: واللّه لَطَاعَتِي أَوْجَبُ مِنْ طَاعَةِ اللّهِ؛ لأنّ اللّهُ تعالى يقول: "فَاتَّقُوا اللّهُ مَا اسْتَطَعْتُمْ" فَجَعَلَ فِيهَا مَثْوِيَةً؛ وقال: "وَاسْمِعُوا وَأَطِيعُوا" ولم يَجْعَلْ فِيهَا مَثْوِيَةً ولو قلتُ لرجل: ادخل مِن هذا الباب، فلم يدخل، لَحَلَّ لِي دُمُهُ .



## احتجاج مدني وكوفي

قال: وأخبرني محمد بن سليمان بن عبد الله النوفلي قال: قال رجل من أهل الكوفة لرجل من أهل المدينة: نحن أشدُّ حبًّا لِرَسُولِ اللَّهِ - صلى الله عليه وسلم وعلى آله - مِنْكُمْ يا أهلَ المدينة فقال المدني: فما بَلَغَ مِنْ حُبِّكَ لِرَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم وعلى آله؟ قال: وِدِدْتُ أَنِّي وَقَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم - وَأَنَّهُ لَمْ يَكُنْ وَصَلَ إِلَيْهِ يَوْمَ أُحُدٍ، وَلَا فِي غَيْرِهِ مِنَ الْأَيَّامِ شَيْءٌ مِنَ الْمَكْرُوهِ يَكْرَهُهُ إِلَّا كَانَ بِي دَوْتَهُ فَقَالَ الْمَدَنِيُّ: أَفَعِنْدَكَ غَيْرُ هَذَا؟ قال: وما يكون غيرُ هذا؟ قال: وَدِدْتُ أَنْ أَبَا طَالِبٍ كَانَ آمَنَ فَسُرَّ بِهِ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم وَأَتَى كَافِرٍ

## جواب رجل من وجوه أهل الشام

وَحَدَّثَنِي أَبَانُ بْنُ عَثْمَانَ قَالَ: قَالَ ابْنُ أَبِي لَيْلَى: إِنِّي لِأَسَايِرُ رَجُلًا مِنْ وَجُوهِ أَهْلِ الشَّامِ، إِذْ مَرَّ بِحَمَّالٍ مَعَهُ رُمَّانٌ، فَتَنَاوَلَ مِنْهُ رُمَّانَةً فَجَعَلَهَا فِي كُمَّه، فَعَجِبْتُ مِنْ ذَلِكَ، ثُمَّ رَجَعْتُ إِلَى نَفْسِي وَكَذَّبْتُ بِبَصْرَى، حَتَّى مَرَّ بِسَائِلٍ فَقِيرٍ، فَأَخْرَجَهَا فَنَاوَلَهُ إِيَّاهَا، قَالَ: فَعَلِمْتُ أَنِّي رَأَيْتُهَا فَقُلْتُ لَهُ:

رَأَيْتُكَ قَدْ فَعَلْتَ عَجَبًا، قَالَ: وَمَا هُوَ؟ قُلْتَ: رَأَيْتُكَ أَخَذْتَ  
رُفْمَانَةً مِنْ حَمَّالٍ وَأَعْطَيْتَهَا سَائِلًا؟ قَالَ: وَإِنَّكَ مِمَّنْ يَقُولُ  
هَذَا الْقَوْلَ؟ أَمَا عَلِمْتَ أَنِّي أَخَذْتُهَا وَكَانَتْ سَيِّئَةً وَأَعْطَيْتَهَا  
فَكَانَتْ عَشْرَ حَسَنَاتٍ؟ قَالَ: فَقَالَ ابْنُ أَبِي لَيْلَى: أَمَا  
عَلِمْتَ أَنَّكَ أَخَذْتَهَا فَكَانَتْ سَيِّئَةً وَأَعْطَيْتَهَا فَلَمْ تُقْبَلْ مِنْكَ؟  
جهل الأعراب بالنحو

وقال الربيع: قلت لأعرابيٍّ: أَتَهْمِرُ إِسْرَائِيلَ؟ قَالَ: إِيَّيْ إِذَا لَرَجُلُ  
سَوْءٍ؟ قُلْتَ: أَتَجُرُّ فِلَسْطِينَ؟ قَالَ: إِيَّيْ إِذَا لَقَوِيَّ.

### احتجاج رجل من أهل الجاهلية

قال: وَحَدَّثَنَا حَمَّادُ بْنُ سَلَمَةَ قَالَ: كَانَ رَجُلٌ فِي الْجَاهِلِيَّةِ مَعَهُ مِحْجَرٌ  
يَتَنَاوَلُ بِهِ مَتَاعَ الْحَاجِّ سَرِيقَةً، فَإِذَا قِيلَ لَهُ: سَرَقْتَ قَالَ: لَمْ أُسْرِقْ،  
إِنَّمَا سَرَقَ مِحْجَنِي قَالَ: فَقَالَ حَمَادٌ: لَوْ كَانَ هَذَا الْيَوْمَ حَيًّا لَكَانَ مِنْ  
أَصْحَابِ أَبِي حَنِيفٍ.

### الأمش وجليسه

قال: وحدثني محمد بن القاسم قال: قال الأعمشُ لجليسٍ له: أما تشتهي بناني زُرُقَ العُيونِ تقيّةَ البطونِ، سُودَ الظُّهورِ، وأرغفةَ حارّةَ لينةٍ، وخلاً حازقاً؟ قال: بلى قال: فانهض بنا، قال الرَّجلُ: فتَهَضْتُ معه ودخل منزله، قل: فأوماً إليّ: أنْ حُدُّ تلكَ السَّلَّةَ، قال: فكشّفها فإذا برغيفين يابسين وسُكَّرَجةَ كامِخٍ شبيثٍ، قال: فجعل يأكل، قال: فقال لي تعال كُلْ، فقلت: وأين السمك؟ قال: ما عندي، سمك، إنما قلت لك: تشتهي.

### رأيُ حفص بن غياث في فقه أبي حنيفة

قال: وسئل حفصُ بن غياث عن فقه أبي حنيفة، قال: كانَ أَجْهَلَ النَّاسِ بما يكون، وأعرفهم بما لا يكون.

### علة خشنام بن هند

وأما علة خُشْنَامِ بن هند، فإنَّ خشنام بن هِنْدٍ كان شيخاً من الغالية، وكان ممَّن إذا أراد أنْ يسمِّي أبا بكر وعُمَرَ قال: الجُبْتُ والطَّاغوت، ومُنْكَر ونكير، وأُفُّ وئُفُّ، وكُسَيْر وعُوَيْر، وكان لا يزال يُدْخِل دَارَهُ حمارَ كَسَّاحٍ ويضربه مائةً عصاً على أنَّ أبا بكر وعمرَ في جوفه، ولم

أر قَطُّ أَشَدَّ احْتِرَافاً مِنْهُ، وَكَانَ مَعَ ذَلِكَ نَبِيذِيّاً وَصَاحِبَ حَمَامٍ، وَيُشَبِّههُ فِي الْقَدِّ وَالْحَرْطِ شُيُوخَ الْحَرِيَّةِ، وَكَانَ مِنْ بَنِي عُبَيْرٍ مِنْ صَمِيمِهِمْ، وَكَانَ لَهُ بُنْيٌ يَتَّبِعُهُ، فَكَانَ يَزِيءُ أُمَّهُ عِنْدَ كُلِّ حَقٍّ وَبَاطِلٍ، وَعِنْدَ كُلِّ جِدٍّ وَهَزَلٍ، قُلْتُ لَهُ يَوْمَاً - وَنَحْنُ عِنْدَ بَنِي رُبَيْعِي: وَيَحَكَ، بِأَيِّ شَيْءٍ تَسْتَحِلُّ أَنْ تَقْذِفَ أُمَّهُ بِالزَّنَا؟ فَقَالَ: لَوْ كَانَ عَلَيَّ فِي ذَلِكَ حَرَجٌ لَمَا قَدْفَتُهَا: فَلَمْ تَزُوجْتِ امْرَأَةً لَيْسَ فِي قَدْفِهَا حَرَجٌ؟ قَالَ: إِنِّي قَدْ احْتَلْتُ حِيلَةً حَتَّى حَلَّ لِي مِنْ أَجْلِهَا مَا كَانَ يَحْرَمُ، قُلْتُ: وَمَا تِلْكَ الْحِيلَةُ؟ قَالَ: أَنَا رَجُلٌ حَدِيدٌ، وَهَذَا غَلَامٌ عَارِمٌ، وَقَدْ كُنْتُ طَلَّقْتُ أُمَّهُ فَكُنْتُ إِذَا افْتَرَيْتُ عَلَيْهَا أَثَمْتُ، فَقُلْتُ فِي نَفْسِي إِنْ أَرَّغْتُهَا وَخَدَعْتُهَا حَتَّى أَنْيَكَهَا مَرَّةً وَاحِدَةً حَلَّ لِي بَعْدَ ذَلِكَ افْتِرَائِي عَلَيْهَا، بَلْ لَا يَكُونُ قَوْلِي حِينَئِذٍ فِرْيَةً، وَعَلِمْتُ أَنَّ زَيْنَةَ وَاحِدَةً لَا تَعْدِلُ عَشْرَةَ آلَافِ فِرْيَةٍ، فَأَنَا الْيَوْمَ أَصْدُقُ وَلَسْتُ أَكْذِبُ، وَالصَّادِقُ مَأْجُورٌ، إِنِّي وَاللَّهِ مَا أَشْكُ أَنَّ اللَّهَ إِذَا عَلَّمَ أَتِي لَمْ أَزِنْ بِهَا تِلْكَ الْمَرَّةَ إِلَّا مِنْ خَوْفِ الْإِثْمِ إِذَا قَدْفَتُهَا - أَنَّهُ سَيَجْعَلُ تِلْكَ الزَّيْنَةَ لَهُ طَاعَةً فَقُلْتُ: أَنْتَ الْآنَ عَلَى يَقِينٍ أَنَّ زَنَاكَ طَاعَةٌ لِلَّهِ تَعَالَى؟ قَالَ: نَعَمْ.

**حجة الشيخ الإباضي في كراهية الشيعة**

قال الشَّيْخُ الإباضي وقد ذهب عني اسمه وكنيته وهو خَتَن أبي بكر بن بَريرة - وجرى يوماً شيئاً من ذِكْرِ التَّشْيِيعِ والشَّيْعة، فأنكر ذلك واشتدَّ غضبه عليهم، فتوهَّمْتُ أَنَّ ذلك إِيَّما اعتراه للإباضيَّة التي فيه، وقلت: وما عليَّ إن سألتَه؟ فَإِنَّهُ يُقال: إِنَّ السائل لا يَعْدُمُه أن يسمَعَ في الجواب حُجَّةً أو حيلةً أو مُلحةً - فقلتُ: وما أنكرت من التَّشْيِيعِ ومن ذكر الشَّيْعة؟ قال: أنكرتُ منه مكان الشَّينِ التي في أوَّل الكلمة؛ لأنِّي لم أجد الشَّينِ في أوَّل كلمةٍ قطُّ إلاَّ وهي مسخوطة مثل: شؤم، وشُرٌّ، وشيطان، وشغب، وشخَّ، وشمال، وشجن، وشيب، وشين، وشراصة، وشَنَج، وشَكُّ، وشوكة، وشَبِث، وشرك، وشارب، وشطير، وشطور، وشِعرَة، وشاني، وشئم، وشتيم، وشيطرَج، وشنعة، وشناعة، وشأمة، وشوصة، وشتر وشجوب وشَجَّة، وشطون، وشاطن، وشنِّ، وشلَل، وشييص، وشاطر، وشاطرة، وشاحب. قلت له: ما سمعتُ متكلِّماً قطُّ يقول هذا ولا يبلغه، ولا يقومُ لهؤلاء القوم قائمةً بعد هذا.

### حيلة أبي كعب القاص

قال: وتعشى أبو كعبٍ القاصُّ بطفشيل كثير اللُّوبيا، وأكثر منه، وشرب نبيدَ تمر، وعَلَسَ إلى بعض المساجد ليقصَّ على أهله، إذ انفتل الإمامُ من الصلاة فصادف زحاماً كثيراً، ومسجداً مستوراً بالبورِيِّ من البَرْدِ والرَّيحِ والمَطَرِ، وإذا محرابٌ غائِرٌ في الحائط، وإذا الإمامُ شيخٌ ضعيفٌ؛ فلَمَّا صَلَّى استدبَرَ المحرابَ وجلسَ في زاويةٍ منه يسبِّح، وقام أبو كعبٍ فَجَعَلَ ظَهْرَهُ إلى وجه الإمامِ ووجهه إلى وُجوه القومِ، وطَبَّقَ وجه المحرابِ بجِسمه وَقَرُوتَه وعمامته وكسائه، ولم يكن بين فَحْتِهِ وَبَيْنَ أنف الإمامِ كبيرُ شيءٍ، وَقَصَّ وتحرَّك بطنه، فَأَرَادَ أَنْ يَتَفَرَّجَ بِفَسُوءِ وَخَافَ أَنْ تَصِيرَ ضَرَاطاً، فقال في قصصه: قولوا جميعاً: لا إله إلاَّ اللهُ وارفعوا بها أصواتكم، وقسا فسوةً في المحرابِ فدارت فيه وَجَتَمَت على أنف الشيخِ وَاحْتَمَلَهَا، ثُمَّ كَدَّه بطنه فاحتاج إلى أخرى فقال: قولوا: لا إله إلاَّ اللهُ وارفعوا بها أصواتكم، فأرسل فسوةً أخرى فلم تُحْطِئْ أنْفَ الشيخِ، وَاخْتَنَقَتْ في المحرابِ، فخمَّرَ الشَّيْخُ أنْفَهُ، فصار لا يدري ما يصنع، إنْ هو تنفَّس قتلته الرائحة، وإنْ هو لم يتنفَّس مات كَرْباً، فما زال يُدَارِي ذلك، وأبو كعبٍ يقصُّ، فلم يلبث أبو كعبٍ أن احتاج إلى أخرى، وكلما طال لُبُّهُ تولَّد في بطنه من النَّفَخِ على حَسَبِ ذلك، فقال: قولوا جميعاً: لا إله إلاَّ

اللَّهِ وَارْفَعُوا بِهَا أَصْوَاتَكُمْ، فَقَالَ الشَّيْخُ مِنَ الْمِحْرَابِ - وَأَطْلَعَ رَأْسَهُ  
وَقَالَ -: لَا تَقُولُوا لَا تَقُولُوا قَدْ قَتَلَنِي إِنَّمَا يَرِيدُ أَنْ يَفْسُوَ ثُمَّ جَذِبَ إِلَيْهِ  
ثَوْبَ أَبِي كَعْبٍ وَقَالَ: جِئْتُ إِلَى هَا هُنَا لِتَفْسُوَ أَوْ تَقْصُّ؟ فَقَالَ: جِئْنَا  
لِنَقْصُ، فَإِذَا نَزَلَتْ بَلِيَّةٌ فَلَا بَدَّ لَنَا وَلَكُمْ مِنَ الصَّبْرِ فَضْحَكَ النَّاسُ،  
وَاخْتَلَّ طِ الْمَجَلِ س.

جواب أبي كعب القاصِّ وأبو كعبٍ هذا هو الذي كان يقصُّ في مسجد  
عَنَابٍ كُلِّ أَرْبَعًا فَاحْتَبَسَ عَلَيْهِمْ فِي بَعْضِ الْأَيَّامِ وَطَالَ انْتِظَارُهُمْ لَه،  
فَبَيْنَمَا هُمْ كَذَلِكَ إِذْ جَاءَ رَسُولُهُ فَقَالَ: يَقُولُ لَكُمْ أَبُو كَعْبٍ: انصرفوا؛  
فإِنِّي قد أَصْبَحْتُ الْيَوْمَ مَخْمُورًا عِلَّةَ عَبْدِ الْعَزِيزِ وَأَمَّا عِلَّةُ عَبْدِ الْعَزِيزِ  
بِشَكْسَتْ فَإِنَّ عَبْدَ الْعَزِيزِ كَانَ لَهُ مَالٌ، وَكَانَ إِذَا جَاءَ وَقْتُ الزَّكَاةِ وَجَاءَ  
الْقَوَادُّ بِغُلَامٍ مُوَأَجَّرٍ، قَالَ: يَا غُلَامُ أَلَيْكَ أُمَّ؟ أَلَيْكَ خَالَاتُ؟ فيقول الغلام:  
نعم، فيقول: خُذْ هَذِهِ الْعَشْرَةَ الْمِدْرَاهِمَ - أَوْ خُذْ هَذِهِ الْمِئَاتَيْنِ - مِنْ  
زَكَاةِ مَالِي، فَادْفَعْهَا إِلَيْهِنَّ، وَإِنْ شِئْتَ أَنْ تُبْرِكَنِي بَعْدَ ذَلِكَ عَلَى جِهَةِ  
الْمَكَارِمَةِ، فَافْعَلْ، وَإِنْ شِئْتَ أَنْ تُنْصَرِفَ فَانصرف، فيقول ذلك وهو  
وَاثِقٌ أَنَّ الْغُلَامَ لَا يَمْتَعُهُ بَعْدَ اخْتِارِهِمُ، وَهُوَ يَعْلَمُ أَنَّهُ لَنْ يَبْلُغَ مِنْ  
صَلَاحِ طِبَاعِ الْمُوَأَجَّرِينَ أَنْ يُؤَدُّوا الْأَمَانَاتَ، فَعَبَّرَ بِذَلِكَ ثَلَاثِينَ سَنَةً  
وَلَيْسَ لَهُ زَكَاةٌ إِلَّا عِنْدَ أُمَّهَاتِ الْمُوَأَجَّرِينَ وَأَخَوَاتِهِمْ وَخَالَاتِهِمْ.

## احتجاج كوفي للتسمية بمحمد

وحدثني محمد بن عباد بن كاسب قال: قال لي الفضل بن مروان شيخ من طيِّاب الكوفيِّين وأغبيائهم: إِنَّ وُلِدَ لَكَ مائَةٌ ذَكَرٍ فسمهم كلَّهم محمداً، وكنَّهم بمحمد؛ فإنَّك ستري فيهم البركة، أو تَدْرِي لَأَيِّ شَيْءٍ كَثُرَ مَالِي؟ قلت: لا والله ما أدري، قال: إِنَّمَا كَثُرَ مَالِي لِأَنِّي سَمَّيْتُ نَفْسِي فيما بيني وبينَ اللَّهِ محمداً وإذا كان اسمي عندَ اللَّهِ محمداً فما أبالي ما قال الناس

## جواب أحمد بن رباح الجوهري

وشبه هذا الحديث قول المروزي: قلت: لأحمد بن رباح الجوهري اشتريت كساءً أبيضَ طبرياً بأربعمائةٍ درهم، وهو عند الناس - فيما ترى عيونهم قوميَّ يساوي مائةٍ درهمٍ قال: علم الله أنه طبريٌّ فما عليَّ ممَّا قال الناس؟

## جواب حارس يكنى أبا خزيمة

وكان عندنا حارسٌ يكنى أبا خزيمة، فقلت يوماً - وقد خطر على بالي -: كيف اكتنى هذا العليُّ الألكنُّ بأبي خزيمة؟ ثم رأيتُه فقلت له:



خَبَّرَنِي عَنْكَ، أَكَانَ أَبُوكَ يَسْمَى خَزِيمَةَ؟ قَالَ: لَا، قُلْتُ: فَجَدُّكَ أَوْ  
عَمُّكَ أَوْ خَالُكَ؟ قَالَ: لَا، قُلْتُ: فَلِكُ ابْنُ يَسْمَى خَزِيمَةَ؟ قَالَ: لَا،  
قُلْتُ: فَكَانَ لَكَ مَوْلَى يَسْمَى خَزِيمَةَ؟ قَالَ: لَا، قُلْتُ: فَكَانَ فِي قَرِيْبِكَ  
رَجُلٌ صَالِحٌ أَوْ فَاقِيَةٌ يَسْمَى خَزِيمَةَ؟ قَالَ: لَا، قُلْتُ: فَلَمْ أَكْتَنِيْتِ بِأَبِي  
خَزِيمَةَ، وَأَنْتَ عِلْجُ الْكَنْ، وَأَنْتَ فَاقِيْرٌ، وَأَنْتَ حَارِسٌ؟ قَالَ: هَكَذَا  
اشْتَهَيْتِ، قُلْتُ: فَلَأَيِّ شَيْءٍ اشْتَهَيْتِ هَذِهِ الْكُنْيَةَ مِنْ بَيْنِ جَمِيْعِ الْكُنْيِ؟  
قَالَ: مَا يُدْرِيْنِي، قُلْتُ: فَتَبِيْعُهَا السَّاعَةَ بِدِيْنَارٍ، وَتَسْكُنِي بَأَيِّ كُنْيَةٍ  
سُنْتُ؟ قَالَ: لَا وَاللَّهِ، وَلَا بِالذُّنْيَا وَمَا فِيهَا

### جواب الزيايى

وحدثني مَسْعَدَةُ بن طارق، قلت للزيادي - ومررتُ به وهو جالسٌ  
في يومِ غَمَقِ حَارٍّ وَمِدٍّ، على باب داره في شروع نهر الجُوبار بأردية،  
وإذا ذلك البحر يبخر في أنفه - قال فقلت له بعث دارك وحظك من  
دار جدك زياد بن أبي سفيان، وتركت مجلسك في ساباط عَيْثُ،  
وإشراقك على رَحبة بني هاشم، ومجلسك في الأبواب التي تلي  
رَحبة بني سليم، وجلست على هذا التَّهْر في مثل هذا اليوم، ورضيت  
به جاراً؟ قال، نلتُ أطولَ آمالي في قرب هؤلاء البَرَّازين، قلت له لو

كنت بَقْرَبِ المقابر فقلت نزلت هذا الموضع للاتِّعَاضِ به والاعتبار كان ذلك وجهاً، ولو كنت بَقْرَبِ الحَدَّادِينَ فقلت لأتَذَكَّرَ بهذه التَّيْرَانِ والكِيرَانِ نارِ جهنَّمِ، كان ذلك قولاً، ولو كنت اشتريت داراً بقرب العطارين فاعتَلَّتْ بطلَبِ رائحةِ الطَّيِّبِ كان ذلك وجهاً فأماً قُرْبُ البَرَازِينِ فقط فهذا ما لا أعرفه، أَفَلَكَ فِيهِمْ دَارٌ عَلَّةٌ، أَوْ هَلْ لَكَ عَلَيْهِمْ دُيُونٌ حَالَةٌ، أَوْ هَلْ لَكَ فِيهِمْ أَوْ عِنْدَهُمْ غِلْمَانٌ يُؤَدُّونَ الصَّرِيبةَ، أَوْ هَلْ لَكَ مَعَهُمْ شِرْكَةٌ مُضَارِبَةٌ؟ قال: لا، قلت: فما ترجو إذاً من قربهم فلم يكن عنده إلا: نلت آمالي بَقْرَبِ البَرَازِينِ. حكاية ثمامة عن ممرور وحدثني ثمامة بن أشرس قال: كان رجلاً ممرور يقوم كلَّ يوم فيأتي داليةً لقوم، ولا يزال يمشي مع رجال الدالية على ذلك الجذع ذاهباً وجائياً، في شدة الحرِّ والبرد، حتَّى إذا أمسى نزل إليهم وتوصَّأً وصلَّى، وقال: اللَّهُمَّ اجعلْ لنا مِنْ هَذَا قَرَجاً وَمَخْرَجاً ثُمَّ انصرف إلى بيته، فكان كذلك حتَّى مات. بين أعمى وقائده وحدثني المكيُّ قال: كان رجلاً يقود أعمى بكراء، وكان الأعمى ربَّما عَثَرَ العَثْرَةَ وَنَكِبَ النَّكْبَةَ، فيقول: اللَّهُمَّ أَبْدِلْ لِي بِهِ قَائِداً خيراً منه قال: فقال القائد: اللَّهُمَّ أَبْدِلْ لِي بِهِ أعمى خيراً لي منه، حماقة ممرور وحدثني يزيدُ مولى إسحاق بن عيسى قال كُنَّا فِي

منزل صاحب لنا، إِذْ خَرَجَ وَاحِدٌ مِنْ جَمَاعَتِنَا لِيَقِيلَ فِي الْمَبِيتِ الْآخِرِ،  
فَلَمْ يَلْبَثْ إِلَّا سَاعَةً حَتَّى سَمِعْنَاهُ يَصِيحُ: أُوهِ أُوهِ قَالَ: فَنَهَضْنَا بِأَجْمَعِنَا  
إِلَيْهِ فَرَعَيْنَ، فَقَلْنَا لَهُ: مَا لَكَ؟ وَإِذَا هُوَ نَائِمٌ عَلَى شَقِّهِ الْأَيْسَرِ، وَهُوَ  
قَابِضٌ عَلَى خَصِيَّتِهِ بِيَدِهِ فَقُلْتُ لَهُ: لِمَ صَحْتَ؟ قَالَ: إِذَا غَمَزْتُ  
حُصِيَّتِي اشْتَكَيْتُهَا، وَإِذَا اشْتَكَيْتُهَا صَحْتُ، قَالَ: فَقَلْنَا لَهُ: لَا تَعْمِرْهَا بَعْدُ  
حَتَّى لَا تَشْتَكِيَ قَالَ: نَعَمْ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى.  
حَمَاقَةُ مَوْلَاةِ عَيْسَى بْنِ عَلِيٍّ قَالَ يَزِيدُ: وَكَانَتْ لِعَيْسَى بْنِ عَلِيٍّ مَوْلَاةٌ  
عَجُوزٌ حُرَّاسَانِيَّةٌ تَصْرُخُ بِاللَّيْلِ مِنْ ضَرْبَانِ ضَرَسَ لَهَا، فَكَانَتْ قَدْ أَرَقَّتْ  
الْأَمِيرَ إِسْحَاقَ، فَقُلْتُ لَهُ: إِنَّهَا مَعَ ذَلِكَ لَا تَدَعُ أَكْلَ التَّمْرِ قَالَ: فَبَعَثْتُ  
إِلَيْهَا بِالْغَدَاةِ فَقَالَ لَهَا: أَتَأْكَلِينَ التَّمْرَ بِالنَّهَارِ وَتَصِيحِينَ بِاللَّيْلِ؟ فَقَالَتْ:  
إِذَا اشْتَهَيْتُ أَكَلْتُ وَإِذَا أَوْجَعَنِي صَحْتُ.  
حِكَايَةُ ثَمَامَةَ عَنْ مَمْرُورٍ وَحَدَّثَنِي ثَمَامَةُ قَالَ: مَرَرْتُ فِي غَبِّ مَطَرٍ  
وَالْأَرْضُ نَدِيَّةٌ، وَالسَّمَاءُ مَتَغِيْمَةٌ، وَالرَّيْحُ شَمَالٌ، وَإِذَا شَيْخٌ أَصْفَرُ كَأَنَّهُ  
جَرَادَةٌ، قَدْ جَلَسَ عَلَى قَارِعَةِ الطَّرِيقِ، وَحَجَّامٌ زَنْجِيٌّ يَحْجُمُهُ، وَقَدْ  
وَضَعَ عَلَى كَاهِلِهِ وَأَخْدَعِيهِ مَحَاجِمَ، كُلِّ مِحْجَمَةٍ كَأَنَّهَا قَعْبٌ، وَقَدْ مَصَّ  
دَمَهُ حَتَّى كَادَ أَنْ يَسْتَفْرِغَهُ، قَالَ: فَوَقَفْتُ عَلَيْهِ فَقُلْتُ: يَا شَيْخُ لِمَ  
تَحْتَجِمُ فِي هَذَا الْبَرْدِ؟ قَالَ لِمَكَانٍ هَذَا الصُّفَارِ الَّذِي بِي.

صنيع ممرور وحدثني ثمامة قال: حَدَّثَنِي سَعِيدُ بْنُ مَسْلَمٍ قَالَ: كُنَّا بِحُرَّاسَانَ فِي مَنْزِلِ بَعْضِ الدَّهَّاقِينَ وَنَحْنُ شَبَابٌ، وَفِينَا شَيْخٌ، قَالَ: فَأَتَانَا رَبُّ الْمَنْزِلِ بِدُهْنٍ طَيِّبٍ فَدَهَنَ بَعْضُنَا رَأْسَهُ، وَبَعْضُنَا لِحْيَتَهُ، وَبَعْضُنَا مَسَحَ شَارِبَهُ، وَبَعْضُنَا مَسَحَ يَدَيْهِ وَأَمَرَهُمَا عَلَى وَجْهِهِ، وَبَعْضُنَا أَحَدًا بِطَرَفِ إِصْبَعِهِ فَأَدَخَلَ فِي أَنْفِهِ وَمَسَحَ بِهِ شَارِبَهُ، فَعَمَدَ الشَّيْخُ إِلَى بَقِيَّةِ الدُّهْنِ فَصَبَّهَا فِي أُذُنِهِ، فَقُلْنَا لَهُ: وَيْحَكَ، خَالَفتُ أَصْحَابَكَ كُلَّهُمْ هَلْ رَأَيْتَ أَحَدًا إِذَا أَتَوْهُ بِدُهْنٍ طَيِّبٍ صَبَّهُ فِي أُذُنِهِ؟ قَالَ: فَإِنَّهُ مَعَ هَذَا يَضْرُبُنِي؟ أَمْرٌ عَيْصٍ، سَيِّدُ بَنِي تَمِيمٍ وَحَدَّثَنِي مَسْعَدَةُ بْنُ طَارِقِ الدَّرَّاعِ قَالَ: وَاللَّهِ إِنَّا لَوُقُوفٌ عَلَى حُدُودِ دَارِ فُلَانٍ لِلْقِسْمَةِ، وَنَحْنُ فِي خِصْمَةٍ، إِذْ أَقْبَلَ عَيْصُ سَيِّدِ بَنِي تَمِيمٍ وَمُوسِرُهُمُ وَالَّذِي يَصَلِّي عَلَيَّ عَلَى جَنَائِزِهِمْ، فَلَمَّا رَأَيْنَاهُ مُقْبِلًا إِلَيْنَا أَمْسَكْنَا عَنِ الْكَلَامِ، فَأَقْبَلَ عَلَيْنَا فَقَالَ: حَدَّثُونِي عَنِ هَذِهِ الدَّارِ، هَلْ ضَمَّ مِنْهَا بَعْضُهَا إِلَى بَعْضٍ أَحَدٌ؟ قَالَ مَسْعَدَةُ: فَأَنَا مُنْذُ سَتِينَ سَنَةً أَفَكَّرْتُ فِي كَلَامِهِ مَا أُدْرِي مَا عَنَى بِهِ، قَالَ: وَقَالَ لِي مَرَّةً: مَا مِنْ شَرٍّ مِنْ ذَيْنِ قَلْتِ: وَلِمَ ذَاكَ؟ قَالَ: مِنْ جَرَا يَتَعَلَقُ

وَحَدَّثَنِي الْخَلِيلُ بْنُ يَحْيَى السَّلُولِيُّ قَالَ: نَارِعَ التَّمِيمِيُّ بَعْضَ بَنِي عَمِّهِ فِي حَائِطٍ، فَبَعَثَ إِلَيْنَا لِتَشْهَدَ عَلَيَّ شَهَادَتِهِ، فَأَتَاهُ جَمَاعَةٌ مِنْهُمْ

الحميريُّ والزهرِيُّ، والزياديُّ، والبكراوي، فلمَّا صرنا إليه وقف بنا على الحائط وقال: أشهدُكم جميعاً أنَّ نصفَ هذا الحائط لي. جواب ممرور قال: وقدم ابنُ عمِّ له إلى عمر بن حبيب، وادَّعى عليه ألفَ درهم فقال ابنُ عمِّه: ما أعرفُ ممَّا قالَ قليلاً ولا كثيراً، ولا له عليَّ شيء قال: أصلحك الله تعالى فاكثُبْ بإنكاره، قال: فقال عمر: الإنكار لا يفوتك، متى أردتَه فهو بينَ يديك.

### أمنية أبي عتاب الجرَّار

قال: وقلت لأبي عتاب الجرَّار: ألا ترى عبدَ العزيزِ العرَّال وما يتكلم به في قصَّصه؟ قال: وأيُّ شيء قاله؟ قلت: قال: ليت الله تعالى لم يُكنْ خلقني وأنا السَّاعةُ أعور قال أبو عتاب: وقد قصَّرت في القول، وأسأء في التمني، ولكنتي أقول: ليت الله تعالى لم يُكنْ خلقني وأنا الساعةُ أعمى مقطوعُ اليدين والرجلين.

### تعزية طريفة لأبي عتاب الجرَّار

ودخل أبو عتاب على عمرو بن هذَّاب وقد كُفَّ بصره، والناس يُعزُّونُه، فمَثَلَ بينَ يديه، وكان كالجمل المحجُّوم، وله صوتُ جهير،

فقال: يا أبا أسيد، لا يسوءنك ذهابهما، فلو رأيت ثوابهما في ميزانك  
تمنيت أن الله تعالى قد قطع يدك ورجليك، ودق ظهرك، وأدمى  
ضلعك.

## داود بن المعتمر وبعض النساء

وبينما داود بن المعتمر الصُّبيريّ جالسٌ معي، إذ مرت به  
امرأةٌ جميلة لها قوامٌ وحُسنٌ، وعينان عجبتان، وعليها  
ثيابٌ بيض، فنهضَ داودُ فلم أشكُّ أنه قام ليتبّعها، فبعثتُ  
غلامي ليُعرف ذلك، فلمّا رجع قلت له: قد علمت أنك إنما  
قُمتَ لتكلّمها؛ فليس ينفَعُك إلا الصدق، ولا يُنجيك مني  
الجُحود، وإنما غايتي أن أعرف كيف ابتدأت القول، وأي  
شيءٍ قلت لها - وعلمت أنه سيأتي بآبدة، وكان ملياً  
بالأوابد - قال: ابتدأتُ القول بأن قلتُ لها: لولا ما رأيتُ  
عليك من سيماء الخير لم أتبعك، قال: فصَحِكتُ حتى  
استندتُ إلى الحائط، ثمّ قالت: إنما يمنع مثلك من اتباع  
مثلي والطمع فيها، ما يرى من سيماء الخير فأما إذ قد  
صار سيماء الخير هو الذي يُطمعُ في النساء فإننا لله وإنا

## إليه راجعون.

وتبع داودُ بنُ المعتمر امرأة، فلم يزلُ يُطريها حتى أجابت،  
ودَلَّها على المنزل الذي يمكنها فيه ما يريد، فتقدمت  
الفاجرة وعرض له رجلٌ فشغَلَهُ، وجاء إلى المنزل وقد  
قضى القَوْمُ حوائجَهُمْ وأَخَذَتْ حاجتها، فلم تنتظره، فلما  
أتاهُمْ ولم يَرها قال: أين هي؟ قالوا: والله قد فرغنا  
وذهبت قال: فأَيَّ طريقٍ أَخَذَتْ؟ قالوا: لا والله ما ندري؟  
قال فإنْ عَدَوْتُ في إثرها حتَّى أقومَ على جامع الطُّرق  
أُثْرُوني ألحقها؟ قالوا: لا والله ما تَلحقها قال: فقد فاتتِ  
الآن؟ قالوا: نعم، قال: فعسى أن يكون خيراً فلم أسمعُ  
قطُّ بإنسانٍ يشكُّ أَنَّ السَّلامة من الذنوب خير غيره. قول  
أبي لقمان الممرور في الجزء الذي لا يتجزأ

وسأل بعضُ أصحابنا أبا لقمان الممرور عن الجزء الذي لا يتجزأ: ما  
هو؟ قال: الجزء الذي لا يتجزأ هو عليُّ بن أبي طالب عليه السلام،  
فقال له أبو العيناء محمد: أفليس في الأرض جزءٌ لا يتجزأ غيره؟  
قال: بلى حمزةٌ جزءٌ لا يتجزأ، وجَعْفَرُ جزءٌ لا يتجزأ قال فما تقول في

العباس؟ قال: جزء لا يتجزأ، قال: فما تقول في أبي بكر وعمر؟  
قال: أبو بكر يتجزأ، وعمر يتجزأ، قال: فما تقول في عثمان؟ قال:  
يتجزأ مرّتين، والزبير يتجزأ مرّتين، قال: فأيّ شيءٍ تقول في معاوية؟  
قال: لا يتجزأ ولا لا يتجزأ.  
فقد فكرنا في تأويل أبي لقمان حين جعل الإمام جزءاً لا يتجزأ إلى  
أيّ شيءٍ ذهب، فلم نقع عليه إلا أن يكون كان أبو لقمان إذا سمع  
المتكلمين يذكرون الجزء الذي لا يتجزأ، هاله ذلك وكبر في صدره،  
وتوهم أنه الباب الأكبر من علم الفلسفة، وأن الشيء إذا عظم  
خطأه سُموه بالجزء الذي لا يتجزأ.  
وقد تسخّفنا في هذه الأحاديث، واستجزنا ذلك بما تقدّم من العذر،  
وسنذكر قبل ذكرنا القول في الحمام جملاً من عُرِّ وَوَادِرٍ وَأَشْعَارٍ  
وُتْفٍ وَفَقَرٍ مِنْ قَصَائِدَ قِصَارٍ وَشَوَارِدَ وَأَبْيَاتٍ، لِنُعْطِيَ قَارِئَ الْكِتَابِ  
مِنْ كُلِّ نَوْعٍ تَذَهَبُ إِلَيْهِ النَّفُوسُ نَصِيباً إِنْ شَاءَ اللَّهُ.

### تناسب الألفاظ مع الأغراض

ولكلّ ضربٍ من الحديث صرْبٌ من اللفظ، ولكلّ نوعٍ من المعاني  
نوعٌ من الأسماء: فالسَّخِيفُ للسَّخِيفِ، والحَفِيفُ للحَفِيفِ، والجَزَلُ



للجَزَل، والإفصاحُ في مَوْضِع الإفصاح، والكِنَايَةُ في مَوْضِع الكِنَايَةِ،  
والاسترسال في مَوْضِع الاسترسال.  
وإذا كان مَوْضِعُ الْحَدِيثِ عَلَى أَنَّهُ مُضْحِكٌ وَمُؤْلَهُ، وَدَاخِلٌ فِي بَابِ  
الْمَزَاحِ وَالطَّيِّبِ، فَاسْتَعْمَلَتْ فِيهِ الْإِعْرَابَ، انْقَلَبَتْ عَنْ جِهَتِهِ، وَإِنْ كَانَ  
فِي لَفْظِهِ سُخْفٌ وَأَبْدَلَتْ السَّخَافَةَ بِالْجَزَالَةِ، صَارَ الْحَدِيثُ الَّذِي وَضِعَ  
عَلَى أَنْ يُسَرَّ النَّفُوسَ يُكْرَهُ بِهَا، وَيَأْخُذُ بِأَكْظَامِهَا.

## الورع الزائف

وبعض الناس إذا انتهى إلى ذِكْرِ الْجِرِّ وَالْأَيْرِ وَالنِيكِ ارْتَدَعَ وَأَظْهَرَ  
التَّقَرُّزَ، وَاسْتَعْمَلَ بَابَ التَّوَرُّعِ، وَأَكْثَرَ مَنْ تَجَدَّه كَذَلِكَ فَإِنَّمَا هُوَ رَجُلٌ  
لَيْسَ مَعَهُ مِنَ الْعَفَافِ وَالْكَرَمِ، وَالنُّبْلِ وَالْوَقَارِ، إِلَّا بِقَدْرِ هَذَا الشَّكْلِ  
مِنَ التَّنْصِيعِ، وَلَمْ يُكْشَفْ قَطُّ صَاحِبُ رِيَاءٍ وَنِفَاقٍ، إِلَّا عَنْ لَوْمٍ  
مُسْتَعْمَلٍ، وَنَذَالَةٍ مَتَمَكِّنَةٍ.

## تسمح بعض الأئمة في ذكر ألقاب

وقد كان لهم في عبد الله بن عباسٍ مَقْتَعٌ، حِينَ سَمِعَهُ بَعْضُ النَّاسِ يُنْشِدُ فِي الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ:

يَمَثِّبِينَ بِنَا هَمِيَسَا      إِنَّ تَصَدَّقِ الطَّيْرُ تَبِكَ لَمِيَسَا

فَقِيلَ لَهُ فِي ذَلِكَ، فَقَالَ: إِنَّمَا الرَّقْتُ مَا كَانَ عِنْدَ النِّسَاءِ.  
وَقَالَ الصَّحَّاحُ: لَوْ كَانَ ذَلِكَ الْقَوْلُ رَقْتًا لَكَانَ قَطْعُ لِسَانِهِ أَحَبُّ إِلَيْهِ مِنْ أَنْ يَقُولَ هُجْرًا، قَالَ شَيْبُ بْنُ  
يَزِيدَ الشَّيْبَانِي، لَيْلَةَ بَيْتِ عَنَابَ بْنِ وَرْقَاءَ:

### يَنِكَ الْعَيْرَ يَنِكَ تَيَّاكَ

وَقَالَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - حِينَ دَخَلَ عَلَى بَعْضِ  
الْأَمْرَاءِ فَقَالَ لَهُ: مَنْ فِي هَذِهِ الْبُيُوتِ؟ فَلَمَّا قِيلَ لَهُ: عَقَائِلُ مِنْ  
عَقَائِلِ الْعَرَبِ، قَالَ عَلِيٌّ: مَنْ يَطْلُ أَيْرُ أَبِيهِ يَنْتَطِقُ بِهِ.  
فَعَلَى عَلِيٍّ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ - يَعْوَلُ فِي تَنْزِيهِهِ اللَّفْظَ وَتَشْرِيفِ  
الْمَعْنَى.

وَقَالَ أَبُو بَكْرٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - حِينَ قَالَ بُدَيْلُ بْنُ وَرْقَاءَ لِلنَّبِيِّ صَلَّى  
اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: جِئْنَا بِعَجْرَائِكَ وَسُودَانِكَ، وَلَوْ قَدْ مَسَّ هَوْلَاءُ وَخُرُ  
السَّلَاحِ لَقَدْ أَسْلَمُواكَ فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ -: عَضِضْتَ بِبَطْرِ  
اللَّاتِ.

وَقَدْ رَوَوْا مَرْفُوعًا قَوْلَهُ: مَنْ يُعْذِرُنِي مِنْ ابْنِ أُمَّ سَبَاعٍ مُقْطَعَةً  
الْبُظُورِ؟.

لكلِّ مقام مقال

ولو كان ذلك الموضع موضع كناية هي المستعملة، وبعد فلو لم يكن لهذه الألفاظ مواضع استعملها أهل هذه اللغة وكان الرأي ألا يُلفظَ بها، لم يَكُنْ لأوّل، كونها معنَى إلا على وجه الخطأ، ولكان في الحزم والصَّوْنِ لهذه اللغة أن تُرْفَعَ هذه الأسماء منها. وقد أصاب كلَّ الصَّوابِ الذي قال: لِكُلِّ مَقَامٍ مَقَالٌ.

### صورة من الوقار المتكلف

ولقد دخل علينا فتى حَدَثُ كان قَدْ وَقَعَ إلى أصحاب عبد الواحد بن زيد ونحنُ عند موسى بن عِمْران، فدارَ الحديثُ إلى أن قال الفتى: أَفَطَرْتُ البَارِحَةَ على رَغِيفٍ وزيتونة ونصف، أو زيتونة وثلاث، أو زيتونة وثُلثي زيتونة، أو ما أشبه ذلك، بل أقول: أَكَلْتُ زيتونة، وما علم الله من أخرى، فقال موسى: إِنَّ مِنَ الوَرَعِ ما يُبَغِضُهُ اللهُ، عِلْمَ اللهُ؛ وَأَظُنُّ وَرَعَكَ هَذَا مِنَ ذَلِكَ الوَرَعِ. وكان العُتْبِيُّ ربِّما قال: فقال لي المأمون كذا وكذا، حينَ صارَ النَّجْمُ على قِمَّةِ الرَّأسِ، أو حينَ جازني شيئاً، أو قبل أن يوازيَ هامتي، هكذا هو عندي، وفي أَغْلَبِ ظَنِّي، وأكْرَهُ أَنْ أَجْزِمَ على شيءٍ وهو كما قلت إن شاء الله تعالى، وقريباً ممَّا نقلت، فيتوقف في الوقت الذي ليسَ

من الحديث في شيء، وذلك الحديث إن كان مع طلوع الشمس لم يَزِدْه ذلك خيراً، وإن كان مع غروبها لم ينقصه ذلك شيئاً، هذا ولعلَّ الحديث في نفسه لم يكن قطُّ ولم يصلُّ هو في تلك الليلة البتَّة، وهو مع ذلك زعم أنه دخل على أصحاب الكهف فعرف عددهم، وكانت عليهم ثياب سبئية وكلبهم ممعط الجلد، وقد قال الله عزَّ وجلَّ لنبيه صلى الله عليه وسلم: "لَوْ اطَّلَعْتَ عَلَيْهِمْ لَوَلَّيْتَ مِنْهُمْ فِرَاراً وَ لَمَلَيْتَ مِنْهُمْ رُعباً".

## بعض نواذر الشعر

وسنذكر من نواذر الشعر جملةً، فإن نشطت لِحْفِطِهَا فاحفظها؛ فإنَّها من أشعار المذاكرة، قال التَّفْهِي:

كَانَ دَا عَصْدٍ يُدْرِكُ ظِلَامَتَهُ الدَّلِيلَ الَّذِي لَيْسَتْ لَهُ عَصْدُ  
يَدَاهُ إِذَا مَا قَلَّ تَاصِرُهُ وَيَأْنِفُ الصَّيْمَ إِنْ أَثْرَى لَهُ عَدْدُ

وقال أبو قيس بن الأسلت:

امرئٍ مُسْتَبْسِلٍ حَازِرٍ      لِلدَّهْرِ جِلْدٍ غَيْرِ مِجْرَاعٍ  
وَالقُوَّةُ خَيْرٌ مِنْ آلٍ      إِشْفَاقٍ وَالفَهَةِ وَالهَاعِ

وقال عبده بن الطيب:

حَبَاتَا بِأَمْوَالٍ مُخَوَّلَةٍ      وَكُلُّ شَيْءٍ حَبَاهُ اللَّهُ تَخْوِيلُ  
سَاعٍ لِأَمْرِ لَيْسَ يُدْرِكُهُ كَمَا الْعَيْشُ شُحٌّ      وَإِشْفَاقٌ وَ تَأْمِيلُ  
وكان عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه - يردُّ هذا النصف الآخر، ويعجب من جودة ما قسم.

وقال المتلمس:

عَلِمَ حَقَّ غَيْرِ ظَنٍّ      وَتَقَوَى اللَّهَ مِنْ خَيْرِ الْعَتَادِ

المال أيسر من بُغاهُ      وضربٍ في البلادِ بغيرِ رَادِ  
وإصلاحِ القليلِ يزيدُ فيه      ولا يَبْقَى الكثيرُ معَ القَسارِ  
وقال آخر:

وَحِفْظَكَ مَالًا قَدْ عُنَيْتَ بجمعه من الجمعِ الذي أنت طالبه  
وقال حُميد بن تَوْر الهلالي:

عَنَّا يَا بَنَ عَمِّ فلن تطلبُ لئلاَّ سَوف يعتلُّ بالشغل  
وقال ابن أحمَر:

الثناء وَأَجْدِرُ أَنْ أصاحبه      وقد يدوّم ريقَ الطامعِ الأملُ  
وقال ابن مقل:

الدَّهْرُ إِلَّا تَارَتَانِ فَمِنْهُمَا      أموت وَأُخْرَى أَبْتغِي العَيْشَ  
أَكْدَحُ  
وكلتاها قد حُطَّ لي في      المَوْتُ أهْوَى لي ولا العيش  
صحيفة  
وقال عمرو بن هند:

الذي ينهاكم عن طلابها      يُناغي نساءَ الحيِّ في طُورِ  
الْبُرْدِ  
والأيامُ تنقُصُ عُمره      تنقص التَّيران من طرف  
الرَّزْدِ  
وقال أُمَيَّة - إن كان قالها:-

تَجَزَعُ النُّفُوسُ مِنَ الأَمِّ      رِ لَهُ فَرَجَةٌ كَحَلِّ العِقَالِ  
شعر في الغزل وقال آخر:

وَسِئْرُ اللّهِ بَيْنِي وَبَيْنَهَا      عَشِيَّةَ آرامِ الكِناسِ رَمِيمُ  
يومَ لَوْ رَمَتْنِي رَمِيَّتْهَا      وَلَكِنَّ عَهْدِي بالنِّصَالِ قَدِيمُ  
الَّتِي قَالَتْ لَجَارَاتِ بَيْتِهَا      صَمِنْتَ لَكُمْ أَنْ لَا يَزَالَ يَهِيمُ  
وقال آخر:

أَعْطَهَا بِيَدِي إِذْ بَتُّ أَرْشُفَهَا      تَطَاوَلَ عُصْنُ الجِيدِ للجِيدِ  
تَطَاعَمَ فِي حَصْرَاءَ تَاعِمَةٍ      مَطْوَقَانِ أَصَاخًا بعد تغريدِ  
سَمِعْتَ بهلِكَ للبخيلِ فُقلُ وسُخِّقاً له مِنْ هَالِكِ مُودِي  
شعر في الحكم وقال أبو الأسود الدؤلي:

يَسْعَى ثُمَّ يُدْرِكُ مَجْدُحَتِّي يُرَيِّنَ بِالَّذِي لَمْ يَفْعَلِ  
الشَّقِيَّ إِذَا تَكَامَلَ عَيْيُومِي وَيَقْدَفُ بِالَّذِي لَمْ يَعْمَلِ  
حروب لا يزال ربيئةً مشيخُ على محقوقف الصُّلبِ  
مُلَبِدِ

على رزء المصائب حافظُ اليوم أعقاب الأحاديث في  
غِدِ

وجدني أنني لم أقل له ولم أبخل بما ملكتُ يدي

وقال سعيدُ بن عبد الرحمن:

امراً يُمسي وَيُصِيحُ سَالِمِينَ النَّاسِ إِلَّا مَا جَنَى لَسَعِيدُ

وقال أكتُم بنُ صيفي:

وَيَهْلِكُ آبَاؤُنَا وَبَيْنَا تُرَبِّي بَيْنَنَا فَنِينَا

وقال بعضُ المحدثين:

أَسْمَحْتُ لِلْخَطُوبِ فَلَا يُلْقَى فُؤَادِي مِنْ حَارِثٍ يَجِبُ  
الدَّهْرُ فِي قِوَالِبِهِ وَكُلُّ شَيْءٍ لِيَوْمِهِ سَبَبُ

وقال آخر:

لِلْمَوْتِ وَابْتُؤُوا لِلْحَرَابِ فَكَلُّكُمْ يَصِيرُ إِلَى ذَهَابِ  
مَوْتٌ لَمْ أَرِ مِنْكَ بُدًّا أبيتُ فما تَحِيفُ وَلَا تُحَابِي  
قَدْ هَجَمَتْ عَلَى مَشِيبي هَجَمَ الْمَشِيبِ عَلَى شَبَابِي

وقال آخر:

نفس خوضي بحارِ العِلْمِ أَوْ فَالنَّاسُ مِنْ بَيْنِ مَعْمُومٍ  
وَمَخْصُوصٍ

شيء في هذه الدنيا يُحَاطُ إِحَاطَةً مَنْقُوصٍ بِمَنْقُوصٍ

شعر في التشبيه وأنشدنا للأحمر:

مَنْطَلِقِ اللَّبَانَ كَأَنَّهُ سَيِّدٌ تَتَّصَلُ مِنْ حُجُورِ سَعَالِي

وقال الآخر:

لِمَحَاً مِنْ سَهِيلٍ كَأَنَّهُ بَدَا مِنْ دُجِيَةِ اللَّيْلِ يَطْرَفُ

وقالوا: قال خلفُ الأحمر: لم أرَ أجمَعَ مِن بيتِ لامرئ القيس، وهو قوله:

وَجَادَ وَسَادَ وَرَادَ وَقَادَ وَزَادَ وَعَادَ وَأَفْضَلَ

ولا أجمع مِنْ قوله:

أَيْطَلَا ظَنِّي وَسَاقًا نَعَامَةً وَإِرْحَاءُ سِرْحَانٍ وَتَقْرِيْبُ تَنْقُلُ  
وقالوا: ولم نر في التشبيه كقوله، حينَ شَبَّهَ شَيْئَيْنِ بِشَيْئَيْنِ فِي حَالَتَيْنِ مُخْتَلِفَيْنِ فِي بَيْتٍ وَاحِدٍ، وَهُوَ

قوله:

قُلُوبَ الطَّيْرِ رَطْبًا وَيَابَسًا لَدَىٰ وَكُرْهَا الْعُنَابُ وَ الْحَشْفُ  
البالي

قطعة من أشعار النساء وسنذكر قطعة من أشعار النساء، قالت أعرابية:

نِصْوَ أَسْفَارِ أُمِيمَةٍ شَاحِبًا نِصْوِ أَسْفَارٍ فَجَنَّ جُنُونَهَا  
مِنْ أَيِّ النَّاسِ أَنْتَ وَمَنْ فَايَكَ مَوْلَىٰ فِرْقَةٍ لَا تَزِيئُهَا

وقالت امرأة من خثعم:

تَسْأَلُونِي مَنْ أَحَبُّ فَإِنِّي وَبَيْتِ اللَّهِ كَعَبَبِ بْنِ طَارِقِ  
الفتى الجعد السلولي على الناس مُعتاداً لَصْرَبِ  
المفارق

وقالت أخرى:

أَحْسَنَ الدُّنْيَا فِي الدَّارِ خَالِدٍ وَأَقْبَحَهَا لَمَّا تَجَهَرَ غَادِيَا

وقالت أم قروة الغطفانية:

مَاءٌ مَزِينٌ أَيُّ مَاءٍ تَقُولُهُ تَحَدَّرَ مِنْ عُرِّ طِوَالِ الدَّوَابِّ  
بِمُنْعَرَجٍ أَوْ بَطْنِ وَادٍ تَحَدَّرَتْ رِيَّاحُ الصَّيْفِ مِنْ كُلِّ جَانِبِ  
تَسْمُ الرِّيحِ القَدَا عَنْ مَتُونِهِ إِنْ بِهِ عَيْبٌ يَكُونُ لِعَائِبِ  
مِمَّنْ يَقْضُرُ الطَّرْفَ دُونَهُ نُقِيَ اللَّهُ وَاسْتَحْيَاءُ بَعْضِ  
العواقب

وقال بعضُ العشاق:

الَّتِي كَلَّفَتْنِي دَلَجَ السُّرُوحِ وَالْقَطَا بِالْجَلْهَيْنِ جُثُومُ  
الَّتِي أَوْرَثَتْ قَلْبِي حَرَارَةً قَرَحَتْ قَرَحَ القَلْبِ وَهُوَ كَلِيمُ  
الَّتِي أَسْخَطَتْ قَوْمِي الرِّصَا دَانِي الصُّدُودِ كَظِيمُ

فقال المعشوق:

الَّذِي أَخْلَفْتَنِي مَا وَعَدْتَنِي بِمَنْ كَانَ فِيكَ يَلُومُ  
وَأَبْرَزْتَنِي لِلنَّاسِ حَتَّى تَرَكْتَنِي لَهُمْ عَرَضاً أَرْمَى وَأَنْتَ سَلِيمٌ  
قَوْلًا يَكَلِّمُ الْجِسْمَ قَدْ بَجَلْدِي مِنْ قَوْلِ الْوُشَاةِ كُلُّومٌ

وقال آخر:

وَبَيْتِ اللَّهِ أَنْتَ غَادَةٌ      رَدَاخٌ وَأَنَّ الْوَجْهَ مِنْكَ عَتِيقٌ  
تَجْرِينَنِي بِمَوَدَّةٍ      وَلَا أَنَا لِلهَجْرَانِ مِنْكَ مُطِيقٌ  
وَبَيْتِ اللَّهِ أَنْتَ بَارِدٌ أَل      تَنِّيَا وَأَنَّ الْخَصْرَ مِنْكَ رَقِيقٌ  
مَشْبُوحِ الدَّرَاعِينَ خَلَجَمٌ      وَأَنْتَ إِذْ تَخْلُو بِهِنَّ رَفِيقٌ

شعر مختار وقال آخر:

يَعْلَمُ يَا مَغِيرَةَ أَنْنِي      دُسْتُهَا دَوَسَ الْحِصَانَ الْهَيْكَلِ  
فَأَخَذْتُهَا أَخَذَ الْمَقْصَبُ شَاتَهُ      عَجَلَانَ يَشُوِيهَا لِقَوْمٍ نُزَلِ

وقال كعب بن سعد العنوي:

وَحَدَّثْتُمَانِي أَنَّ الْمَوْتَ بِالْفَرَى      فَكَيْفَ وَهَاتَا هَضْبَهُ وَقَلِيبُ  
سَمَاءٍ كَانَ غَيْرَ مَجْمَةٍ      بَبْرِيَّةٍ تَجْرِي عَلَيْهِ جَنُوبُ  
فِي دَارِ صَدَقٍ وَغِبْطَةٍ      اقْتَالَ فِي حُكْمٍ عَلَيَّ طَبِيبُ

وقال دُرَيْدُ بْنُ الصَّمَّةِ

حُرُوبٍ لَا يَزَالُ رَبِيبَةً      مَشِيحٍ عَلَى مُحَقَّقِ الصُّلْبِ  
مُلْبِدِ  
عَلَى رُزَاءِ الْمَصَائِبِ حَافِظِ      الْيَوْمِ أَعْقَابَ الْأَحَادِيثِ فِي  
عَدِ

وَجَدِي أَنَّنِي لَمْ أَقْلُ لَهُ      وَلَمْ أَبْخَلْ بِمَا مَلَكَتْ يَدِي

قطع من البديع وقطعه من البديع قوله:

حَدَّاهَا صَاحِبِي وَرَجَّعَا      وَصَاحَ فِي آثَارِهَا فَاسْمَعَا  
مَنْهَنْ جُلَالًا أَتْلَعَا      أَدْمَكَ فِي مَاءِ الْمَهَاوِي مُنْقَعَا

وقال الراجز في البديع المحمود:

كَنتَ إِذْ حَبْلُ صِبَاكَ مُدْمَشٌ      وَإِذْ أَهَاضِيبُ الشَّبَابِ تَبْعَشُ

ومن هذا البديع المستحسن منه، قولُ حُجْرِ بْنِ خَالِدِ بْنِ مَرْتَدٍ:

سَمِعْتُ بِفِعْلِ الْفَاعِلِينَ فَلَمْ      كِفْعَلِ أَبِي قَابُوسَ حَزْمًا وَنَائِلَا



الْغَمَامُ الْغُرُّ مِنْ كُلِّ بَلَدٍ فَأُضْحَى حَوْلَ بَيْتِكَ تَارِلًا  
مِنْهُ كُلُّ وَادٍ حَلَلْتَهُ كَانَ قَدْ خَوَّى الْمُرَابِيعُ سَائِلًا  
أَنْتَ تَهْلِكُ يَهْلِكُ الْبَاغُ وَالنَّادِ وَتُصْحِي قُلُوصُ الْحَمْدِ جَزْبَاءَ  
حَائِلًا  
مَلِكٌ مَا يَبْلَعَنَّكَ سَعْيُهُ سُوقَةٌ مَا يَمْدَحَنَّكَ بَاطِلًا

## صدق الظن وجودة الفراسة

قال أوس بن حجر:

الألمعيُّ الذي يظنُّ بك الظنَّ كَأَنَّ قَدْ رَأَى وَقَدْ سَمِعَا  
وقال عمر بن الخطاب: إنك لا تتفَعُ بعقل الرَّجُلِ حَتَّى تَعْرِفَ صَدَقَ فَطْنَتُهُ.

وقال أوس بن حجر:

تَجِيحُ أَخُو مَازِقٍ  
وقال أبو الفضة، قاتل أحمَر بن شميطة:

يَأْتِكُمْ حَبْرٌ يَقِينُ  
وقيل لأبي الهذيل: إنك إذا رَاوَعْتَ واعتَلَّتْ - وَأَنْتَ تَكَلِّمُ النِّظَامَ وَقَمْتَ - فَأَحْسَنُ حَالَيْكَ أَنْ يَشْكُ

النَّاسُ فِيكَ وَفِيهِ قَالَ: حَمْسُونَ شَكًّا خَيْرٌ مِنْ يَقِينٍ وَاحِدٍ وَقَالَ كُنَيْزٌ فِي عَبْدِ الْمَلِكِ:

أَبَا الْوَلِيدِ عَدَاةَ جَمْعٍ  
لَهُ وَلَا أَعْيَا جَوَابًا:  
تَحْتَ ذَاكَ الشَّيْبِ  
بِهِ شَيْبٌ وَمَا فَقَدَ الشَّبَابَا  
إِذَا شَابَتْ لِدَاثُ الْمَرْءِ شَابَا  
مَا قَالَ أَمْرَضَ أَوْ أَصَابَا

وليس في جودة الظن بيت شعر أحسن من بيت بلعاء بن قيس:

صواب الظن أعلم أنه  
وقال الله عز وجل: "وَلَقَدْ صَدَقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ طَائِفَةٌ فَاَتَّبَعُوهُ".  
مقادره

وقال ابن أبي ربيعة في الظن:

وَدَعَانِي إِلَى الرَّشَادِ فَوَادُ  
دَهْرٌ لَوْ كُنْتُ فِيهِ قَرِينِي  
كَانَ لِلْعَيِّ مَرَّةً قَدْ دَعَانِي  
غَيْرَ شَكِّ عَرَفْتُ لِي عِصْيَانِي

وَتَقَلَّبْتُ فِي الْفِرَاشِ وَلَا تَع لَمْ إِلَّا الظُّنُونِ أَيْنَ مَكَانِي

## من مختار الشعر

وقال ابنُ أبي ربيعة في غير هذا الباب:

كُنْتُ عَيْنَ النَّصْحِ مِنْهُ إِذَا تَطَرْتُ وَمِسْتَمِعاً مَطِيعاً  
بَغِيَّةً فَتَهَيْتُ عَنْهَا وَقُلْتُ لَهُ أَرَى أَمراً شَنِيعاً  
رَشَادَهُ جَهْدِي، فَلَمَّا أَبِي وَعَصَى أَتَيْنَاهَا جَمِيعاً

وقال معقّر بن حمار البارقي:

لُبُّ الْمَرْءِ يَعْرِضُهُ وَالْقَوْلُ مِثْلُ مَوَاقِعِ النَّبْلِ  
المَقْصَرُّ عَن رَمِيَّتِهِ وَنَوَافِدُ يَذْهَبَنَ بِالْحَصْلِ

## أبيات للمحدثين حسان

وأبيات للمحدثين حسان، قال العنّابي:

نِعْمَةٌ آتَاكُمُ اللَّهُ جَزَلَةً مُبْرَأَةً مِنْ كُلِّ خُلُقٍ يَذِيْمُهَا  
فَسَلَطَتْ أَخْلَاقاً عَلَيْهَا ذَمِيمَةً وَأَوْرَنَهَا حَتَّى تَفَرِّي أَدِيمُهَا  
وَإِشْفَاقاً وَنَطَقاً مِنْ بَعَوْرَاءَ يَجْرِي فِي الرِّجَالِ نَمِيمُهَا

امراً لو شئت أن تبُلُغَ بَلَغت بأدنى نعمة تستدِيمُهَا

فَطَامُ النَّفْسِ أَعْسَرُ الصَّخْرَةِ الصَّمَاءِ حِينَ تَرُومُهَا

محملاً  
وقال أيضاً:

امراً هَيَّابَةً تَسْتَفِرُّ نِيْرَضَاعِي بِأَدْنَى ضَجَعَةٍ أَسْتَلِيْهَا  
أُمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ بِهَمِّ مَقْوَلٍ فِي بَيْلِ الْمَعَالِي فَنُؤُهَا  
أُمَّةَ الْإِسْلَامِ فَهُوَ إِمَامُهَا وَأَدَى إِلَيْهَا الْحَقُّ فَهُوَ أَمِيْنُهَا  
وَيَسْتَنْتِجُ الْعُقَمَاءَ حَتَّى كَأَنَّمَتَلْعَلَّ فِي حَيْثُ اسْتَقَرَّ جَنِيْنُهَا  
كُلُّ مَوْصُوفٍ لَهُ يَهْتَدِي كُلُّ مَنْ أَمَّ الصُّوْيَ يَسْتَبِيْنُهَا  
بِمَسْتَنِّ الْعُلَا، حَيْثُ تَلْظُوْرُفُ أَبْكَارِ الْخُطُوبِ وَعُؤُهَا

وقال الحسن بن هانئ:

لهاؤون إمام الهدى  
الفضل وإشفاقه  
الطاعة ديانها  
علي ما يك من قذرة  
الله فما مثله  
علي الله بمستنكر

وقال عدي بن الرقاع العاملي:

وقصيدة قد بت أجمع بيتها  
المثقف في كعوب قناته  
وعلمت حتى لست أسأل عالما  
الإله على امرئ ودعته

حتى أقوم ميلها وسنادها  
حتى يقيم ثقافه منادها  
واحدة لكي أزدادها  
وأتم نعمته على وزادها

## شعر لبنت عدي بن الرقاع

قال: واجتمع ناس من الشعراء باب عدي بن الرقاع يريدون ممانته ومساجلته، فخرجت إليهم بنت له صغيرة، فقالت:

تجمعنم من كل أوب ومنزل على واحد لا زلتم قرن واحد  
وقال عبد الرحمن بن حسان الأنصاري، وهو صغير:  
يعلم أنني كنت مشتغلاً دار حسان أضطاد العاسيبا  
وقال لأبيه وهو صبي - ورجع إليه وهو يبكي ويقول: لسعني طائر

قال: فصفه لي يا بني قال كأنه ثوب حبرة قال حسان: قال ابني  
الشعر ورب الكعبة وكان الذي لسعه زبوراً.

وقال سهل بن هارون، وهو يختلف إلى الكتاب لجار لهم:

بغلك مبطوناً فقلت له  
فهل تماثل أو نأتيه عوادا

وقال طرفة وهو صبي صغير:

لِكَ الْجَوُّ فَيِضِي وَاصْفِرِي

مِنْ قُبْرَةٍ بِمَعْمَرٍ

وقال بعض الشعراء:

فَسَرَّكَ أَنْ يَعِيشَ فَجِئْ بِزَادِ  
الشَّيْءِ الْمَلْفَفِ فِي الْجَادِ  
لِيَأْكُلَ رَأْسَ لُقْمَانَ بْنِ عَادِ

مَاتَ مَيْتٌ مِنْ تَمِيمٍ  
بِلَحْمٍ أَوْ بِسَمْنٍ  
يَطُوفُ بِالْأَفَاقِ حِرْصًا

وقال الأصمعي: الشيء الملقف في الجاد: السواد: السوط.

وقال أعرابي:

بَكَرَتْ تَلْحَى قَتِيلَةً بَعْدَمَا  
سَوَادِ الرَّأْسِ أبيض واضح  
مِنَ الْمَالِ أَفْنَتْهَا السُّنُونَ  
بِالْإِمْسَاكِ وَالْمَنْعِ تَرْوَةً  
الجَوَائِحُ  
لَهَا: لَا تَعْدُلِينِي فَإِنَّمَا  
النَّدَى تَبْكِي عَلَيَّ النِّوَائِحُ

## أشعار في معانٍ مختلفة

وقال بشائر أبياتاً تجوز في المذاكرة، في باب المنى، وفي باب الحزم، وفي باب المشورة، وناسٌ يجعلونها للجعاع الأزدي، وناسٌ يجعلونها لغيره، وهي قوله:

الرَّأْيُ الْمَشُورَةُ فَاسْتَعِينِي نَصِيحٍ أَوْ نَصِيحَةٍ حَازِمٍ  
تَحْسَبِ الشُّورَى عَلَيْكَ  
عَضَاصَةً  
مَكَانُ الْخَوَافِي رَافِدٌ لِلْقَوَادِمِ

مِنَ الْقُرْبَى الْمُقَرَّبِ  
تُشْهِدِ الشُّورَى امْرَأً غَيْرَ كَاتِمٍ

خَيْرٌ كَفُّ أَمْسِكَ الْغُلُّ أَحْتَهَا خَيْرٌ تَصِلُ لَمْ يُؤَيِّدْ بِقَائِمِ  
تَسْتَطِرِدُ الْهَمَّ بِالْمَنَى تَبْلُغُ الْعَلِيَّا بَعِيرِ الْمَكَارِمِ

وقال بعض الأنصار:

كَدَاءِ الشَّيْخِ لَيْسَ لَهُ شِفَاءُ  
كَمْحَضِ الْمَاءِ لَيْسَ لَهُ إِتَاءُ

خَلَائِقِ الْأَقْوَامِ دَاءُ  
الْقَوْلِ لَيْسَ لَهُ عِنَاؤُ

وقال تأبط شراً - إن كان قألها:-

ذَكَتِ الشَّيْخُورَى قَبْرُودٌ وَظِلُّ  
وَكَلا الطَّعْمَيْنِ قَدْ ذَاقَ كُلُّ

شَامِسٌ فِي الْقُرْحَى إِذَا مَا  
طَعْمَانِ: أَرِيٌّ وَشَرِيٌّ

فِي الْحَيِّ أَحْوَى رِقْلُ      وَإِذَا يَغْدُو فَمِسْمَعُ أَرْلُ  
 الثَّارِ مِنْهُ ابْنُ أُخْتِ      مَصِيعُ عُقْدَتِهِ مَا تُحَلُّ  
 يَرَشِّحُ سُمًّا، كَمَا      أَطْرَقَ أَفْعَى يَنْفُتُ السَّمَّ صِلُ  
 نَابِتًا مُصَمِّئًا      جَلَّ حَتَّى دَقَّ فِيهِ الْأَجَلُ  
 مَاضٍ قَدْ تَرَدَّى بِمَاضٍ      كَسْنَا الْبَرْقِ إِذَا مَا يُسَلُّ  
 فَاسْقِنِيهَا يَا سَوَادَ بَنِ عَمْرُو      إِنَّ جِسْمِي بَعْدَ خَالِي لَخَلُّ

وقال سلامة بن جندل:

سَأَجْزِيكَ بِالْوُدِّ الَّذِي كَانَ بَيْنَنَا      أَصْعَعُ إِتِي سَوْفَ أَجْزِيكَ  
 صَعَصَا  
 سَأُهِدِي وَإِنْ كُنَّا بِتَثْلِيثِ مِدْحَةٍ وَإِنْ حَلَّتْ بِيُوتِكَ لَعْلَعَا  
 يَكُ مَحْمُودًا أَبُوكَ فَوَاجِدْنَاكَ مَحْمُودَ الْخَلَائِقِ أَرْوَعَا  
 شَتَّتْ أَهْدِينَا ثَنَاءً وَمَدْحَتَّتْ أَهْدِينَا لَكُمْ مَائَةً مَعَا

فقال صعصعة بن محمود بن بشر بن عمرو بن مرثد: الثناء والمدحة أحبُّ إلينا، وكان أحمر بن جندل أسيراً فني يده، فخلّني سبيله من غير فداء.

وقال أوس بن حجر، في هذا الشكل من الشعر - وهو يقع في باب الشكر والحمد :-

مَا مَلَّتْ تَوَاءً تَوَيْبَهَا      حَلِيمَةٌ إِذْ أَلْقَى مَرَّاسِي مُقْعَدِ  
 تَلَقْتُ بِالْيَدَيْنِ      بَقْلَجٍ فَالْقِنَافِذِ عُوْدِي  
 صَمَانْتِي  
 عَبَّرْتُ شَهْرِي رَبِيعِ      بِحَمَلِ الْبَلَايَا وَالْخِبَاءِ  
 الْمَمْدَدِ  
 تُلْهَهَا تِلْكَ التَّكَالِيفُ؛      كَمَا شَتَّتَتْ مِنْ أَكْرُومَةٍ  
 وَتَحَرَّرِ  
 سَأَجْزِيكَ أَوْ يَجْزِيكَ عَنِي      وَحَسْبُكَ أَنْ يُتْنَى عَلَيْكَ  
 وَتُحَمِّدِي

وقال أبو يعقوب الأعور :

أَجْزِهِ إِلَّا الْمَوَدَّةَ جَاهِدًا      وَحَسْبُكَ مِنِّي أَنْ أَوَدَّ وَأَجْهَدَا

من شعر الإيجاز

وأبيات تضافُ إلى الإيجاز وَحَدَفَ الفصول، قال بعضهم ووصف كِلَابًا في حالِ شَدِّها وَعَدْوِها، وفي  
سُرعةٍ رفعِ قوائمها ووضعها - فقال:

تَرَقَّعُ ما لَمْ يُوصَعِ

ووصف آخرُ ناقةً بالنشاط والقوَّة فقال:

إِلَّا أَنها صَناعِ

وقال الآخر:

أخفى والنَّهارُ أَفصَحُ

ووصف الآخر قَوْسًا فقال:

كفَّهُ مُعْطِيَةٌ مَنوعُ

وقال الآخر:

كَأَما دَليْلُهُ مَطوِّحُ  
كَأَما بائُوا بِحَيْثُ أَصْبَحُوا

فِيهِ السَّرابُ يَسْبِخُ  
فِيهِ القَوْمُ حَتَّى يَطْلُحُوا

ومثل هذا البيت الأخير قوله:

وكأَما مِنْ عاقِلٍ أَرَمامُ

بَدْرٌ وَصِيلٌ كُتِيفَةُ

ومثله:

وَقُلْتُ قُساَسِ مِنْ الحَرَمِلي

تجاوَزْتُ حُمَراَنَ في ليلَةٍ

ومن الباب الأوَّلِ قوله:

كُلُّ هَمٍّ إِلى فَرَجٍ

الهُمُّ فاعْتَلِجْ

وهذا الشَّعرُ لَجَعِيفٍ \_\_\_\_\_ رانِ المَوْسَى \_\_\_\_\_ وَسِ.

وقال الآخر:

فَتَى إِذا نَبَّهْتَهُ لِمَ يَعْصِبِ  
ولا يَضنُّ بِالمَتاعِ المَحَقَّبِ  
أَقصى رَفِيقِهِ لَهَ كالأَقْرَبِ

أَفْضُ مِنْ صَحْبَةِ رَبي أَرَبِي  
بَسَّامٌ وإِنْ لِمَ يَعْجَبِ  
النَّفْسِ بِحِفْظِ العُيْبِ

وقال دُكَيْنٌ:

بالسُّوطِ في دَيْمومَةٍ كالنَّرسِ

تَعَلَّتْ دَمِيلَ العَنَسِ  
عَرَّجَ اللَّيْلِ بروجَ السُّمَسِ

وقال دُكَيْنٌ أيضاً:

بمَوطِنٍ يُنْبِطُ فِيهِ الْمُحْتَسِي بِالْمَشْرِفِيَّاتِ نِطَافَ الْأَنْفُسِ  
وقال الراجز:

عليهنَّ تكاليف السَّوَالِصِ فِي حِينِ الْهَجِيرِ وَالصَّحَى  
عُجَاهُنَّ فَمَا تَحْتَ الْعُجْرَوَاعِفُ يَخْضِبْنَ مُبْيَضَّ الْحَصَى  
في هذه الأرجوزة يقول:

وَصَحِيحُ الْمَزْنِ بِهَا ثُمَّ بِكِي  
ومن الإيجاز المحذوف قولُ الراجز، ووصف سَتهمه حينَ رَمَى عَيْرًا كَيْفَ تَقَدَّ سَهْمُهُ، وَكَيْفَ صَرَعَهُ،  
وهو قوله:

نَجَا مِنْ جَوْفِهِ وَمَا نَجَا

## شعر في الاعتاظ والزهد

ومما يجوز في باب الاعتاظ قولُ المرأة وهي تطوف بالبيت:

وَهَبْتَ الْفِتْيَةَ السَّلَاهِبُ      وَهَجْمَةً يَحَارُ فِيهَا الْطَالِبُ  
مِثْلَ الْجَرَادِ السَّارِبُ      مَتَاعَ أَيَّامٍ وَكُلُّ دَاهِبُ  
ومثله قولُ المسعودي:

وَأَنْطَفَ كُلُّ شَيْءٍ      إِذْ زَعَزَعْتَهُ الرِّيحُ ذَاهِبُ  
وقال القُدار وكان سيِّدَ عَتْرَةِ فِي الْجَاهِلِيَّةِ:

مُهْرِي فِي الرَّهَانِ لَجَاحِقَنَّ اللَّجَاجَةَ مَا يَصُرُّ وَيَنْفَعُ  
قال: وسمعت عبد الأعلى بن عبد الله بن عامر ينشد - وكان فصيحاً:

لَمْ تَنْفَعِ فَضْرًا فَإِنَّمَا يُرَجَى الْفَتَى كَيْمَا يَضُرُّ وَيَنْفَعَا  
وقال الأخطل:

الْعَدَاوَةُ حَتَّى يُسْتَفَادُ وَأَعْظَمُ النَّاسُ أَحْلَامًا إِذَا قَدَرُوا

وقال حارثة بن بدر:

بِفَاثُورٍ وَمَا كَدَتْ أَطْسِفُهَا وَقَدْ جَرَّبْتُ فِيمَنْ يَجْرِبُ  
وَجَرَّبْتُ مَاذَا الْعَيْشُ إِلَّا تَعْلُهُ      الدَّهْرُ إِلَّا مَنْجَبُونَ يِقْلَبُ  
الْيَوْمُ إِلَّا مِثْلُ أَمْسِ الَّذِي      غَدِ الْجَائِي وَكُلُّ سَيْدِهِبِ

وقال حارثة بن بدر الغداني أيضاً:

الهُمُّ أَمْسَى وَهُوَ دَاءٌ فَأَلْقَاهُ وَلَسْتُ بِمُمْضِيهِ وَأَنْتَ تَعَادِلُهُ  
تُنزِلُنْ أَمْرَ الشَّدِيدَةِ إِذَا رَامَ أَمْرًا عَوَّقْتُهُ  
بِأَمْرِي عَوَازِلُهُ  
لِلْفُؤَادِ إِنْ تَزَايَكَ الرَّوْعُ أَفْرَحُ أَكْثَرَ الرَّوْعِ  
بِأَطْلِهِ

## شعر في الغزو

وقال الحارث بن يزيد وهو جدُّ الأَخِيمِرِ السَّعْدِيِّ وهو يقع في باب الغزو وتمدُّحهم بعد المعزى:

أَعُقُّ وَلَا أَحُو  
لَكِنَّمَا غَزَوِي إِذَا  
بِ وَلَا أُغِيرُ عَلَيَّ مُضِرُّ  
ضَجَّ المَطِيُّ مِنَ الدَّبْرِ  
وقال ابن محفّض المازني:

دِرْعِي يَوْمَ صَحْرَاءِ كَلِيَّةٍ أُصِيبْتُ فَمَا ذَاكُمُ عَلَيَّ بِعَارِ  
مَنْ أَسْلَابِكُمْ قَبْلَ ذَاكُمُ عَلَيَّ وَقَبِي يَوْمًا وَيَوْمَ سَفَارِ  
سِرَابِيلِ ابْنِ دَاوُدَ بَيْنَنَا عَوَارِيُّ وَالْأَيَّامُ وَغَيْرُ قِصَارِ  
طَرَدْنَا الْحَيَّ بَكْرَ بْنَ وَائِلِ إِلَى سَنَةِ مِثْلِ الشَّهَابِ وَتَارِ  
وَطَاعُونَ وَحُمَى وَحَضْبَةَ لَبْدٍ يَغْشَى الْمَهْجَهَجَ ضَارِي  
عَدُوٌّ لَا هَوَادَةَ عِنْدَهُ وَمَنْزِلٌ ذَلٌّ فِي الْحَيَاةِ وَعَارِ

وقال آخر:

العقل إن أعطاكم القوم وكونوا كمن سيم الهوان فأرتعا  
تكثرها فيها الضجاج فإنه  
محا السيف ما قال ابن دارة  
أجمعا

وقال أبو ليلي:

قطاتها كُردوسُ فحل مقلصة على ساقِي ظليم

## شعر في السيادة



وقال أبو سلمى:

للسُّودد من أرماحٍ  
عَدِيدٍ يُتَّقَى بِالرَّاحِ  
وَمِنْ سَفِيهِ دَائِمِ التُّبَاحِ

وقال الهذلي:

سيادة الأقبام فاعلم  
لها صعداءٌ مَطْلَبها طويل  
وقال حارثة بن بدر، وأنشده سفيان بن عُيينة:

الدِّيارُ فَسُدَّتْ غَيْرَ مُسَوِّومِنَ الشَّقَاءِ تَفَرِّدِي بالسُّودِ

### شعر في هجاء السادة

وقال أبو نخيلة:

بِقَوْمِ سَوِّدوكَ لَفَاقَةً  
إلى سَيِّدٍ لَوْ يظْفَرُونَ بسَيِّدٍ  
وقال إياس بن قتادة، في الأحنف بن قيس:

مِنَ السَّادَاتِ مَنْ لَوْ أَطَعْتَهُ دَعَاكَ إلى نارٍ يَفُورُ سَعِيرها  
وقال حُمَيْضة بن حذيفة:

أيظلمهم قسراً فتباً لسعيه  
وكل مطاعٍ لا أبالك يظلم  
وقال آخر:

فأصبحت بعد الحلم في الحيِّ  
تَحْمَطُ فيهم والمسودُّ يظلم

وكان أنس بن مدركة الخثعمي يقول:

على إقامة ذي صباحٍ  
لأمرٍ ما يسودُّ مَنْ يسودُّ  
وقال الآخر:

قال الحمار لسهم رامٍ  
لقد جمعت من شيءٍ لأمر  
وقال أبو حية:

قُلْنَ كلاً قال والتَّع ساطعُ  
بلى وهو واهٍ بالجرائِ أباجله  
وقال آخر:

رأيت أبا العوراء مرتفقاً  
بشطِّ دجلة يشري التمر  
والسمكا

الخيـل تبقي عند مذوولـهـطوت أعلم إذ قفـى بمن تركـا  
مـساعـيك في آثـار سادـتنا تـكن أنت ساعـيه فقـد هـلكـا  
وقال شـتيم بن خـويلد، أحد بني غـراب بن فـزارة:

لسـيـدنا يا حـليـم  
عـديـاً على شـأوهـا  
بها ليلـة كلـها  
إِنَّكَ لَمْ تَأْسِنْ أَسْوَاً رَفِيقَا  
تُعَادِي قَرِيقَا وَتُبْقِي قَرِيقَا  
فَجِئْتَ بِهَا مُؤِيداً حَنْفِيقَا  
وقال ابن ميادة:

ابن قـشـراء العـجان فلم  
لدى بابـه إذناً يسـيراً ولا تُزْلا  
الَّذي ولاك أمر جماعـة  
لأنقص من يمشي على قـدم  
عقلا

### شعر في المجد والسيادة

وقال آخر:

المـجد عن آباء صدق  
المـجد الرفيع تعاورنه  
أسأتا في ديارهم الصنيعا  
بُناة السوء أوشك أن يضيعا  
وقال الآخر:  
المرء أترى ثم قال لقومه السبيد المفضى إليه المعمم  
يعطهم خيراً أبوا أن  
وهان عليهم رعمه وهو أظلم  
يسودهم  
وقال الآخر:

لبحر درهميه ولم يكن ليدفع عني خلتي درهما بحر  
لبحر خدوما واصطر فأنطقهما في غير حمد ولا أجر  
سؤال العشيرة بعد متلسميت بحراً وأكثيت أبا العمر  
وقال الهذلي:

إذا ما الدهر أحدث تكبة شوى ما لم يصبن صيمي  
وقال آخر في غير هذا الباب:

الله أَرْضاً يَعْلَمُ الصَّبُّ  
من الأدواء طيبة البقل

بيته في رأس تَشْرِزِ وكُذِيَةِ امرئٍ في حِرْقَةِ العَيْشِ دُو  
عَقْل

## أبو الحارث جمين والبرذون

وحدّثني المكيُّ قال: نظر أبو الحارث جُمَيْن إلى برذون يُسْتَقَى عليه  
ماءً، فقال: المرء حيث يضع نفسه! هذا لو قد همجج لم يتبل بما  
ترى!

## بين العقل والحظ

وقال عبد العزيز بن زُرارة الكلابي:

لُبُّ اللَّيْبِ بغيرِ حَظٍّ بأغنى في المعيشة من قَتِيلِ  
الحَظِّ يسْتُرُ كلَّ عَيْبٍ وَهَيْهَاتَ الحُظُوظِ من العقولِ

## هجو الخلف

وقال الآخر:

الَّذِينَ أَحْبَبَهُمْ سَلَفًا      وَبَقِيَتْ كالمُقْهَورِ فِي خَلْفِ  
مَطْوِيٍّ عَلَى حَنَقٍ      مُتَّصِجٍ يُكْفَى وَلَا يَكْفِي

## عبد العين

وقال آخر:

كَعَبْدِ العَيْنِ أَمَا لِقَاؤُهُ      فَيَرْضَى وَأَمَا غَيْبُهُ فَظُنُونُ

ويقال للمرائي، ولمن إذا رأى صاحبه تحرّك له وأراه الخدّمة  
والسرعة في طاعته فإذا غاب عنه وعن عينه خالف ذلك: إنّما هو عبْدُ  
عَيْنٍ

وقال الله عزّ وجلّ: "وَمِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مَنْ إِنْ تَأْمَنَهُ بِقِنطَارٍ يُؤَدُّهُ  
إِلَيْكَ" وَمِنْهُمْ مَنْ إِنْ تَأْمَنَهُ بِدِينَارٍ لَا يُؤَدُّهُ إِلَيْكَ إِلَّا مَا دُمْتَ عَلَيْهِ قائماً".

### من إيجاز القرآن

وقد ذكرنا أبياتاً تُضاف إلى الإيجاز وقِلّة الفُضول، ولي كتابُ جَمَعْتُ  
فيه آياً من القرآن؛ لتعرّفَ بها فصل ما بين الإيجاز والحَدْف، وبين  
الرّوائد والفُضول والاستعارات، فإذا قرأتها رأيت فضلها في الإيجاز  
والجَمْع للمعاني الكثيرة بالألفاظ القليلة على الذي كتبتُه لك في باب  
الإيجاز وترك الفُضول، فمنها قوله حينَ وصفَ خمرَ أهلِ الجنّة: "لَا  
يُصَدَّعُونَ عَنْهَا وَلَا يُنْزِفُونَ" وهاتان الكلمتان قد جَمَعتا جميعَ عُيوبِ  
خمرِ أهلِ الدُّنيا.

وقوله عزّ وجل حينَ ذكر فاكهة أهلِ الجنّة فقال: "لَا مَقْطُوعَةٍ وَلَا  
مَمْنُوعَةٍ". جمع بهاتين الكلمتين جميعَ تلك المعاني.

وهذا كثيرٌ قد دللتك عليه، فإن أردته فموضعه مشهور.

## رأي أعرابي في تدمير المال

وقال أعرابي من بني أسد:

يُقُولُونَ تَمَّرَ مَا اسْتَطَعْتَ وَإِنَّمَا لِوَارِثِهِ مَا تَمَّرَ الْمَالَ كَاسِبُهُ  
وَأَطْعَمُهُ وَخَالِسُهُ وَارِثًا شَحِيحًا وَدِهْرًا تَعْتَرِيكَ نَوَائِبُهُ

### شعر في الهجاء

وقال رجلٌ من بني عَبَس:

قُرَادًا لَقَدْ حَكَمْتُمْ رَجُلًا يَعْرِفُ النَّصْفَ بَلْ قَدْ جَاوَزَ  
النَّصْفَا  
أَمْرًا ثَائِرًا وَالْحَقُّ يَعْلِبُهُ فَجَاءَتِ السَّهْلَ سَهْلَ الْحَقِّ  
واعتسفا  
أَنَّ دُلَّ الْجَارَ حَالِقُ الْكُلْمِ أَنْفَكُمْ لَا يَعْرِفُ الْأَنْفَا  
الْمَحْكَمَ مَا لَمْ يَرْتَقِبْ يَرْهَبِ السَّيْفِ أَوْ حَدَّ الْقَنَا  
حَسَبًا  
بِالسَّيْفِ لَاقَى قَرَضَهُ مَوْتًا عَلَى عَجَلٍ أَوْ عَاشَ  
مُنْتَصِفًا  
الْحَيَاةَ بِهَا إِذْ سَامَ طَالِبُهُمَا رَوَاحًا وَإِمَا مِتَّةً أَنْفَا  
أَمْرًا خَالِدًا وَالْمَوْتُ هَاتِيكَ أَجْسَادُ عَادٍ أَصْبَحَتْ  
يَطْلُبُهُ  
لَدَيْكَ أَبَا كَعْبِ الَّذِي بَيْنَنَا قَدْ مَاتَ أَوْ  
مَقْلَعَةَ دِنْفَا  
أُمُورٌ فَجَاءَتِ عَنِ الْعَزِيمَةِ حَتَّى أَنْجَابَ  
وَأَنْكَشَفَا  
لَأَعْلَمُ ظَهَرَ الصُّغْنِ عَنِّي، وَأَعْلَمُ أَنِّي أَكُلُ  
أَعْدِلُهُ الْكَتْفَا

### شعر حكيم

وقال أسقف نجران:

البَقَاءُ تَصْرَفُ الشَّمْسِ وَطُلُوعُهَا مِنْ حَيْثُ لَا تُمْسِي  
وَطُلُوعُهَا بَيضَاءَ صَافِيَةً وَغُرُوبُهَا صَفْرَاءَ كَالْوَرِيسِ  
أَعْلَمُ مَا يَجِيءُ بِهِ وَمَضَى بِقَصَلِ قَضَائِهِ أَمْسِ

وقال عبيد بن الأبرص:

ذِي عَيبَةٍ يَأُوبُ  
يَسْأَلُ النَّاسَ يَحْرِمُوهُ  
مِثْلُ ذَاتِ رَحْمٍ  
بِمَا شَتَّتْ فَقَدْ يُبْلَغُ بِالضَّ  
مَا عَاشَ فِي تَكْذِيبِ  
وَعَائِبُ الْمَوْتِ لَا يَأُوبُ  
وَسَائِلُ اللَّهِ لَا يَخِيبُ  
وَعَانِمٌ مِثْلُ مَنْ يَخِيبُ  
عَفْ وَقَدْ يُخَدَعُ الْأَرِيبُ  
طُولُ الْحَيَاةِ لَهُ تَعْذِيبُ

وقال آخر:

الرِّجَالُ وَلَدَتْ أَوْلَادَهَا  
وَجَعَلَتْ أَوْصَابَهَا تَعْتَادَهَا  
وَاضْطَرَبَتْ مِنْ كِبَرِ أَعْضَادِهَا  
فَهِيَ زُرُوعٌ قَدْ دَنَا حَصَادِهَا

### مرثية في محمد المخلوع

وقال بنت عيسى بن جعفر وكان مُمْلَكَةً لمحمد المخلوع حين قتل:

لَا لِلتَّعِيمِ وَالْأَنْسِ  
عَلَى فَارِسٍ فُجِعْتُ بِهِ  
لِلْمَعَالِي وَالرُّمَحِ وَالْفَرَسِ  
أَزْمَلَنِي قَبْلَ لَيْلَةِ الْعَرَسِ

### من نعت النساء

وقال سلم الخاسر:

فَقَلْتُ الشَّمْسُ عِنْدَ  
طُلُوعِهَا  
نَقِيَّ اللَّوْنِ مِنْ أَثَرِ الْوَرِيسِ  
عَلَى مِرْيَةٍ: مَا هَاهُنَا مَطْلَعُ  
الشَّمْسِ  
كَرَزْتُ الطَّرْفَ قَلْتُ  
لِصَاحِبِي

### شعر رثاء

وقال الآخر:

حَزَنًا بَدَفِنِكَ ثُمَّ أَتَيْتَنِي نَفْصَتُ ثُرَابِ قَبْرِكَ عَنْ يَدَيَّ  
فِي حَيَاتِكَ لِي عِظَاتٌ وَأَنْتَ الْيَوْمَ أَوْعِظُ مِنْكَ حَيًّا

## المديح بالجمال وغيره

قال مزاحم العقيلي:

سَنَا الْمَاوِيَّ كُلَّ عَشِيَّةٍ عَقَلَاتِ الزَّيْنِ وَالْمَتَجَمِّلِ  
لَوْ أَنَّ الْمَدْلَجِينَ اعْتَشَوْا لَدَعْنَ الدُّجَى حَتَّى تَرَى اللَّيْلَ  
يُنْجَلِي

وقال الشمرذل:

جَرَى الْمَسْكُ يَنْدَى فِي رَاخُوا كَأَنَّهُمْ مَرَضَى مِنَ الْكَرَمِ  
مَفَارِقِهِمْ  
يَشَبَّهُونَ مَلُوكًا مِنْ تَجَلَّتْهُمْ طُولِ أَنْضِيَةِ الْأَعْنَاقِ وَالْأُمَمِ  
النضى: السهم الذي لم يُرَش، يعني أن أعناقهم مُلسنٌ مستوية، والأمم: القامات.

وقال الفئال الكلابي:

لَيْتَنِي وَالْمُنَى لَيْسَتْ بِنَافِعِ الْمَالِكِ أَوْ لِحِصْنِ أَوْ لِسَيَّارِ  
أَنْضِيَةِ الْأَعْنَاقِ لَمْ يَجِدُوا يَخِ الْإِمَاءِ إِذَا رَاحَتْ بِأَرْفَارِ  
يَرْصَعُوا الدَّهْرَ إِلَّا تَدْيٍ وَالْوَالِصِحِ الْوَجْهِ يَحْمِي بِأَحَةِ الدَّارِ

وقال آخر:

عَقْلُ قَلْبِي إِنْ عَقَلْنَا الشَّاءَ لَمْ نُحَلِّمْ عَلَيْنَا الْأَبَاعِرُ  
أَمْرًا بَعْدِي يُبَادِلُ وَدَّكُمْ بَنِي ذَبِيانِ مَوْلَى لَخَاسِرُ  
قَوْمٌ لَا يُهَانُ هَدْيِهِمْ صَرَّحَتْ كَحَلُّ وَهَبَّتْ أَعَاصِرُ  
بِالْحَيْلِ الْعِتَاقِ إِذَا عَدَّوْا بِأَيْدِيهِمْ خَطِيئَةَ وَبَوَاتِرُ

وقال أبو الطمَّحان القيني في المعنى الذي ذكرنا:

فِيهِمْ مِنْ سَيِّدٍ وَابْنِ سَيِّدٍ وَفِي بَعْقِدِ الْجَارِ، حِينَ يُفَارِقُهُ  
الْعَمَامُ الْعُرُّ يُزْعِدُ أَنْ رَأَى وَجُوهَ بَنِي لَامٍ وَيَنْهَلُ بَارِقَهُ

وقال لقيط بن زرارة:

مِنَ الْقَوْمِ الَّذِينَ عَرَفْتُمْ مَاتَ مِنْهُمْ سَيِّدٌ قَامَ صَاحِبُهُ

سماءٍ كُلِّما غار  
كوكبٌ  
بَدَا كَوَكَبٌ تَأوي إليه  
كواكبُه  
أضاءَتْ لَهُمُ أَحسابُهُمُ  
اللَّيْلِ حَتَّى تَظْمَ الْجَزَعِ  
وَوُجُوهُهُمُ  
ثاقِبُه

وقال بعض التميميين، يمدح عوفَ بنَ القَعْقاعِ بنِ مَعْبَدِ بنِ زرارَةَ:

امرئُ سرو عتيبة خاله وأنت لَقَعقاعُ وعمُّك حاجبُ  
نجوم كلما انقضَّ كوكبُكوكب ترفضُّ عنه الكواكبُ

وقال طَقِيلُ العَنَوِيُّ:

هُرَيْمٌ مِنْ سِنانٍ خَلِيفَتَمُرُو وَمِنْ أَسْماءَ لَمَّا تَعَيَّبُوا  
ظلام كلما غاب كوكبُ  
ساطِعاً في جِنْدِسِ اللَّيْلِ  
كوكب

وقال الخَرَيْمِيُّ، يمدح بني حُرَيْمٍ من آلِ سنانِ بنِ أبي حارثة:

أقمارٍ من العُرِّ لو حَبَّتْ لَظَلَّتْ مَعَدُّ في الدُّجى تَتَكَبَّعُ  
قَمَرٌ مِنْهُمُ تَعَوَّرَ أو حَبَا  
قَمَرٌ في جانبِ اللَّيْلِ يَلْمَعُ

وقال بعضُ غَنِيِّ وهو يمدح جماعةَ إخوة، أنشدنيها أبو قَطَنٍ الذي يقال له شهيد الكَرَمِ:

أولو فُضُولٍ وَأَنْفالٍ وَأَخْطارٍ

بَنِي عَمرو فَأَيُّهُمْ  
وَالْحَيَّرَ يُعْطَوْهُ، وَإِنْ جُهِدُوا فَالْجَهْدُ يُخْرَجُ  
بِبِ أخبار

دَتَّهُمُ لائُوا، وَإِنْ شَهِمُوا كَشَفَتْ أذْمارَ حَرْبِ

مِنْهُمْ تَقُلْ لاقِيَتْ سَيِّدَهُمْ مِثْلُ النُّجُومِ التي  
ها السَّاري

وقال رجلٌ من بني نهشل:

لِمِنْ مَعْشَرِ أَفْتَى أوائِلِهِمْ  
الكُماةِ أَلَا أَيْنَ المَحامُونا

فارسٌ خالَهُمُ إِيَّاهُ يَعْتُونا

في الألفِ مِنا واحداً

يَذْهَبُ مِنا سَيِّدُ أبدأ

افتلينا غلاماً سَيِّداً فينا

وفي المعنى الأول يقول التابغة الأبياني:

لأنَّ اللهَ أعطاك سُورَةَ تَرى كُلَّ مُلْكٍ دُونِها يَتَدَبَّدَبُ



شمسُ والملوكِ كواكبُ طلعتْ لم يَبْدُ منهمْ كوكبُ

وفي غير ذلك من المديح يقول الشاعر:

حَيًّا فِي الْحُرُوبِ مَحْلُهُو الْجَيْشُ بِاسْمِ أَبِيهِمْ يُسْتَهْرَمُ

وفي ذلك يقول الفرزدق:

وكيعاً خيلٌ ليلٍ مُغيرُهُ      تَسَاقَى السَّمَامَ بِالرُّدِّيَّةِ  
السَّمْرِ

مثلهم فاستهزموهم      وكيعاً والرِّمَاحُ بهم تجري

بدعوةٍ

وأما قول الشاعر:

المحتد أو هزام

فإنَّما دَهَبَ إِلَى أَنَّ الدَّعْوَةَ إِذَا قَامَ بِهَا خَامِلُ الدُّكْرِ وَالنَّسَبِ فَلَا يَحْسُدُهُ مِنْ أَكْفَائِهِ أَحَدٌ وَأَمَّا إِذَا قَامَ  
بِهَا مَذْكُورٌ يُبْمَنُ التَّنْقِيَةَ، وَبِالطَّعْرِ الْمُتَتَابِعِ، فَذَلِكَ أَجُودُ مَا يَكُونُ، وَأَقْرَبُ إِلَى تَمَامِ الْأَمْرِ.

وقال الفرزدق:

مَنْيَ وُدِّ بَكْرِ بْنِ وَائِلٍ      وَمَا كَانَ وُدِّي عَنْهُمْ يَنْصَرِّمُ  
قَوَارِصُ تَأْتِينِي وَيَحْتَقِرُونَهَا      وَقَدْ يَمَلَأُ الْقَطْرُ الْأَنَاءَ فَيُفَعِّمُ

وقال الفرزدق:

أَرَاهُ وَاحِدًا لَا أَحَالَهُ      يَوْمَلَهُ فِي الْوَارِثِينَ الْأَبَاعِدُ  
يَوْمًا أَنْ تَرَبَّنِي كَأَنَّمَا      بَنِي حَوَالِي الْأَسُودِ الْحَوَارِدُ  
تَمِيمًا قَبْلَ أَنْ يَلِدَ الْحَصَى زَمَانًا      وَهُوَ فِي النَّاسِ وَاحِدُ

وقال الفرزدق أيضاً:

كَانَ سَيْفُ خَانَ أَوْ قَدَرُ أَتْلَهِيقاتِ يَوْمِ حَنْفُهُ غَيْرَ شَاهِدِ  
بَنِي عَبَّسٍ وَقَدْ صَبَرُوا بِهَيْدِي وَرِقَاءَ عَنِ رَأْسِ خَالِدِ  
سُيُوفِ الْهِنْدِ تَبُّو ظُبَانُهُو لِقَطْعِنَ أَحْيَانًا      مَنَاطَ الْقَلَائِدِ

## ?? خير قصار القصائد

وإن أحببت أن تروي من قصار القصائد شعراً لم يُسمَع بمثله،

فالتَّمِيسُ ذَلِكَ فِي قِصَارِ قِصَائِدِ الْقَرَزْدَقِ؛ فَإِنَّكَ لَمْ تَرَ شَاعِرًا قَطُّ

يَجْمَعُ التَّجْوِيدَ فِي الْقِصَارِ وَالطَّلْوَالِ غَيْرًا. وَقَدْ قِيلَ لِلْكَمِيتِ: إِنَّ النَّاسَ  
يُرْعَمُونَ أَتَيْكَ لَا تَقْدِرُ عَلَى الْقِصَارِ قَالَ: مَنْ قَالَ الطَّلْوَالِ فَهُوَ عَلَى  
الْقِصَارِ أَقْصَرُ.  
هَذَا الْكَلَامُ يَخْرُجُ فِي ظَاهِرِ الرَّأْيِ وَالظَّنِّ، وَلَمْ نَجِدْ ذَلِكَ عِنْدَ التَّحْصِيلِ  
عَلَى مَا قَالُوا.  
وَقِيلَ لِعَقِيلِ بْنِ عُثْفَةَ: لِمَ لَا تُطِيلُ الْهَجَاءَ؟ قَالَ: يَكْفِيكَ مِنَ الْقِلَادَةِ مَا  
أَخْرَجَ بِطَبْعِ الْعُنُقِ.  
وَقِيلَ لَجَرِيرٍ: إِلَى كَمْ تَهْجُو النَّاسَ؟ قَالَ: إِنِّي لَا أَبْتَدِي، وَلَكِنِّي أَعْتَدِي.  
وَقِيلَ لَهُ: لِمَ لَا تَقْصُرَ؟ قَالَ: إِنَّ الْجَمَاحَ يَمْنَعُ الْأَذَى.

## شعر مختار

قال عبيد بن الأبرص:

أَنَّ بَنِي جَدِيلَةَ أَوْعَبُوا نُقْرَاءَ مَنْ سَلَّمَى لَنَا وَتَكْتَبُوا  
جَرَى لَهُمْ فَلَمْ يَتَعَيَّفُوا تَيْسُ قَعِيدُ كَالْهَرَاوَةِ أَعْصَبُ  
الْفِرَاحِ عَلَى خَشَائِشِ هَشِيمَتِكَ بِطِ السَّمَائِلِ يَنْعَبُ  
فَتَجَاوَزُوا دَاكُمُ إِلَيْنَا كُلَّهُ عَدَاوًا وَقَرْطَبَةً فَلَمَّا قَرَّبُوا  
بُمُرَّانِ الْوَشِيحِ فَمَا تَرَخَّلَفَ الْأَسِنَّةِ غَيْرَ عِرْقٍ يَشْحَبُ  
الْيَعْبُوبَ بَعْدَ إِلَهُهِمْ صَتْمًا ففِرُّوا يَا جَدِيلَ وَأَعْدِبُوا

وقال آخر:

حَسَّانَ بَيْنَ مَيْسِرَةِ الْبُحْيُحَى إِلَى جِيرَانِهِ كَيْفَ يَصْنَعُ  
مَتَارِيْبُ مَا تَنْفَكُ مِنْهُمْ عِصَابَةٌ إِلَيْهِ سِرَاعًا يَحْضُدُونَ وَيَزْرَعُ

## شعر في قوله يريد أن يعرِّبه فيعجمه

وباب آخر مثلُ قوله:

أَنْ يُعْرِبَهُ فَيُعْجِمَهُ

وقال آخر:

مَنْ يَحْفَظَهَا يُضْيِعُهَا

وقال آخر:

يَنْفَعُهُ التَّثْقِيفُ

وقال بعض المحدثين في هذا المعنى:

حَاوَلُوا أَنْ يَشْعَبُوهَا رَأَيْتَهَا الشَّعْبُ لَا تَزْدَادُ إِلَّا تَدَاعِيَا

وقال صالح بن عبد القدوس:

حَتَّى يُوَارَى فِي تَرَى رَمْسِيهِ  
كَذِي الصَّنَا عَادَ إِلَى نُكْسِيهِ

وَالشَّيْخُ لَا يَنْزُكَ أَخْلَاقَهُ  
أَزْعَوَى عَادَ إِلَى جَهْلِهِ

ومثل هذا قوله:

وَتَرَوْضُ عَزْسَكَ بَعْدَ مَا هَرِمْتُ وَمِنَ الْعَنَاءِ رِيَاضَةُ الْهَرَمِ

وقال حُسيب بن عُرفطة:

بُغْضُ فِي الصَّدِيقِ وَظِنُهُ وَتَحْدِيثُكَ الشَّيْءِ الَّذِي أَنْتَ  
كَازِبُهُ مَشْنُوهُ إِلَى كُلِّ صَاحِبٍ وَمِثْلُ الشَّرِّ يُكْرَهُ جَانِبُهُ  
مِهْدَاءُ الْحَنَا تَطِيفُ النَّسَاءِ شَدِيدُ السَّبَابِ رَافِعُ الصَّوْتِ  
غَالِبُهُ مِثْلَ الْجَهْلِ يَدْعُو إِلَى وَلَا مِثْلَ بُغْضِ النَّاسِ غَمَّضَ  
صَاحِبُهُ

كلمة للزُّبرقان وقال الأصمعي: قال الزُّبرقان بن بدر: حَصَلَتَانِ كَبِيرَتَانِ فِي أَمْرِ السُّوءِ: شِدَّةُ

السُّوءِ، وَكَلِمَةُ الْبَابِ، وَكَلِمَةُ الثَّرَةِ اللَّطِّ، وَكَلِمَةُ الْبَابِ.

تمجيد الأقارب وقال خالد بن تَصْلَةُ:

لَرَهْطُ الْمَرءِ خَيْرٌ بَقِيَّةً وَلَوْ عَالُوا بِهِ كُلَّ مَرْكَبِ  
الْجَانِبِ الْأَقْصَى وَإِنْ كَانَ كَثِيرًا وَلَا يُنْبِكُ مِثْلُ الْمَجْرَبِ

كُنْتُ فِي قَوْمٍ عِدَاءَ لَسْتُ فَكُلُّ مَا عُثِفَتْ مِنْ حَبِيثٍ  
وَطَيِّبٍ  
تَلْتَبِسُ بِي حَيْلُ دُودَانَ لَا كُنْتُ ذَا دَنْبٍ وَإِنْ عَيْرَ مُذْنِبٍ

## بكل وادٍ بنو سعد

قال: ولَمَّا تَأَدَّى الْأَضْبَطُ بَنُ قَرِيعٍ فِي بَنِي سَعْدٍ تَحَوَّلَ عَنْهُمْ إِلَى آخَرِينَ فَأَدَّوهُ فَقَالَ: بَكَلٌ وادٍ بنو

عد.

مقطعات شتى وقال سُحَيْمُ بْنُ وَثِيلٍ:

لَيْسَ زَيْنَ الرَّحْلِ قِطْعٌ وَنُمُولُكَنَّ زَيْنَ الرَّحْلِ يَا مَيَّ رَاكِبُهُ  
وقال أعرابي:

وَجَدُّ مِلْوَاحٍ مِنَ الْهَيْمِ خَلَّتْ الْمَاءَ حَتَّى جَوْفَهَا يَتَّصِلُ  
وَتَغَشَّاهَا الْعِصِيُّ وَحَوْلَهَا أَقَاطِيعُ أَنْعَامٍ تُعَلُّ وَتُنْهَلُّ  
مَتْنِي عُلَّةً وَتَعْطِفَا إِلَى الْوَرْدِ إِلَّا أَتْنِي أَتَجَمَّلُ  
وقال خالد بن علقمة ابن الطيفان، في عيب أخذ العقل والرضا  
بشيءٍ دون الدَّم، فقال:

الَّذِي أَصْبَحْتُمْ تَحْلُبُونَهُ عَيْرَ أَنَّ اللَّوْنَ لَيْسَ بِأَحْمَرَ  
ثُوْعِدُوا أَوْلَادَ حَيَّانَ بَعْدَ وَطِينَتُمْ وَزَوْجَتُمْ سَيَّالَةَ مِسْهَرَا  
وَأَعْجَبَ قَرْدٍ يَقْصِمُ الْقَمْلَ إِذَا عَبَّ فِي الْبَقِيَّةِ بَرَبَرَا  
سَكَبُوا فِي الْقَعْبِ مِنْ ذِي رَأْوَا لَوْتَهُ فِي الْقَعْبِ وَرَدَّا  
وَأَشْقَرَا

## الغضب والجنون

في المواضع التي يكون فيها محموداً

قال الأشهبُ بن رُمَيْلة:

المَقَادَة من لا يستقيدُ لها  
واعصُوصب السَّيرُ وارْتدُّ  
المساكينُ

أشعتَ قد مالتَ  
عِمَامَتُهُ  
مِنْ ضِرَارِ الصَّيْمِ مَجْنُونِ

وقال في شبيه ذلك أبو الغول الطُّهويُّ: قَدَتِ نَفْسِي وَمَا مَلَكَتْ يَمِينِي مَعَاشِرَ صُدَّقَتْ فِيهِمْ طُنُونِي  
مَعَاشِرَ لَا يَمْلُونَ الْمَنَايَا إِذَا دَارَتْ رَحَى الْحَرْبِ الطَّحُونِ وَلَا يَجْزُونَ مِنْ خَيْرِ بَشَرٍ وَلَا يَجْزُونَ مِنْ غَلَطِ  
يَلِينِ وَلَا تَبْلَى بَسَالَتُهُمْ وَإِنْ هُمْ صَلُّوا بِالْحَرْبِ حِينًا بَعْدَ حِينٍ هُمْ أَحْمَوُا حِمَى الْوَقَيْبِ بَصْرَبٍ يُؤَلِّفُ بَيْنَ  
أَشْتَاتِ الْمَنُونِ فَتَكَبَّ عَنْهُمْ دَرَاءُ الْأَعَادِي وَدَاوُوا بِالْجُنُونِ مِنَ الْجَنُونِ وَقَالَ ابْنُ الطُّرَيْبِ:

لم أنلُ منكم معاقبَةً لَذاقَ الموتِ مَظعونُ  
بالسَّيفِ إن خَطيَبَ السَّيفِ  
لاختَطبُتُ فإني قد هَممتُ به  
مَجْنُونُ

وقال آخر:

تَامِكَةُ السَّنَامِ كَأَنَّهَا  
بِهَا يَوْمَ الْوَدَاعِ يَمِينُهُ  
جَمَلٌ بِهَوْدَجِ أَهْلِهِ مَظْعُونُ  
كَلْتًا يَدَيَّ عَمَرُوا الْعَدَاةَ يَمِينُ  
إِلَّا كَرِيمُ الْخِيَمِ أَوْ مَجْنُونُ  
وفي هذا المعنى يقول حسان، أو ابنه عبد الرحمن بن حسان:

شَرَحَ الشَّبَابِ وَالشَّعَرَ الْأَسْنُ وَدَ مَا لَمْ يُعَاصَ كَانَ جُنُونًا  
يَكُنْ غَتًّا مِنْ رِقَاشِ حَدِيثٍ فِيمَا نَأْكُلُ الْحَدِيثَ سَمِينًا  
وفي شبيه ذلك قول الشُّنْفَرِيِّ:

وَجَلَّتْ وَاسْبَكَرَّتْ وَأُكْمِلَتْ فَوَلَّ جُنَّ إِنْسَانٌ مِنَ الْحُسْنِ  
جُنَّتِ

وقال القُطاميُّ - حين وصف إفراط ناقته في المرح والنشاط:

سَامِيَةَ الْعَيْنَيْنِ تَحْسَبُهُ جُنُونَةً أَوْ تُرَى مَا لَا تَرَى الْإِبِلُ  
وقال ابنُ أَحْمَرَ، في معنى التشبيه والاشتقاق:

مِنْ قَسَا دَفَرِ الْخُرَامِي  
فَوْقَهُ الْقَلْعُ السَّوَارِي  
تَدَاعَى الْجَرِيَاءُ بِهِ الْحِينَا  
وَجُنَّ الْخَازِبَارِ بِهِ جُنُونَا  
وفي مثل ذلك يقول الأعشى:

الغَيْثُ صَوْبُهُ وَصَعُ الْقِدِّ  
حَ وَجُنَّ التَّلَاعُ وَالْآفَاقُ

يَزِدُّهُمْ سَفَاهَةً نَشْوَةَ الْخَمِّ ر وَلَا اللَّهُ فِيهِمْ وَالسَّبَاقُ  
وقال آخر في باب المزاح والبطالة، مما أنشدني أبو الأصغ بن ربعي:

بمجنونٍ يسيلُ لُغَابُهُ صاحبي إلا الصَّحِيحُ الْمَسْلَمُ  
وأنشدني إبراهيم بن هانئ، وعبد الرحمن بن منصور:

مجنون ولست بواحدٍ طيباً يداوي من جنون جنون

## إبراهيم بن هانئ والشعر

وكان إبراهيم بن هانئ لا يقيم شعراً ولا أدري كيف أقام هذا البيت.  
وكان يدعى بحضرة أبي إسحاق علم الحساب، والكلام، والهندسة،  
واللحون، وأنه يقول الشعر؛ فقال أبو إسحاق: نحن لم نمتجك في  
هذه الأمور، فلك أن تدعيها عندنا، كيف صرت تدعي قول الشعر،  
وأنت إذا رويته لغيرك كسرتة؟ قال: فإني هكذا طبعث، أن أقيمه إذا  
قلت، وأكسره إذا أنشدت قال أبو إسحاق: ما بعد هذا الكلام كلام.

## جواب أعرابي

وقلت لأعرابي، أيما أشد غلماً: المرأة أو الرجل؟ فأنشد:

ما أدري وإني لسائلٌ      أأليز أدنى للفجور أو الجر  
جاء هذا مخرجاً من عنانه      وأقبل هذا فاتحاً فاه يهدر

## مقطعات شتى

وأنشد بعضهم:

الشَّيْبُ فِي الْمَفَارِقِ وَاشْتَعَلَى الرَّأْسُ مِنْ بِيَاضِ قِنَاعَا  
وَلَى الشَّبَابُ إِلَّا سَقَلِيلاً ثُمَّ يَأْتِي الْقَلِيلُ إِلَّا نَزَاعَا

وأشُد محمد بن يسير:

تُخَاصِرُنِي لِقُبَّتِهَا  
يَرَى أَنَّ الشَّبَابَ لَهُ  
خَوْدٌ تَأَطَّرَ نَاعِمٌ بِكَرُّ  
فِي كُلِّ مَبْلَغٍ لَدَّةٍ عُذْرٌ

وقال الآخر في خلاف ذلك، أشدنيه محمد بن هشام السدري:

تَعذَّرَانِي فِي الْإِسَاءَةِ إِنَّهُ  
الرِّجَالُ مَنْ يَسِيءُ فَيُعذَّرُ

وقال ابن فسوة:

قَلُوصِي عُرِّيتَ أَوْ رَحَلْتَهَا حَسَنَ فِي دَارِهِ وَابْنَ جَعْفَرَ  
مَعَشَرَ لَا يَخْصِفُونَ نِعَالَهُمْ لَبَسُونَ السُّبْتَ مَا لَمْ يُحْضَرَ

وقال الطَّرِمَاحُ بْنُ حَكِيمٍ، وَهُوَ أَبُو نَعْرٍ:

زَادَنِي حُبًّا لِتَفْسِيهِ أَنْبَغِيضُ إِلَى كُلِّ أَمْرٍ غَيْرِ طَائِلِ  
رَأَيْ قَطَعَ الطَّرْفَ بَيْنَ وَبَيْنِي فَعَلَ الْعَارِفِ الْمُتَجَاهِلِ  
عَلَيْهِ الْأَرْضُ حَتَّى كَانَتْهَا الصَّيْقُ فِي عَيْنَيْهِ كِفَّةٌ حَابِلِ

وقال آخر:

أَبْصَرْتَنِي أَعْرَضْتَ عَنِّي  
كَأَنَّ الشَّمْسَ مِنْ قِبَلِي تَدُورُ

وقال الخُرَيْمِيُّ وَذَكَرَ عَمَاهُ:

إِذَا التَّقِينَا عَمَّنْ يَحْيِينِي  
أَفْصَلَ بَيْنَ الشَّرِيفِ وَالذُّونِ  
أَخْطِئُ، وَالسَّمْعُ غَيْرُ مَأْمُونِ  
لَوْ أَنَّ دَهْرًا بِهَا يَوَاتِينِي  
تَعْمِيرَ نُوحٍ فِي مُلْكِ قَارُونِ  
إِلَى قَائِدِي لِيخْبِرَنِي  
أَنْ أَعْدَلَ السَّلَامَ وَأَنْ  
مَا لَا أَرَى فَأَكْرَهُ أَنْ  
عَيْنِي الَّتِي فَجَعْتُ بِهَا  
كُنْتُ خَيْرْتُ مَا أَخَذْتُ بِهَا

وقال بعضُ القدماء:

قُصُورًا نَفَعَهَا لِبَنِي بُقَيْلِهِ  
وَأَمْرُ اللَّهِ يَحْدُثُ كُلَّ لَيْلِهِ  
حَوْشَبًا أَضْحَى يُبْنِي  
أَنْ يُعَمَّرَ عُمَرُ نُوحٍ

وقال ابن عَبَّاسٍ بَعْدَ مَا ذَهَبَ بِصْرِهِ:

يَأْخُذُ اللَّهُ مِنْ عَيْنِي نُورَهُمْ فِلْهِ لِسَانِي وَقَلْبِي مِنْهُمَا نُورُ  
ذَكِيٍّ وَعَقْلِي غَيْرُ ذِي دَخْلِي فَمِي صَارُمٌ كَالسَّيْفِ مَأْثُورُ

وقال حَسَّانٌ يَذْكَرُ بِيَانَ ابْنَ عَبَّاسٍ:

لم يترك مقالاً ولم يقف ولم يثن اللسان على هجر  
بالقول اللسان إذا افتخر في أعطافه نظر الصفر

## شعر في الخصب والجذب

وقال بعض الأعراب يدكّر الخصب والجذب:

فلما أن رويتاً تهادر شفاشيق فيها رائبٌ وخليبٌ  
رجالاً من رجال ظلاموعدت دحول بينهم وذنوبٌ  
ركابٌ للصبا فترو وحتلهن بما هاج الحبيب خبيبٌ  
فناءً الحي حتى كأنه رحي منهلٍ من كرهن نحيبٌ  
عمنا لا تعجلوا، ينضب الثرى ويشفى المترفين طبيبٌ  
تولى الثبت وامتيرت وحتت ركاب الحي حين تشوب

عَبُوقَ الخود وهي كريمة أهلها، ذو جدتين مشوب  
الذي في أفه خنزواته إلى هادي الرحي فيجيب  
أيام تبيّن ما القتي أكاب سكيث أم أشم نجيب  
وقال: ولما ولي حارثة بن بدر سرق، كتب إليه أنس بن أبي إياس الديلي:

بن بدر قد وليت ولاية فكن جرداً فيها تخون وتسرق  
تميماً بالغنى إن للغنى لساناً به المرء الهيوبة ينطق  
تحقرن يا حار شيئاً فحظك من ملك العراقين

سرق  
جميع الناس إما يقول بما يهوى، وإما  
مصدق مكدب  
يقولون أقوالاً ولا يعرفونها ولو قيل هائوا حققوا لم  
يحققوا

وقال بعض الأعراب:

رأينا القوم ثاروا بجمعهم علينا الحديث وهو فيهم مضبع  
من عز قيس حفيظة ولاخير فيمن لا يضر وينفع

## أقوال مأثورة



ويقال إِنَّ رجلاً قال لبعض السُّلَاطِين: الدُّنْيَا بما فيها حديث، فَإِنِ اسْتَطَعْتَ أَنْ تَكُونَ مِن أَحْسَنِهَا  
حَدِيثاً فَافْعَلْ.

وقال خُدَيْفَةُ بْنُ بَدْرِ لِصَاحِبِهِ يَوْمَ جَفْرِ الْهَبَاءِ، حِينَ أَعْطَاهُمُ بِلِسَانِهِ مَا أُعْطِيَ: إِيَّاكَ وَالْكَلامَ الْمَأْتُورَ.  
وَأَنشِدِ الْأَصْمَعِي:

**يَوْمَ كَأَنَّهُ يَوْمٌ أَضْحَى عِنْدَ عَبْدِ الْعَزِيزِ أَوْ يَوْمِ فِطْرِ**  
وقال: وَذَكَرَ لِي بَعْضُ الْبَغْدَادِيِّينَ أَنَّهُ سَمِعَ مَدْيَنِيًّا مَرَّ بِبَابِ الْقُضْلِ بْنِ يَحْيَى - وَعَلَى بَابِهِ جَمَاعَةٌ مِنْ  
الشُّعْرَاءِ - فَقَالَ:

**لَقِينَا مِنْ جُودِ فَضْلِ بْنِ يَحْيَى تَرَكَ النَّاسَ كُلَّهُمْ شُعْرَاءَ**  
وقال الْأَصْمَعِيُّ: قَالَ لِي خَلْفُ الْأَحْمَرِ: الْفَارِسِيُّ إِذَا تَطَرَّفَ تَسَاكَتَ،  
وَالنَّبَطِيُّ إِذَا تَطَرَّفَ أَكْثَرَ الْكَلَامِ.

وقال الْأَصْمَعِيُّ: قَالَ رَجُلٌ لِأَعْرَابِيٍّ: كَيْفَ فَلَانٌ فِيكُمْ؟ قَالَ: مَرْزُوقٌ  
أَحْمَقٌ قَالًا: هَذَا الرَّجُلُ الْكَامِلُ.  
قال: وَقَالَ أَعْرَابِيٌّ لِرَجُلٍ: كَيْفَ فَلَانٌ فِيكُمْ؟ قَالَ: عَنِّي حَظِيٌّ، قَالَ:  
هَذَا مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ

## السَّوَادُ وَالْبَيَاضُ فِي الْبَادِيَةِ

الْأَصْمَعِيُّ قَالَ: أَخْبَرَنِي جَوْسِقٌ قَالَ: كَانَ يُقَالُ بِالْبَدْوِ: إِذَا ظَهَرَ  
الْبَيَاضُ قَلَّ السَّوَادُ، وَإِذَا ظَهَرَ السَّوَادُ قَلَّ الْبَيَاضُ، قَالَ الْأَصْمَعِيُّ:  
يَعْنِي بِالسَّوَادِ التَّمْرَ، وَبِالْبَيَاضِ اللَّبَنَ وَالْأَقِطَ، يَقُولُ: إِذَا كَانَتِ السَّنَةُ  
مَجْدِبَةً كَثُرَ التَّمْرُ وَقَلَّ اللَّبَنُ وَالْأَقِطُ، وَقَالَ: إِذَا كَانَ الْعَامُ خَصِيْبًا ظَهَرَ

في صدقة الفطر البياض يعني الإقط وإذا كان جدياً ظهر السواد،  
يعني التمر  
وتقول الفرس: إذا زحرت الأودية بالماء كثر التمر، وإذا اشتدت  
الرياح كثر الحب.

### وقل في أثر الريح في المطر

وحدثني محمد بن سلام، عن شعيب بن حجر قال: جاء رجل على  
فرسٍ فوقفَ بماءٍ من مياه العرب فقال: أعندكم الريح التي تكبُّ  
البعير؟ قالوا: لا، قال: فتذري الفارس؟ قالوا: لا، قال: فكما تكون  
يكون مطركم.  
وحدثني العنبي قال: هجمتُ على بطنٍ بين جبلين، فلم أرَ وادياً  
أخصبَ منه، وإذا رجالٌ يتركلون على مساحيهم، وإذا وجوهٌ مهجَّنة،  
وألوان فاسدة فقلتُ: واديكم أخصبُ وادٍ، وأنتم لا تشبهون  
المخاصيبَ قال: فقال شيخٌ منهم: ليس لنا ريح.

### شعر في الخصب

وقال التمر بن توبل:

حَمْدَةٌ، أَوْ عَزَّتْ لَهَا شَبَهَا العَيْنِ يَوْمًا تَلَقَيْنَا بِأَرْمَامِ

جَادَ عَلَيْهَا وَابْتَدَأَ هَطِيلٌ فَأَمْرَعَتْ لاحتِيَالٍ فَزَطَ أَعْوَامِ  
يَجْفُ تَرَاهَا بَلَّهَا رِيْمٌ كوكب بزل بالماء سَجَامِ  
يَزَعَهَا أَحَدٌ وَارْبَتَهَا زَمَنًا مِنَ الْأَرْضِ مَحْفُوفٍ بِأَعْلَامِ  
لِلطَيْرِ فِي حَافَاتِهَا رَجْلَاكَانٍ أَصْوَاتَهَا أَصْوَاتٌ جُرَّامِ  
رِيحٌ خُرَامَاهَا وَحُنُوتَهَا بِاللَّيْلِ رِيحٌ يَلْنَجُوجُ وَأَهْضَامِ  
قال: فلم يدع معني من أجله يخصب الوادي ويعتم نبتة إلا ذكره وصدق النمر.  
وقال الأسدي في ذكر الخصب ورطوبة الأشجار ولدونة الأعصان وكثرة الماء:

أَرْحَلْنَا بِجَوْ مَحْصَبٍ عُذِيْرَةٌ مِنْ مَقِيلِ التَّرْمِسِ  
حَيْثُ خَالَطَتِ الْخُرَامِي يَأْتِيكَ قَائِسُ أَهْلِهِ لَمْ يُقْبَسِ  
ذهب إلى أنه قد بلغ من الرطوبة في أغصانه وعيدانه، أنها إذا حُكَّ بعضها ببعض لم يقدح، وفي شبيه  
بذلك يقول الآخر، وذهب إلى كثرة الألوان والأزهار والأنوار:

لَنَا مِنْ عَطْفَانٍ جَارِهِ كَأَنَّهَا مِنْ دَبَلٍ وَشَارِهِ  
وَالْحَلِيِّ حَلِيِّ التَّبْرِ وَالْحِجَابَةِ قَعٌ مَيْثَاءٌ إِلَى قَرَارِهِ

ثم قال:

أَعْنِي وَاسْمِعِي يَا جَارِهِ

وقال بشار:

وَحَدِيثٌ كَأَنَّهُ قَطَعُ الرَّوِّ ضِ وَفِيهِ الْحَمْرَاءُ وَالصَّفْرَاءُ

**الْفطن وفهم الرطانات..**

**والكنايات والفهم والإفهام**

**حديث المرأة التي طرقها اللصوص**

الأصمعي قال: كانت امرأة تنزل متنحية من الحي، وتحب العزلة  
وكان لها غتم، فطرقها اللصوص فقالت لأمتها: اخرجي من هاهنا؟

قالت: ها هنا حَيَّانُ، والحُمَارِسُ، وعامرٌ والحارثُ، ورأسُ عَنزٍ وشادن،  
وراعيا بَهْمنا: فنحن ما أولئك، أي: فنحن أولئك، فلما سَمِعُوا ذلك  
ظَنُّوا أَنَّ عِنْدَهَا بِنِيهَا، وقال الأصمعيُّ مرّةً: فلما سمعت حِسَّهم قالت  
لأمتها: أخرجني سُلْحَ بَنِيّ من هاهن.  
قال: وسُلْحُ جمع سُلاح، وحَيَّان والحمارس: أسماءٌ تُوسى لها.

### قصة الممّهورة الشياه والخمر

قال الأصمعيُّ: تزوّج رجلٌ امرأةً فساق إليها مهرها ثلاثين شاةً،  
وبعتَ بها رسولاً، وبعثَ بزِقٌّ حَمْرٍ، فَعَمَدَ الرَّسُولُ فذبح شاةً في  
الطريق فأكلها، وشَرَبَ بَعْضَ الرِّقِّ، فلما أتى المرأةَ نظرت إلى تسع  
وعشرين ورأت الرِّقَّ ناقصاً، فعلمت أنّ الرجل لا يبعثُ إلاّ بثلاثين  
وَزِقٌّ مملوءٍ فقالت للرسول: قل لصاحبك: إن سُحيماً قد رُثِمَ، وإن  
رسولك جاءنا في المحاق فلما أتاه الرَّسُولُ بالرِّسالة: قال يا عدوّ  
الله، أكلت من الثلاثين شاةً شاةً، وشربت من رأس الرِّقِّ فاعتترف  
بذلك.

### قصة العنبريِّ الأسير

الأصمعيُّ قال: أخبرني شيخٌ من بني العنبر قال: أسرَبَنو شَيانَ رجلاً من بني العنبر، قال: دَعوني حتى أرسل إلى أهلي لِيَفدُوني، قالوا: على ألاَّ تكلمَ الرَّسولَ إلاَّ بين أيدينا، قال: نعم، قال: فقال للرسول، ائتِ أهلي فقل: إِنَّ الشَّجَرَ قد أُورِق، وقل: إِنَّ النِّساءَ قد اشْتَكَّتْ وخرَزَت القِرْب، ثمَّ قال له: أتَعقِلُ؟ قال: نعم، قال: إن كنتَ تَعقِلُ فما هذا؟ قال: الليل، قال: أراك تعقل انطلق إلى أهلي فقل لهم: عَزُّوا جملي الأصهب، واركبُوا ناقتي الحمراء، وسلوا حارثاً عن أمري - وكان حارث صديقاً له - فذهب الرَّسولُ فأخبرهم، فدَعَوْا حارثاً فقصَّ عليه الرَّسولُ القِصةَ، فقال أمّا قوله: إِنَّ الشَّجَرَ قد أُورِق فقد تسلَّحَ القوم، وأمّا قوله: إن النساء قد اشتكت وخرزت القِرْب فيقول: قد اتخذت الشُّكا وخرزت القِرْب للغزو، وأمّا قوله: هذا الليل فإنَّه يقول: أتاكم جيشٌ مثلُ الليل، وأمّا قوله: عَزُّوا جملي الأصهب فيقول: ارتحلوا عن الصَّمَّان، وأمّا قوله: اركبُوا ناقتي الحمراء فيقول انزِلُوا الـ\_\_\_\_\_واللهنَّاء.

وكان القوم قد تهيَّؤوا لِعَزْوهم، فخافوا أن يُنذِرهم، فأنذَرهم وهم لا يشعرون فجاء القومُ يطلبونهم فلم يجدوهم.

## قصة العطاردي

وكذلك صنع العطاردي في شأن شعب جبلة، وهو كرب بن صفوان؛ وذلك أنه حين لم يرجع لهم قولاً حين سألوه أن يقول، ورَمَى بِصُفْرَتَيْنِ فِي إِحْدَاهُمَا شَوْكًا، وَالْأُخْرَى تَرَابًا، فَقَالَ قَيْسُ بْنُ زَهِيرٍ: هَذَا رَجُلٌ مَأْخُودٌ عَلَيْهِ أَلَا يَتَكَلَّمُ، وَهُوَ يَنْذِرُكُمْ عَدَدًا وَشَوْكَةً. قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: "وَتَوَدُّونَ أَنَّ غَيْرَ ذَاتِ الشَّوْكَةِ تَكُونُ لَكُمْ".

## شعر في صفة الخيل والجيش

قال أبو نخيلة:

رَأَيْتُ الدَّيْنَ دِينًا يُؤْفَكُ وَأُمْسَتِ الْقُبَّةُ لَا تَسْتَمْسِكُ  
مِنْ أَعْرَاضِهَا وَيُهْتَكُ بَسْرَتُ مِنَ الْبَابِ فَطَارَ الدَّكْدَكُ  
الدَّجُوجِيُّ وَمِنْهَا الْأَرْمَكُ كَاللَّيْلِ إِلَّا أَنَّهَا تَحَرَّكُ

وقال منصور التَّمْرِي:

مِنَ النَّعْ لَا شَمْسٌ وَلَا قَمَرٌ جَبِيئُكَ وَالْمَذْرُوبَةُ الشُّرْعُ

وقال آخر:

لَيْلٌ إِذَا اسْتَنْفِرُوا أَوْ لَجَّةٌ لَيْسَ لَهَا سَاحِلٌ

وقال العجاج:

زُهَّاءُ إِذَا جُهِرَ لَيْلٌ وَرِزٌّ وَعُغْرِهِ إِذَا وَعَرَ  
سَرَى مِنْ قَبْلِ الْعَيْنِ فَجَرِ

وفي هذا الباب وليس منه يقول بشار:

مُتَّارَ النَّعْ فَوْقَ رُؤُوسِهِمْ وَأَسْيَافَنَا لَيْلٌ تَهَاوَى كَوَاكِبَهُ

وقال كلثوم بن عمرو:

سَنَابِكُهُمْ مِنْ فَوْقِ أَرْوَاسِهِمْ قَفَا كَوَاكِبِ الْبَيْضِ الْمَبَاتِيرِ  
وهذا المعنى قد غلب عليه بشّار، كما غلب عنتره على قوله:

الدُّيَابَ بِهَا يُعْتَى وَحَدَهُ هَزَجًا كَفِعْلِ الشَّارِبِ الْمَتْرَمِّ  
يُحْكُ ذِرَاعَهُ بِذِرَاعِهِ الْمُكَبِّ عَلَى الرَّزَادِ الْأَجْدَمِ  
فلو أنّ امرأ القيس عَرَضَ فِي هَذَا الْمَعْنَى لَعَنْتَرَةَ لافْتَصَحَ.

## مقطعات شتى

وقال بعضهم في غير هذا المعنى:

كأئما اشتمل اللي      لُ عَلَى رَكِبِهَا بِأَبْنَاءِ حَامِ  
فيها إلى الخليفة بالر      قةٍ بِخَرِيٍّ ظَهِيرَةٍ وَظَلَامِ

وقال العرجي:

سَمَّيْتَنِي خَلْقًا بِخَلَّةٍ قَدُمْتُ      جَدِيدًا إِذَا لَمْ يُلْبَسِ الْخَلْقُ  
المتحلي غير شيمته ومن خلائقه الإقصادُ والمَلَقُ  
إلى خيمك المعروف ديدنه التخلق يأتي دونه الخلقُ

وقال آخر:

الخيار من المعاشير كالمهتبَّ بعدك يا كليب المجلس  
وتنار عوا في كل أمر عظيمه قد تكون شهدتهم لم ينسوا  
وأبيات أبي نواس على أنه مولد شاطر، أشعر من شعر مهلهل في إطراق الناس في مجلس كليب،

وهو قوله:

خبز إسماعيل واقية      حلَّ في دار الأمان من الأكل  
البخل

خبزه إلا كأوى يرى ابنها ولم تُر آوى في الحزون ولا  
السَّهْلِ

خبزه إلا كعنقاء مغربٍ      تُصَوِّرُ فِي بُسْطِ الْمُلُوكِ وَفِي  
المثل

عنها الناس من غير رؤية صورة ما أن ثمُّ ولا تُحلي  
خبزه إلا كليب بن وائلٍ يحمي عزه منبت البقل

لا يَسْتَبُّ حَصْمَانِ عِنْدَهُ الْقَوْلُ مَرْفُوعٌ بِجِدِّ وَلَا هَزْلٌ  
خَبْرُ إِسْمَاعِيلَ حَلَّ بِهِ الَّذِي أَصَابَ كَلِيْبًا لَمْ يَكُنْ ذَاكَ عَنِ  
بَدَلٍ  
قِضَاءٌ لَيْسَ يُسْطَاعُ      ذِي دَهْيٍ وَلَا فِكْرٍ ذِي عَقْلِ

## شعر العرب والمولدين

والقضية التي لا أحتشمُ منها، ولا أهابُ الخصومة فيها: أنَّ عامَّةَ العرب والأعراب والبدو والحضر من سائر العرب، أشعر من عامَّة شعراء الأمصار والقُرَى، من المولدة والنايبة، وليس ذلك بواجبٍ لهم فـي كـلِّ مـا قـالوا. وقد رأيت ناساً منه يبهرجون أشعار المولدين، ويستسقطون مَن رواها ولم أر ذلك قطُّ إلا في راويةٍ للشعر غير بصيرٍ بجوهر ما يروى، ولو كان له بصُرٌ لعرف موضع الجيد ممَّن كان. وفي أيِّ زمان كان. وأنا رأيت أبا عمرو الشيبانيَّ وقد بلغ من استجادته لهذين البيتين، ونحن في المسجد يوم الجمعة، أن كلف رجلاً حتى أحضره دواةً وقرطاساً حتى كتبهما له، وأنا أزعم أنَّ صاحب هذين البيتين لا يقول شعراً أبداً، ولولا أن أدخلَ في الحكم بعض الفتك؛ لزعمتُ أنَّ ابنته لا يقول شعراً أبداً، وهما قوله:

تَحْسِبَنَّ الْمَوْتَ مَوْتَ الْبَلَى      فَإِنَّمَا الْمَوْتُ سُؤَالُ الرَّجَالِ  
مَوْتُ وَلَكِنَّ ذَا      أَفْطَعَ مِنْ ذَاكَ لَذَلَّ السُّؤَالِ

## القول في المعنى واللفظ

وذهب الشَّيْخُ إلى استحسانِ المعنى، والمعاني مطروحةٌ في الطريق يعرفها العجميُّ والعربيُّ، والبدويُّ والقرويُّ، والمدنيُّ، وإِنَّمَا الشَّانُ في إقامةِ الوزن، وتخيرُ اللفظ، وسهولة المخرج، وكثرة الماء، وفي صحَّةِ الطبع وجودة السِّبْكِ، فإنما الشعر صناعةٌ، وصَرَبٌ من



النَّسَجِ، وَجَنَسُ مَنْ النَّصِيرِ.  
وقد قيل للخليل بن أحمد: ما لك لا تقول الشعر؟ قال: الذي يجيئني  
لا أرضاه، والذي أرضاه لا يجيئني.  
فأنا أستحسن هذا الكلام، كما أستحسن جواب الأعرابي حين قيل له:  
كيف تجدك؟ قال: أجدي أجد ما لا أشتهي، وأشتهي ما لا أجد.

### شعر ابن المقفع

وقيل لابن المقفع: ما لك لا تجوز البيت والبيتين والثلاثة قال: إن  
جزئها عرفوا صاحبها، فقال له السائل: وما عليك أن تعرف بالطوال  
الجياد؟ فعلم أنه لم يفهم عنه.  
الفرق بين المولد والأعرابي ونقول: إن الفرق بين المولد  
والأعرابي: أن المولد يقول بنشاطه وجمع باله الأبيات اللاحقة  
بأشعار أهل البدو، فإذا أمعن انحلت قوته، واضطرب كلامه.  
شعر في تعظيم الأشراف وفي شبيهه بمعنى مهلهل وأبي نؤاس،  
في التعظيم والإطراق عند السادة، يقول الشاعر في بعض بني  
مروان:

كفَّه خَيْرَانُ رِيحُهُ عَيْقُ كَفَّ أَرْوَغَ فِي عَرِينِهِ شَمْمُ

حَيَاءٌ وَيَغْصَى مِنْ مَهَابَتِهِ فَمَا يَكَلِّمُ إِلَّا حِينَ يَبْتَسِمُ  
قَالَ بِمَا يَهْوَى جَمِيعُهُمْ تَكَلَّمَ يَوْمًا سَاخَتْ الْكَلِمُ  
هَاتِفٍ بِكَ مِنْ دَاعٍ وَهَاتِفِيذُ عَوْكَ يَا قَتْمَ الْخَيْرَاتِ يَا قَتْمُ

وقال أبو نؤاس في مثل ذلك:

الساداتِ ماثلة لِسَلِيلِ الشَّمْسِ مِنْ قَمَرِهِ  
شَتَّى ظُنُونُهُمْ حَذَرَ الْمَطْوِيِّ مِنْ خَبَرِهِ

وقال إبراهيم بن هزّمة في مديح المنصور، وهو شبيهة بهذا وليس منه:

لحظات عن جفافي سريره إذا كثرها فيها عقابٌ ونائلُ  
الذي أمّنت أمانة الرّدى الذي أوعدت بالثكل تاكلُ

شعر في الحلف والعقد وقال مُهلهُ، وهو يقع في باب الحلف وكُد بعقد:

على وائل وأفلتنا يَوْمًا عَدِيٌّ جُرَيْعَةَ الدَّقَنِ  
عنه الرّماح مجتهداً حِفْظاً لِحَلْفِي وَحَلْفِ ذِي يَمَنِ  
من عهدنا وعهدهم عهداً وثيقاً بمنحَر البُدنِ  
بجرّ كفاً بصوفتها وما أناف الهضابُ من حَصَنِ  
اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ مَعاً خِرَاطَ الْجَمُوحِ فِي الشَّطَنِ

شعر في مصرع عمرو بن هند وقال جابر بن حتّي التغلبي:

كأقوام قريب محلّه وسنا كمن يرضيكم بالتملق  
شَرَحِبِيلاً بِنًا وَمَحَلِّمًا نَكُرُّ الْخَيْلَ فِي كُلِّ حَنْدَقِ  
ما عمرو بن هندٍ وقد دعلنخدم ليلي أمّه بموفقٍ  
ابن كُثُومٍ إِلَى السَّيْفِ فَأَمْسَكَ مِنْ نَدْمَانِهِ بِالْمَخْنَقِ

عمداً على الرّأس صَرْبَةً بِذِي شُطْبِ صَافِي الْحَدِيدَةِ  
مُحَقِّقٌ

شعر في الأقارب وقال المتلمّس:

كلّهم آسى وللأصل زلفن فخرج عن الأدتين أن يتصدّعا  
كان إخواني كريماً جوارهم أصل العود من حيث يُنزعُ

وقال المتلمس:

غيرُ أخوالي أراؤوا نقيصتي لهم فوق العرايين ميسما  
كنتُ إِلَّا مِثْلَ قَاطِعِ كَفِّهِ بِكَفِّ لُهُ أُخْرَى فَأَصْبَحَ أَجْدَمَا

أصابت هذه حنْفَ هذه    تجِدِ الأخرى عليها مُقَدِّمًا  
فأطرق إطراق الشجاع ولو مَرَّيغًا لناييه الشجاع لَصَمَّما  
إنا لو تَسَاطُ دِمَاؤُنَا تَزَايِلُنَ حَتَّى لَا يَمَسَّ دَمٌ دِمَا

تفسير كلمة لعمر قال: وسألت عن قول عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه لأبي مَرْيَمَ الحنفي:  
والله لَأَنَا أَشَدُّ بَغْضًا لَكَ مِنَ الأَرْضِ لِلدَّمِ قال: لَأَنَّ الدَّمَّ الجاري من كُلِّ شَيْءٍ يَبِينُ، لا يَغِيضُ في  
الأرض؛ وممتى جَفَّ وتَجَلَّبَبَ ففترقتُه رأيت مكآته أبيض.  
إلا إنَّ صاحب المنطقي قال في كتابه في الحيوان: كذلك الدِّماء، إلا دَمَ البعير.  
أشعار شتى وقال التَّمِيزُ بِنُ تَوْلَبَ:

كنت في سَعِدٍ وَأُمَّكَ مِنْهُمُ    فلا تَعْرُزُكَ أُمَّكَ مِنْ سَعِدِ

وقال:

ابنُ أختِ القومِ مُصَعَّى    لم يُزَاجِمِ خالَهُ بأبٍ جَلِدِ

وقال آخر:

اللَّهُ الغدَاةَ لِدينه    عِلْمِهِ وَاللهُ بِالْعِلْمِ أَفْرَسُ

وقال آخر:

تَرَكَ الهاجون لي في أديمكم صَحًّا وَلَكِنِّي أرى مُتَرَقِّعا

وقال العَجَلِيُّ، أو العُكَلِيُّ، لنوح بن جرير:

أَتَسْبِيئِي فَأراكِ مِثْلِي سُبَّةً    وَأَسْبُ جَدِّكُمْ بِسَبِّ آبِينَا  
أرى وَالْمَقْتَضَى متجوِّرٌ    يا نوحُ أَنْ أَباكِ لا يُوفِينَا

وقال عمرو بن معد يكرب:

تَسْتَطِعُ شَيْئًا فَدَعَهُ    وَجَاوِزَهُ إِلَى ما تَسْتَطِيعُ  
بِالزَّماعِ فَكُلُّهُ أَمْرٌ    سَمًا لَكَ أو سَمَوْتَ لَهُ وَلَوْعُ

وقال المَفْتَعُ الكِنْدِيُّ:

وصاحبِ السُّوءِ كالذَّاءِ العَياءِ ارْقُضْ في الجوفِ يجري  
هاهنا وهنا

ويُخِيرُ عن عَوْرَاتِ    رأى عنده من صالحِ دفنا  
صاحبه

سَوءٍ إذا رَفَعْتَ سَيْرَ لُجَمَاحِ وَإِنْ حَفَّضْتَ حَرًّا

يَحْيِي ذَاكَ فَكُنْ مِنْهُ  
بِمَعْرَلَةٍ  
مَا تَ ذَاكَ فَلَا تَعْرِفُ لَهُ جَنَانًا

## خصال الحرم

فمن خصاله: أَنَّ الدُّبَّ يَصِيدُ الطَّيْبِيَّ وَيُرْبِغُهُ وَيَعَارِضُهُ، فَإِذَا دَخَلَ الْحَرَمَ كَفَّ عَنْهُ.  
ومن خصاله: أَنَّهُ لَا يَسْقُطُ عَلَى الْكَعْبَةِ حَمَامٌ إِلَّا وَهُوَ عَلِيلٌ، يُعْرِفُ ذَلِكَ مَتَى امْتُحِنَ وَتَعَرَّفَتْ حَالُهُ، وَلَا يَسْقُطُ عَلَيْهِمْ صَاعًا وَلَا دَامًا صَاعًا حَيًّا.  
ومن خصاله: أَنَّهُ إِذَا حَادَى أَعْلَى الْكَعْبَةِ عَرَقَهُ مِنَ الطَّيْرِ كَالِيمَامٍ وَغَيْرِهِ، انْفَرَقَتْ فِرْقَتَيْنِ وَلَمْ يَعْلَمَ بِهَا طَائِرٌ مِنْهُنَّ.  
ومن خصاله: أَنَّهُ إِذَا أَصَابَ الْمَطْرُ الْبَابَ الَّذِي مِنْ شِيقِّ الْعِرَاقِ، كَانَ الْخِصْبُ وَالْمَطْرُ فِي تِلْكَ السَّنَةِ فِي شِيقِّ الْعِرَاقِ، وَإِذَا أَصَابَ الَّذِي مِنْ شِيقِّ الشَّامِ كَانَ الْخِصْبُ وَالْمَطْرُ فِي تِلْكَ السَّنَةِ فِي شِيقِّ الشَّامِ، وَإِذَا عَمَّ جَوَانِبَ الْبَيْتِ كَانَ الْمَطْرُ وَالْخِصْبُ عَامًّا فِي سَائِرِ الْبُلْدَانِ.  
ومن خصال الحرم: أَنَّ حَصَى الْجِمَارِ يُرْمَى بِهَا فِي ذَلِكَ الْمَرْمَى، مُدُّ يَوْمَ حَجَّ النَّاسِ الْبَيْتَ عَلَى طَوَالِ الدَّهْرِ، ثُمَّ كَانَتْ عَلَى مَقْدَارٍ وَاحِدٍ، وَلَوْ لَا مَوْضِعُ الْآيَةِ وَالْعَلَامَةِ وَالْأَعْجُوبَةِ الَّتِي فِيهَا، لَقَدْ كَانَ ذَلِكَ كَالجِبَالِ، هَذَا مِنْ غَيْرِ أَنْ تَكْسَحَهُ الشُّيُولُ، وَأُخِذَ مِنْهُ النَّاسُ.  
ومن سُنتهم: أَنَّ كُلَّ مَنْ عَلَا الْكَعْبَةَ مِنَ الْعَبِيدِ فَهُوَ حُرٌّ، لَا يَرُونَ الْمَلِكَ عَلَى مَنْ عُلَاهَا، وَلَا يَجْمَعُونَ بَيْنَ عَزْرٍ عَلَيْهِمْ وَلَا وَذْلَةٍ أَوْلَاهُمْ.  
ويمكن رجاء من الضُّلَّاحِ لَمْ يَدْخُلُوا الْكَعْبَةَ قَطًّا.  
وكانوا في الجاهليَّة لا يَبْنُونَ بَيْتًا مَرَبَّعًا؛ تَعْظِيمًا لِلْكَعْبَةِ، وَالْعَرَبُ تَسْمِي كُلِّ بَيْتٍ مَرَبَّعٍ كَعْبَةً، وَمِنْهُ: كَعْبَةُ تَجْرَانَ، وَكَانَ أَوَّلُ مَنْ بَنَى بَيْتًا مَرَبَّعًا حُمَيْدُ بْنُ زَهِيرٍ، أَحَدُ بَنِي أُسْدِ بْنِ عَبْدِ الْعُزَّى.  
ثمَّ البركة والشفاء الذي يجده من شرب من ماء زمزم على وجه الدهر وكثرة من يُقيم عليه يجد فيه الشفاء، بعد أن لم يدع في الأرض حَمَّةٌ إِلَّا أَتَاهَا، وَأَقَامَ عِنْدَهَا، وَشَرِبَ مِنْهَا، وَاسْتَنْقَعَ فِيهَا.  
هذا مع شأن الفيل، والطَّيْرِ الْأَبَائِلِ، وَالْحِجَارَةِ السَّجَّيلِ، وَأَنَّهَا لَمْ تَزَلْ أَمْنًا وَلَقَاحًا، لَا تَوُدِّي إِتَاوَةً، وَلَا تَدِينُ لِلْمَلُوكِ، وَلِذَلِكَ سَمِّي الْبَيْتَ الْعَتِيقُ؛ لِأَنَّهُ لَمْ يَزَلْ حُرًّا لَمْ يَمْلِكْهُ أَحَدٌ.  
وقال حرب بن أمية في ذلك:

مَطَرٌ هَلُمَّ إِلَى صَلاَحٍ فَتَكْفِيكَ النَّدَامَى مِنْ قَرِيَشِ  
وَسَطَهُمْ وَتَعِيَشَ فِيهِمْ أبا مَطَرٍ هُدَيْتَ لَخَيْرِ عَيْشِ  
بَلَدَةٍ عَزَّتْ قَدِيمًا وَتَأْمَنَ أَنْ يَزْرُوكَ رَبُّ جَيْشِ  
وَقَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: "وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمْنًا وَاتَّخِذُوا مِنْ  
مَقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى" وَقَالَ عَزَّ وَجَلَّ، حِكَايَةً عَنْ إِبْرَاهِيمَ: "رَبَّنَا إِنِّي  
أَسْكَنْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِنْدَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا  
الصَّلَاةَ فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ وَارْزُقْهُمْ مِنَ الثَّمَرَاتِ  
لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ".

### خصال المدينة

والمدينة هي طيبة، ولطيبها قيل تليط حَبَثُها وينصعُ طيبُها، وفي ربح  
ترابها وبنَّةُ تَرَبَّتِها، وعَرَفَ تَرابها ونسيمِ هوائِها، والنعمة التي توجد في  
سِكِّكِها وفي حيطانها - دليلٌ على أنَّها جُعِلت آيَةً حينَ جعلت حرماً.  
وكلُّ من خَرَجَ مِنْ مَنْزِلِ مَطَيِّبٍ إِلَى اسْتِنشاقِ رِيحِ الهِواءِ والتُّرْبَةِ فِي  
كلِّ بَلَدَةٍ فَإِنَّهُ لَابَدٌ عِنْدَ الاسْتِنشاقِ والتُّبُّبِ مِنْ أَنْ يَجِدَها مَنْتَنَةً، فَذَلِكَ  
عَلَى طَبَقَاتٍ مِنْ شَأْنِ الْبُلْدَانِ، إِلَّا مَا كَانَ فِي مَدِينَةِ الرَّسُولِ، رَسُولِ  
اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَلِلصَّيَّاحِ وَالْعِطْرِ وَالْبَخُورِ وَالنُّضُوحِ، مِنْ

الرائحة الطيبة - إذا كان فيها - أضعافُ ما يوجد له في غيرها من  
البلدان، وإن كان الصِّيَّاح أجود، والعطر أفخر، والبخور أثمن.

### بعضُ البلدان الرديئة

وَرُبَّتْ بِلْدَةٌ يَسْتَحِيلُ فِيهَا الْعَطْرُ وَتَذْهَبُ رَائِحَتُهُ، كَقِصْبَةِ الْأَهْوَازِ.  
وَقَدْ كَانَ الرَّشِيدُ هَمًّا بِالْإِقَامَةِ بِأَنْطَاكِيَّةٍ، وَكَرِهَ أَهْلَهَا ذَلِكَ، فَقَالَ شَيْخٌ  
مِنْهُمْ، وَصَدَقَهُ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، لَيْسَتْ مِنْ بِلَادِكَ، وَلَا بِلَادِ مِثْلِكَ، لِأَنَّ  
الطَّيِّبَ الْفَاخَرَ يَتَغَيَّرُ فِيهَا حَتَّى لَا يُتَنَفَّعَ مِنْهُ بِكَثِيرِ شَيْءٍ، وَالسَّلَاحَ يَصْدَأُ  
فِيهَا وَلَوْ كَانَ مِنْ قَلْعَةِ الْهِنْدِ، وَمَنْ طَبَعَ الْيَمْنَ، وَمَطَرَهَا رَبَّمَا أَقَامَ  
شَهْرَيْنِ، لَيْسَ فِيهِ سَكُونٌ، فَلَمْ يُقِمْ بِهَا.  
ثُمَّ ذَكَرَ الْمَدِينَةَ فَقَالَ: وَإِنَّ الْجُوبِرِيَّةَ السُّودَاءَ، لَتَجْعَلُ فِي رَأْسِهَا شَيْئًا  
مِنْ بَلْحٍ، وَشَيْئًا مِنْ تَصُوحٍ، مِمَّا لَا قِيمَةَ لَهُ؛ لِهَوَانِهِ عَلَى أَهْلِهِ، فَتَجِدُ  
لِذَلِكَ حُمْرَةً طَيِّبَةً وَطَيِّبَ رَائِحَةٍ لَا يَعْدِلُهَا بَيْتُ عَرُوسٍ مِنْ ذَوِي  
الْأَقْدَارِ، حَتَّى إِنَّ النَّوَى الْمُنْقَعِ، الَّذِي يَكُونُ عِنْدَ أَهْلِ الْعِرَاقِ فِي غَايَةِ  
النَّيْنِ، إِذَا طَالَ إِنْقَاعُهُ، يَكُونُ عِنْدَهُمْ فِي غَايَةِ الطَّيِّبِ، وَاللَّهُ سُبْحَانَهُ  
وَتَعَالَى أَعْلَمُ.

### ذكر الحمام

## أجناسه

قال صاحب الحمام: الحمام وحشيٌّ، وأهليٌّ، وبيوتيٌّ، وطوراني، وكلُّ طائرٍ يعرف بالزَّواج، وبحسن الصَّوت، والهديل، والدُّعاء، والترجيع فهو حمام، وإن خالف بعضه بعضاً في بعض الصَّوت واللَّون، وفي بعض القدِّ، ولحن الهديل، وكذلك تختلف أجناس المدَّجاج على مثل ذلك ولا يخرجها ذلك من أن تكون دجاجاً: كالديك الهندي والخلاسيِّ والنَّبطيِّ، وكالمدَّجاج السنديِّ والزنجيِّ وغير ذلك، وكذلك الإبل: كالعراب والبُخت، والفوالج، والبَهونيات والصَّرصَرانيات، والحُوش، والتُّجب، وغير ذلك من فحول الإبل؛ ولا يخرجها ذلك من أن تكون إبلاً.

وما ذاك إلا مخالفة الجرذان والفأر، والنمل والذر، وكاختلاف الضأن والمعز، وأجناس البقر الأهلية والبقر الوحشية، وكقراة ما بينهما وبين الجمن واميس.

وقد تختلف الحيات والعقارب بضروب الاختلاف، ولا يخرجها ذلك من أن تكون عقارب وحيات، وكذلك الكلاب، والغربان. وحسبك بتفاوت ما بين الناس: كالزنج والصقالبة، في الشُّعور

والألوان، وكياًجوج ومأجوج، وعاد وثمرود، ومثلُ الكنَّعَانِيِّين والعمالقة.  
فقد تخالف الماعزة الضائنة حتى لا يقع بينهما تسافدٌ ولا تلاقح، وهي  
ففي ذلك غنمٌ وششاء.  
قال: والقُمريُّ حمام، والفاختة حمام، والورشان حمام، والشِّفنين  
حمام، وكذلك اليمام واليعقوب، وضروبٌ أخرى كلها حمام، ومفاخرها  
التي فيها ترجع إلى الحمام التي لا تُعرف إلا بهذا الاسم.  
قال: وقد زعم أفليمون صاحب الفراسة أنَّ الحمام يتَّخذُ لضروب:  
منها ما يتَّخذُ للأنس والنساء والبيوت، ومنا ما يتَّخذُ للرجال والسباق.  
والزَّجال: إرسال الحمام الهواري

## مناقب الحمام

ومن مناقب الحمام حُبُّه للناس، وأنس الناس به، وأنتك لم ترَ  
حيواناً قطُّ أعدلَ موضعاً، ولا أقصدَ مرتبةً من الحمام، وأسفل  
النَّاس لا يكون دُونَ أن يتَّخذها، وأرفع الناس لا يكون فوق أن  
يتَّخذها، وهي شيءٌ يتَّخذه ما بين الحجاج إلى الملك الهمام.  
والحمام مع عموم شهوة النَّاس له، ليس شيءٌ مما يتَّخذونه همُّ  
أشدُّ شغفاً به ولا أشدُّ صبابَةً منهم بالحمام، ثمَّ تجد ذلك في



الخِصِيَانِ كَمَا تَجْدُهُ فِي الْفَحُولِ، وَتَجْدُهُ فِي الصَّبِيَانِ كَمَا تَجْدُهُ فِي  
الرِّجَالِ، وَتَجْدُهُ فِي الْفِئِيَانِ كَمَا تَجْدُهُ فِي الشُّيُوخِ، وَتَجْدُهُ فِي  
النِّسَاءِ كَمَا تَجْدُهُ فِي الرِّجَالِ.  
وَالْحَمَامُ مِنَ الطَّيْرِ الْمِيَامِينَ، وَلَيْسَ مِنَ الْحَيَوَانِ الَّذِي تَظْهَرُ لَهُ  
عَوْرَةٌ وَحَجْمٌ قَضِيْبٌ كَالْكَلْبِ وَالْحَمَارِ وَأَشْبَاهِ ذَلِكَ، فَيَكُوْنُ ذَلِكَ مِمَّا  
يَكُوْنُ يَجِبُ عَلَي الرِّجَالِ أَلَّا يُدْخِلُوهُ دَوْرَهُمْ.  
كَلِمَةٌ لِمَثْنَى فِي الْحَمَامِ قَالَ مَثْنَى بْنُ زَهِيْرٍ: وَمَنْ الْعَجِبَ أَنَّ الْحَمَامَ  
مُلَقَّي، وَالسَّكْرَانَ مُوَقَّي، فَأَنْشَدَهُ ابْنُ يَسِيْرٍ بَيْتَ الْخُرَيْمِيِّ:

وَأَعْدَدْتُهُ دُخْرًا لِكُلِّ مُلِمَّةٍ      وَسَهْمُ الْمَنَايَا بِالذَّخَائِرِ مُوَلَّعُ

### شرب الحمام

ومتى رأى إنسان عطشان الدَّيْكَ وَالذَّجَاجَةَ يَشْرَبَانِ الْمَاءَ، وَرَأَى ذَنْبًا  
وَكَلْبًا يَلْطَعَانِ الْمَاءَ لَطْعًا، ذَهَبَ عَطَشُهُ مِنْ قُبْحِ حَسْوِ الدَّيْكَ نَعْبَةً نَعْبَةً  
وَمَنْ لَطَعَ الْكَلْبَ، وَإِنَّهُ لَيَرَى الْحَمَامَ وَهُوَ يَشْرَبُ الْمَاءَ وَهُوَ رِيَانٌ  
فِي شَتْهِ أَنْ يَكْرَعَ فِي ذَلِكَ الْمَاءِ مَعَهُ.

### صدق رغبة الحمام في النسل

وَالدَّيْكَ وَالْكَلْبُ فِي طَلْبِ السَّفَادِ وَفِي طَلْبِ الدَّرِّءِ كَمَا قَالَ أَبُو الْأَخْرُسِ الْجَمَّانِيُّ:

## مُبْتَغِي الصَّنَاءِ وَلَا بِالْعَازِلِ

والحمام أكثر معانيه الذُّرءَ وطلبُ الولد، فإذا علم الذَّكْرُ أَنَّهُ قد أودع رحمَ الأنثى ما يكون منه الولد تقدِّمًا في إعداد العِشِّ، ونقلِ القَصَبِ وشِقِّ الخُوصِ، وأشباه ذلك من العِيدانِ الخَوَّارةِ المَدَّقاقِ حتى يعملوا أفحوصةً وينسجها نسجاً مداخلًا، وفي الموضع الذي قد رضياه اتخذاه واصطنَّعاه، بقدر جثمان الحمامة، ثمَّ أشخَصا لتلك الأفحوصةِ حُرُوفاً غيرَ مرتفعة؛ لتحفَطَ البيضُ وتمنَّعه من التَّدحرجِ، ولتلتزمَ كَتْفِي الجَوْجُوِّ ولتكونَ رِفْداً لصاحبِ الحَصْنِ، وسَدّاً للبيضِ، ثمَّ يتعاورانِ ذلك المكانَ ويتعاقبانِ ذلك القرمُوصِ وتلك الأفحوصةِ، يسخَّنانها ويدقَّيانها ويطيِّبانها، وينفيان عنها طباغها الأوَّلِ، ويُحدثان لها طبيعةً أخرى مشتقَّةً من طباغتهما، ومستخرجةً من رائحةِ أبدانهما وقُواهرهما الفاصِلةِ منهما؛ لكي تقعَ البيضةُ إذا وقعت، في موضعٍ أشبه الموضعِ طباغاً بأرحامِ الحمامِ، مع الحضانةِ والوَثارةِ؛ لكي لا تنكسر البيضة بيئس الموضعِ، ولئلا ينكر طباغها طباغَ المكانِ، وليكونَ على مقدارٍ من البَرْدِ والسَّخاَةِ والرَّخاوةِ والصَّلابَةِ، ثمَّ إنَّ صَرَبها المخاضُ وطَرَّقَت ببيضتها، بدَّرت إلى الموضعِ الذي قد أعدَّته، وتحاملتُ إلى المكانِ الذي اتَّخَذتهُ وصنعتُهُ، إلَّا أن يقرَّعها رعدٌ قاصفٌ، أو ريحٌ

عاصفٌ فَإِنَّهَا رَبَّمَا رَمَتْ بِهَا دُونَ كَيْتِهَا وَظَلَّ عُشُّهَا، وبغير موضعها الذي اختارته، وَالرَّعْدَ رَبَّمَا مَرِقَ عِنْدَهُ الْمَبِيضُ وَفَسَدَ، كَالْمَرْأَةِ الَّتِي تُسْقِطُ مِنَ الْفَرْعِ، وَيَمُوتُ جَنْبُهَا مِنَ الرَّوْعِ. عناية الحمام وأثناه بالبيض وإذا وضعت البيض في ذلك المكان فلا يزالان يتعاقبان الحضن ويتعاوران، حتى إذا بلغ ذلك البيض مده وانتَهت أيامه، وتمَّ ميقاته الذي وظفه خالفه، ودبره صاحبه، انصدع البيض عن الفرخ، فخرج عاري الجلد، صغير الجناح، قليل الحيلة، منسد الحلقوم، فيعينانه على خلاصه من قيضه وترويحاه من ضيقه.

عنايتهما بالفراخ وهما يعلمان أن الفرخين لا تتسع حلوقهما وحوصلهما للغذاء، فلا يكون لهما عند ذلك هم إلا أن ينفخا في حلوقهما الريح، لتتسع الحوصلة بعد التحامها، وتفتق بعد ارتاقها، ثم يعلمان أن الفرخ وإن اتسعت حوصلته شيئاً، أنه لا يحتمل في أول اغتذائه أن يزق بالطعم، فيزق عند ذلك باللُّعَابِ المختلط بقواهما وقوى الطعم - وهم يسمون ذلك اللُّعَابِ اللَّبَاءِ - ثم يعلمان أن طبع حوصلته يرق عن استمرار الغذاء وهضم الطعم، وأن الحوصلة تحتاج إلى دَبِغٍ وتقوية، وتحتاج إلى أن يكون لها بعض المتانة والصلابة،

فيأكلن من شَوْرَج أصول الحِيطان، وهو شيءٌ بينَ المِلح الخالص وبين الثُّراب المِلح، فيزُقَّان الفرخ حتَّى إذا علما أَنَّهُ قد انديغ واشتدَّ زُقَّاه بالحبِّ الذي قد غبَّ في حواصلهما ثم زُقَّاه بعد ذلك بالحبِّ الذي هو أقوى وأطرى، فلا يزلان يُزُقَّانه بالحبِّ والماء على مقدار قُوَّته ومبلغ طاقتة، وهو يطلب ذلك منهما، ويبيضُّ نحوهما؛ حتى إذا علما أَنَّهُ قد أطاق اللقطَ منعه بعض المنع، ليحتاج إلى اللقطِ فيتعوَّده، حتى إذا علما أن أداته قد تمتَّ، وأن أسبابه قد اجتمعتُ وأنَّهما إن قَطماه فطماً مقطوعاً مجذوداً قويَّ على اللَّقط، وبلغ لنفسيه مُنتهى حاجته - ضرباه إذا سألهما الكفاية، ونَقياه متى رجع إليهما ثم تنزع عنهما تلك الرحمة العجيبة منهما له، وينسيان ذلك العطف المتمكَّن عليه، ويُذهلان عن تلك الأثرة له، والكدَّ المضني من العُدُوِّ عليه، والرَّواح إليه، ثم يبتديان العمل ابتداءً ثانياً، على ذلك النظام وعلى تلك المقدمات.

فسبحان من عرَّفهما وألهمهما، وهداهما، وجعلهما دَلالة لمن استدلَّ، ومُخبراً صادقاً لمن استخبر، ذلكم الله رب العالمين.

**حالات الطُّعم الذي يصير في أجواف الحيوان**

وما أعجب حالاتِ الطُّعْمِ الذي يصير في أجواف الحيوان، وكيف تتصرّف به الحالاتُ، وتختلف في أجناسه الوجوه: فمنها ما يكون مثل زق الحمام لقرّحه، والزقُّ في معنى القيء أو في معنى التقيؤ وليس بهما؛ وجِرّة البعير والشاةِ والبقرة في معنى ذلك، وليس به، والبعير يريد أن يعود في حَضْمه الأوّل واستقصاء طعمه، وربّما كانت الجِرّة رجيعاً، والرّجيع: أن يعود على ما قد أعاد عليه مرّةً حتّى ينزعه من جوفه، ويقبله عن جهته.

## زَقُّ الحمام

والحمام يُخرجه من حوصلته ومن مُسْتَكَنِّه وقراره، وموضع حاجته واستمرائه، بالأثرة والبرّ، إلى حوصلة ولده، قد ملك ذلك وطابث به نفسه ولم تُعْنَتْ عليه نفسه ولم يتقدّر من صنيعه، ولم تُحْبُثْ نفسه، ولم تتغيّر شهوته، ولعلّ لدّته في إخراجها أن تكون كلدّته في إدخاله، وإنما اللذة في مثل هذا بالمجاري، كنعو ما يعتري مجرى النّطفة من استلذاذ مُرور النّطفة، فهذا شأن قلب الحمام ما في جوفه، وإخراجه بعد إدخاله، والتمساح يخرج على أنّه رجعه ونجوه الذي لا مخرج له ولا فَرَجَ له في سواه.

تصرف طبيعة الإنسان والحيوان في الطعام وقد يعتري ذلك الإنسان لما يعرض من الداء، فلا يعرف إلا الأكل والقيء، ولا يعرف النَّجْو إلا في الحين على بعض الشدة، وليس ما عرض بسبب آفة كالذي يخرج على أصل تركيب الطبيعة. والسُّنَّور والكلب على خلاف ذلك كله، لأنهما يُخرجان به عارض يعرض لهما من حُبث النفس، ومن الفساد، ومن التثوير والانقباض ثم يعودان بعد ذلك فيه من ساعتها، مشتهيين له، حريصين عليه. والإنسان إذا دَرَعه ذلك لم يكن شيء أبغض إليه منه، وربما استقاء وتكلف ذلك لبعض الأمر، وليس التكلف في هذا الباب إلا له. وذوات الكروش كلها تَقْعص بجزتها، فإذا أجادت مضغه أعادته، والجزة هي الفرث، وأشدُّ من ذلك أن تكون رجيعاً، فهي تجيد مَضَعها وإعادتها إلى مكانها، إلا أن ذلك ممَّا لا يجوز أفواهاها، وليس عند الحافر من ذلك قليل ولا كثير، بوجه من الوجوه. وقد يعتري سباع الطير شبيهة بالقيء، وهو الذي يسمونه الزُّمَج، وبعض السمك يقيء قيئاً ذريعاً، كالبال، فإِنَّه ربَّما دَسَع الدَّسعة، فتلقى بعض المراكب، فيلقون من ذلك شدة، والناقة الضجور ربَّما دَسَعَتْ بِجَرَّتْها في وجه الذي يرخلها أو يعالجها، فيلقى من ذلك أشدَّ الأذى،

ومعلومٌ أنَّها تفعلُ ذلك على عمد.  
فلذوات الأقدام في ذلك مذهب، ولذوات الكروش من الظلف  
والخفِّ في ذلك مذهب، ولذوات الأنياب في ذلك مذهب، وللسمك  
والتمساح الذي يشبه السمك في ذلك مذهب.  
ويزعمون أن جوف التمساح إن هو إلاَّ معاليق فيه، وأنه في صورة  
الجراب، مفتوح الفم، مسدود الدُّبر، ولم أحقَّ ذلك، وما أكثر من لا  
يعرفُ الحمار فيهِ.

الرجوع إلى طلب النسل عند الحمام ثم رجع بنا القول في الحمام  
بعد أن استغنى ولده عنه، وبعد أن نُزعت الرحمة منه، وذلك أنه  
يبتدئ الذكرُ الدُّعاء والطرد، وتبتدئ الأنثى بالتأني والاستدعاء، ثمَّ  
تزيّف وتتشكّل، ثمَّ تمكّن وتمنع، وتجيّب وتصدفُ بوجهها، ثم  
يتعاشقان ويتطاوعان، ويحدث لهما من التغزل والتقلُّ ومن  
السَّوف والقَبَل، ومن المصِّ والرَّشف، ومن التنفُّخ والتنفُّج، ومن  
الخيلاء والكبرياء، ومن إعطاء التقبيل حقه، ومن إدخال الفم في  
الفم، وذلك من التطاغم، وهي المطاعمة، وقال الشاعر:

أعطها بيدي إذ بتُّ أرسفُها      تطاولَ غصنُ الجيدَ بالجيدِ  
تطاغمَ في خضراء ناعمة      مطوَّقان أصاخا بعد تغريدِ

هذا مع إرسالها جناحيها وكفَّيها على الأرض، ومع تَدَرَعها وتَبُعُّها ومع  
تصاوله وتطاؤله، ومع تنفُّجه وتنفُّخه، مع ما يعتريه مع الحكمة والتفلي  
والتنفُّش حتَّى تراهُ وقد رمى فيه بمثله.  
ثمَّ الذي ترى من كسحه بذنبه، وارتفاعه بصدرة، ومن ضربه بجناحه،  
ومن فرحه ومَرَّجه بعد قَمَطِه والفراغِ من شهوته، ثمَّ يعتريه ذلك في  
الوقت الذي يفتر فيه أنكح النَّاسِ.

### القوة التناسلية لدى الحمام

وتلك الخصلة يُفوق بها جميع الحيوان، لأنَّ الإنسان الذي هو أكثر  
الخلق في قوَّة الشهوة، وفي دوامها في جميع السنَّة، وأرغبُ  
الحيوانِ في التصنُّع و التغزل، والتشكُّل والتفُّل أفتر ما يكونُ إذا  
فرغ، وَعِنْدَهَا يركبُه القُتور، ويحبُّ فِراق الرَّوج، إلى أن يعودَ إلى  
نشاطه، وترجِعَ إليه قُوَّته.  
والحمامُ أنشط ما يكون وأفرح، وأقوى ما يكون وأمرح، مع الزَّهو  
والشكل، واللَّهُو والجذل، أبرَدَ ما يكون الإنسانُ وأفتره، وأقطع ما  
يكون وأقص رَه.  
هذا، وفي الإنسان ضروبٌ من القُوى: أحدها فَصَل الشَّهْوَةِ،



والأخرى دوام الشهوة في جميع الدَّهر، والأخرى قوة التصنُّع والتكلف، وأنت إذا جمعت خِصَالَه كلها كانت دونَ قوَّة الحمام عندَ قَرَاغِه من حاجته وهذه فضيلةٌ لا يُنكِرُها أحدٌ، ومَزِيَّةٌ لا يجحدها أحد. البغال ونشاطها ويقال: إنَّ النَّاسَ لم يَجِدُوا مثَلَ نشاط الحمام في وَقت فَتْرَةِ الإنسانِ إلَّا ما وجدوه في البغال؛ فإنَّ البغال تحمِلُ أثقالاً عشية، فتسيرُ بقيَّةَ يومها وسواَدَ ليلتها، وصدَرَ نهارِ عَديها، حتَّى إذا حطُّوا عن جميع ما كان محملاً من أصناف الدَّوابِّ أحمالها، لم يكنْ لشيء منها هَمَّةٌ، ولا لِمَنْ رَكِبَها من النَّاسِ إلَّا المَرَاغَةُ والماء والعَلْفُ، وللإنسانِ الاستلقاء ورفعُ الرَّجْلينِ والغَمزُ والتأوُّه، إلَّا البغال فإنها في وقت إعياء جميع الدَّوابِّ وشِدَّةِ كلالها، وشَغَلها بأنفسها ممَّا مرَّ عليها، ليس عليها عملٌ إلَّا أنْ تَدْلِي أَيْوَرَهَا وتشطَّ وتضربَ بها بطونَها؛ وتخطُّها وترفعها، وفي ذلك الوقت لو رأى المكارى امرأة حسناء لما انتشَرَ لها ولا هَمَّ بها، ولو كان مُنعظاً ثم اعتراه بَعْضُ ذلك الإعياء لتَسِيَّ الإنعِاط. وهذه حَصلَةُ تخالف فيها البغالُ جميعَ الحيوانِ، وتزعم العَمَلَةُ أنَّها تلتمس بذلك الرَّاحَةَ وتتداوى به، فليس العجبُ - إن كان ذلك حقاً - إلَّا في إمكان ذلك لها في ذلك الوقت، وذلك لا يكون إلَّا عن شهوة

وَشَّ بِقِي مُفْرِطًا

النشاط العجيب لدى الأتراك وشبهه آخر وشكل من ذلك، كالذي يوجد عند الأتراك عند بلوغ المنزل بعد مسير الليل كله وبعض النهار، فإن الناس في ذلك الوقت ليس لهم إلا أن يتمددوا ويقيدوا دوابهم، والتركي في ذلك الوقت إذا عاين ظبياً أو بعض الصيد، ابتدأ الرُّكُضَ بمثل نشاطه قبل أن يسير ذلك السير، وذلك وقت يهمل فيه الخارجي والحصي أنفسهم؛ فإتتهما المذكوران بالصبر على ظهر الدابة فطام البهائم أولادها وليس في الأرض بهيمة تفتطم ولدها عن اللبن دفعة واحدة، بل تجد الطيبة أو البقرة أو الأتان أو الناقة، إذا ظنت أن ولدها قد أطاق الأكل منعه بعض المنع، ثم لا تنزل تُنزل ذلك المنع وترتبه وتدريجه، حتى إذا علمت أن به غنى عنها إن هي فطمته فطاماً لا رجعة فيه، منعه كل المنع.

والعرب تسمي هذا التدبير من البهائم التّعفير، ولذلك قال لبيد:

قَهْدٍ تَنَازَعَ شِلْوَهُ عُبْسٌ كَوَاسِبٌ مَا يُمَنُّ طَعَامُهَا  
وعلى مثل هذه السيرة والعادة يكون عمل الحمام في فراخه.

من عجيب أمر الحمام

ومن عجيب أمر الحمام أنه يقلب بيضه، حتى يصير الذي كان منه يلي الأرض يلي بدن الحمام من بطنه وباطن جناحه، حتى يُعطي جميع البيضة نصيبها من الحضن، ومن مَسَّ الأرض، لعلمها أن خلاف ذلك العمَل يفسدُه.

وَحَصَلَةُ أُخْرَى مَحْمُودَةٌ فِي الْحَمَامِ، وَذَلِكَ أَنَّ الْبُعْلَ الْمُتَوَلِّدَ بَيْنَ الْحَمَارِ وَالرَّمَكَةِ لَا يَبْقَى لَهُ نَسْلٌ، وَالرَّاعِبِي الْمُتَوَلِّدَ فِيمَا بَيْنَ الْحَمَامِ وَالْوَرْشَانَ، يَكْثُرُ نَسْلُهُ وَيَطْوِلُ عُمُرُ وَلَدِهِ، وَالْبُحْتُ وَالْفَوَالِجُ، إِنْ ضَرَبَ بَعْضُهَا بَعْضًا خَرَجَ الْوَلَدُ مَنقُوصَ الْخَلْقِ لَا خَيْرَ فِيهِ، وَالْحَمَامُ كَيْفَمَا أَدْرَتَهُ، وَكَيْفَمَا زَاوَجَتْ بَيْنَ مَتَّفِقِهَا وَمُخْتَلِفِهَا، يَكُونُ الْوَلَدُ تَامًّا الْخَلْقَ، مَأْمُولَ الْخَيْرِ، فَمَنْ نَتَّاجَ الْحَمَامِ إِذَا كَانَ مَرَكِبًا مُشْتَرَكًا مَا هُوَ كَالرَّاعِبِي وَالْوَرْدَانِي، وَعَلَى أَنَّ لِلْوَرْدَانِي غَرَابَةَ لَوْنٍ وَظَرَاقَةَ قَدًّا، لِلرَّاعِبِي فَضِيلَةً فِي عِظْمِ الْبَدَنِ وَالْفِرَاحِ، وَلَهُ مِنَ الْهَدِيلِ وَالْقَرْقَرَةِ مَا لَيْسَ لِأَبُوهِ، حَتَّى صَارَ ذَلِكَ سَبَبًا لِلزِّيَادَةِ فِي ثَمَنِهِ، وَعَلَّةً لِلحِرْصِ عَلَى اتِّخَاذِهِ.

وَالغَنَمُ عَلَى قَسْمَيْنِ: ضَانٌ وَمَعَزٌ، وَالْبَقَرُ عَلَى قَسْمَيْنِ: أَحَدُهُمَا الْجَوَامِيسُ إِلَّا مَا كَانَ مِنْ بَقَرِ الْوَحْشِ، وَالظَّلْفُ إِذَا اخْتَلَفَا لَمْ يَكُنْ بَيْنَهُمَا تَسَافُؤٌ وَلَا تَلَاقِحٌ، فَهَذِهِ فَضِيلَةٌ لِلْحَمَامِ فِي جِهَةِ الْإِنْسَالِ

والإلحاق، واتساع الأرحام لأصنافِ القبول، وعلى أن بين سائر أجناس الحمام من الوراشين، والقماريِّ، والفواخت، تسافداً وتلافحاً.

### مما أشبه فيه الحمام الناس

ومما أشبهه فيه الحمام النَّاسَ، أن ساعاتِ الحُصْنِ أكثرها على الأنثى، وإِنما يحُصِّنُ المذَكَّرُ في صَدْرِ النَّهارِ حُصْنًا يسيراً، والأنثى كالمرأة التي تكفل الصبي فتفطمه وتمرضه، وتتعهده بالتمهيد والتَّحريك، حتَّى إذا ذهب الحُصْنُ وانصرم وقته، وصار البيضُ فراخاً كالعيال في البيت، يحتاجون إلى الطَّعامِ والشُّرابِ، صار أكثرُ ساعاتِ الرِّقِّ على الذَّكَرِ كما كان أكثرُ ساعاتِ الحُصْنِ على الأنثى. ومما أشبهه فيه الحمام النَّاسَ ما قال مثنى بن زهير وهو إمام النَّاسِ في البصرة بالحمام وكان جيِّدَ الفِراسةِ، حاذقاً بالعلاج، عارفاً بتدبير الخارجيِّ إذا ظهرت فيه مَخيلةُ الخير - واسم الخارجيِّ عندهم: المجهول - وعالماً بتدبير العريق المنسوب إذا ظهرت فيه علاماتُ الفُسولةِ وسوءِ الهداية، وقد يمكن أن يخلف ابن قُرَشِيَّين ويَندُب ابن خوزيِّ من نبطيَّة، وإنما فصلنا نتاج العلية على نتاج السفلة لأن نتاج النَّجابة فيهم أكثر، والسَّقوط في أولاد السفلة أعمُّ، فليس بواجب أن

يكون السفلة لا تَلِدُ إِلَّا السفلة والعليّة لا تَلِدُ إِلَّا العليّة، وقد يلدِ  
المجنونُ العاقلَ والسخيُّ البخيلَ، والجميلُ القبيحَ.  
وقد زعم الأصمعي أنّ رجلاً من العرب قال لصاحب له: إذا تَرَوَّجْتَ  
امرأةً من العَرَبِ فَانظُرْ إلى أحوالها، وأعمامها، وإخوتها، فإنها لا  
تخطئ الشبّهة بواحدٍ منهم وإن كان هذا الموصي والحكيم، جعل ذلك  
حُكماً عاماً فقد أسرفَ في القول، وإن كان ذهبَ إلى التّخويف  
والزّجر والترهيب كي يختارَ لنفسه، ولأنّ المتخيّر أكثرُ نجابةً فقد  
أحسن.

وقال مثنى بن زهير: لم أر قطُّ في رجلٍ وامرأةٍ إلا وقد رأيتُ مثله  
في الذّكر والأنثى من الحمام: رأيت حمامة لا تريد إلا ذكرها، كالمرأة  
لا تريدُ إلا زوجها وسيدها، ورأيت حمامة لا تمتع شيئاً من الذكورة،  
ورأيت امرأة لا تمنع يدَ لامس، ورأيت الحمامة لا تزيف إلا بعدَ طردٍ  
شديد وشدة طلبٍ، ورأيتها تزيفَ لأوّلَ ذكر يُريدها ساعة يقصد إليها،  
ورأيت من النساء كذلك، ورأيت حمامة لها زوج وهي تمكن ذكراً آخرَ  
لاتعدّوه، ورأيت مثل ذلك من النساء، ورأيتها تزيفُ لغير ذكرها  
وذكرها يراها، ورأيتها لا تفعل ذلك إلا وذكرها يطيرُ أو يحضُن، ورأيت  
الحمامة تقمطُ الحمام الذكور، ورأيت الحمامة تقمط الحمامة،

ورأيت أنثى كانت لي لا تقمط إلا الإناث، ورأيت أخرى تقمط الإناث فقط، ولا تدع أنثى تقمطها.  
قال: ورأيت ذكراً يقمط الذكورة وتقمطه؛ ورأيت ذكراً يقمطها ولا يدعها تقمطه، ورأيت أنثى تزيغ للذكورة ولا تدع شيئاً منها يقمطها.  
قال: ورأيت هذه الأصناف كلها في السحاقات من المذكرات والمؤنثات، وفي الرجال الخلقيين واللوطيين، وفي الرجال من لا يريد النساء، وفي النساء من لا يريد الرجال.  
قال: وامتنعت عليّ خصلة، فوالله لقد رأيت من النساء من تزني أبداً وتساحق أبداً ولا تتزوج أبداً، ومن الرجال من يلوط أبداً، ويزني أبداً ولا يتزوج، ورأيت حماماً ذكراً يقمط ما لقي ولا يزوج، ورأيت حمامة تمكّن كل حمامٍ أرادها من ذكرٍ وأنثى، وتقمط الذكورة والإناث، ولا تزوج، ورأيتها تزوج ولا تبيض، وتبيض فيفسد بيضها؛ كالمرأة تتزوج وهي عاقرة، وكالمرأة تلد وتكون خرقاء وزهاء، ويعرض لها الغلظة والعقوق للأولاد، كما يعتري ذلك العقاب.  
وأما أنا فقد رأيت الجفاء للأولاد شائعاً في اللواتي حملن من الحرام ولربّما ولدت من زوجها، فيكون عطفها وتحننها كتحنن العفيفات الستيرات، فما هو إلا أن تزني أو تقحب فكأن الله لم يضرب بينها

وبين ذلك الولد بشبكة رجم، وكأنها لم تلده. قال مثنى بن زهير: ورأيت ذكراً له أنثيان وقد باصتا منه، وهو يحضن مع هذه ومع تلك، ويُرْقُ مع هذه ومع تلك، ورأيت أنثى تبيض بيضة، ورأيت أنثى تبيض في أكثر حالاتها ثلاث بيضات. وزعم أنه إنما جزم بذلك فيها ولم يظنه بالذكر، لأنها قد كانت قبل ذلك عند ذكرٍ آخر، وكانت تبيض كذلك. ورأيت أنا حمامة في المنزل لم يعرض لها ذكرٌ إلا اشتدت نحوه بحدّة ونزقٍ وتسرعٍ، حتى تنقر أين صادفت منه، حتى يصد عنها كالهارب منها، وكان زوجها جميلاً في العين رائعاً، وكان لها في المنزل بنون وبنو بنين وبنات وبنات بنات، وكان في العين كأنه أشبُّ من جميعهن، وقد بلغ من حظوته أني قلما رأيته أرادَ واحدةً من عرض تلك الإناث فامتنعت عليه، وقد كن يمتنعن من غيره، فبينما أنا ذات يوم جالسٌ بحيث أراهن إذ رأيت تلك الأنثى قد زافت لبعض بنيتها فقلت لخادمي: ما الذي غيرها عن ذلك الخلق الكريم؟ فقال: إني رَحَلت زوجها من القاطول فذهب، ولهذا شهر، فقلت: هذا عذر. قال مثنى بن زهير: وقد رأيت الحمامة تزوج هذا الحمام، ثم تتحول منه إلى آخر، ورأيت ذكراً فعَلَ مثل ذلك في الإناث، ورأيت الذكر

كثير النَّسَل قوياً على القمط، ثم يُصفي كما يُصفي الرَّجُلُ إذا أكثر  
من النَّسَل والجَماع.

ثمَّ عدَّد مُتَنَّى أبواباً غيرَ ما حَفِظت ممَّا يُصابُ مثله في الناس.

### خبرة متنى بن زهير بالحمام

وزعموا أنَّ متنَّى كان ينظر إلى العاتق والمخلف، فيظنُّ أنَّه يجيء  
من الغاية فلا يكاد ظنه يخطئ، وكان إذا أظهر ابتياع حمامٍ أغلوه  
عليه، وقالوا: لم يطلبه إلاَّ وقد رأى فيه علامة المجيء من الغاية،  
وكان يدسُّ في ذلك ففطنوا له وتحفظوا منه، فربَّما اشترى نصفه  
وثلثه، فلا يقصِّر عند الرَّجال من الغاية.  
وكان له خصيُّ يقال له خديج، يجري مجراه، فكانا إذا تناظرا في شأنٍ  
طائرٍ لم تُخلف فراستهما.

### المدة التي يبيض فيها الحمام والدجاج

قال: والحمام تبيض عشرة أشهرٍ من السنة، فإذا صانوه وحفظوه،  
وأقاموا له الكفاية وأحسنوا تعهده، باض في جميع السنة.  
قالوا: والدَّجاجة تبيض في كلِّ السنة خلا شهرين.



ضروب من الدجاج ومن الدجاج ما هو عظيم الجثة، يبيض بيضاً كبيراً، وما أقل ما يحضن، ومن الدجاج ما يبيض سئين بيضة، وأكثر المدجاج العظيم الجثة يبيض أكثر من الصغير الجثة. قال: أما الدجاج التي نسبت إلى أبي ريانوس الملك، فهو طويل البدن ويبيض في كل يوم، وهي صعبة الخلق وتقتل فراريها. ومن الدجاج الذي يربى في المنازل ما يبيض مرتين في اليوم، ومن الدجاج ما إذا باض كثيراً مات سريعاً، لذلك العرض. عدد مرات البيض عند الطيور قال: والخطاف تبيض مرتين في السنة، وتبني بيتهما في أوثق مكانٍ وأعلاه. فأما الحمام والقواخت، والأطرغلات والحمام البري، فإنها تبيض مرتين في السنة، والحمام الأهلي يبيض عشر مرات، وأما القبج والدراج فهما يبيضان بين العشب، ولا سيما فيما طال شيئاً والتوى. خروج البيضة وإذا باض الطير بيضاً لم تخرج البيضة من حد التحديد والتلطيف، بل يكون الذي يبدأ بالخروج الجانب الأعظم، وكان الظن يسرع إلى أن الرأس المحدد هو الذي يخرج أولاً. قال: وما كان من البيض مستطيلاً محدد الأطراف فهو للإناث، وما كان مستديراً عريض الأطراف فهو للذكور.

قال: والبيضة عند خروجها لينة القشر، غير جاسية ولا يابسة ولا جامدة.

بيض الريح والتراب قال: والبيض الذي يتولد من الريح والتراب أصغر وألطف، وهو في الطيب دون الآخر، ويكون بيض الريح من المدجاج والقبج، والحمص، والبطاوس، والإوز.

أثر حضن الطائر قال: وحضن الطائر وجثومه على البيض صلاح لبدن الطائر، كما يكون صلاحاً لبدن البيض، ولا كذلك الحضن على الفراخ والفراريح فربما هلك الطائر عن ذلك السبب.

تكون بيض الريح وزعم ناس أن بيض الريح إنما تكون من سفاد متقدم، وذلك خطأ من وجهين: أما أحدهما فأن ذلك قد عُرف من فراريح لم يرين ديكاً قط، والوجه الآخر: أن بيض الريح لم يكن منه فرج قط إلا أن يسفد الدجاجة ديك، بعد أن يمضي أيضاً خلق

البيضة.

معارف شتى في البيض قال: وبيض الصيف المحضون أسرع خروجاً منه في الشتاء ولذلك تحضن الدجاجة البيضة في الصيف خمس عشرة ليلة.

قال: وربما عرّض غيم في الهواء أو رعّد، في وقت حضن الطائر،

يفسُدُ البيض، وعلى كل حال ففسادُه في الصيف أكثر، والموثُ فيها في ذلك الزمان أعمّ، وأكثر ما يكون فسادُ البيض في الجنائب، ولذلك كان ابن الجهم لا يطلبُ من نساءه الولد إلاّ والريّح شمال، وهذا عندي تعرُّضٌ للبلاء، وتُحْكك بالشّر، واستدعاء للعقوبة. وقال: وبعضهم يسمّي بيضَ الرّيح: البيضَ الجُنوبيّ، لأنّ أصناف الطّير تُقبَلُ الرّيح فـي أجوافهـا. وربّما أفرخ بيضُ الرّيح بسفادٍ كان، ولكنّ لوته يكونُ متغيّراً وإن سفد الأنثى طائرٌ من غير جنسها، غير خلق ذلك المخلوق الذي كان من الذّكر المتقدّم، وهو في الديكَة أعمّ. ويقولون: إنّ البيّض يكون من أربعة أشياء: فمنه ما يكونُ من الثُّراب، ومنه ما يكونُ من السفاد، ومنه ما يكون من النّسيم إذا وصلَ إلى أرحامهن وفي بعض الزّمان، ومنه شيءٌ يعتري الحَجَل وما شاكله في الطّبيعة، فإنّ الأنثى ربّما كانت على سُقّالة الرّيح التي تهبُّ من شِقِّ الذّكر في بعض الزّمان فتحتشي من ذلك بيضاً، ولم أرهم يشكون أن النّخلة المُطلّعة تكون بقربِ الفُحّال وتحت رِيعه، فتلقح بتلك الرّيح وتكتفي بذلك، قال: وبيضُ أبكارِ الطّير أصغر، وكذلك أولادُ النساء، إلى أن تتسع الأرحام وتنتفخ الجنوب.

## هديل الحمام

ويكون هديل الحمام الفتية ضئيلاً فإذا زقَّ مَراراً فَتَحَ الرَّقُّ جُلْدَةَ غَبِّه  
وحوصلته، فخرَجَ الصَّوْتُ أَغْلَظاً وأجهراً.  
حياة البكر وهم لا يثقون بحياة البكر من الناس كما يثقون بحياة  
الثاني، ويرون أنَّ طبيعَةَ الشباب والابتداء لا يعطيانه شيئاً إلاَّ أخذه  
تضايقُ مكانه من الرَّحم، ويحبُّون أن تبكَّر بجارية وأظنُّ أن ذلك إنما  
هو لشدة خوفهم على الذكر، وفي الجملة لا يتيمنون بالبكر الذكر،  
فإن كان البكر ابنَ بكرٍ تشاءموا به، فإن كان البكر ابنَ بكرين فهو في  
الشؤمِ مثل قيسي بن زهير، والبسوس، فإن قيساً كان أزرُق وبكراً  
ابن بكرين، ولا أحفظُ شأن البسوس حفظاً أجزمُ عليه.

## ما يعتري الحمام والإوز بعد السفاد

قال: وأمَّا الحمام فإنه إذا قمط تَنَفَّشَ وتكبَّرَ وَنَقَضَ دَنِبَهُ وَصَرَبَ  
بجناحه، وأمَّا الإوزُ فإنه إذا سفد أكثر من السباحة، اعتراه في الماء  
من المَرَحِ مثلُ ما يعتري الحمام في الهواء.  
قال: وبيضُ الدجاج يتمُّ خلقه في عشرة أيام وأكثر شيئاً، وأمَّا بيض  
الحمام ففي أقلَّ من ذلك.

## احتباس بيض الحمامة

والحمامة ربّما احتبَسَ البيضُ في جوفها بَعْدَ الوَقْتِ لِأُمُورٍ تَعْرِضُ لَهَا: إمَّا لِأَمْرٍ عَرَضَ لِعُنُقِهَا وَأَفْحُوصِهَا، وإمَّا لِتَنَفِّ ريشها، وإمَّا لِعَلَّةٍ وَجِعٍ مِنْ أَوْجَاعِهَا وإمَّا لِصَوْتِ رَعْدٍ؛ فَإِنَّ الرَّعْدَ إِذَا اشْتَدَّ لَمْ يَبْقَ طَائِرٌ عَلَى الْأَرْضِ وَاقِعٌ إِلَّا عَدَا قَزَعًا، وَإِنْ كَانَ يَطِيرُ رَمَى بِنَفْسِهِ إِلَى الْأَرْضِ، قَالَ عَلْقَمَةُ بْنُ عَبْدَةَ:

فَوْقَهُمْ سَقَبُ السَّمَاءِ      بِشِكَّتِهِ لَمْ يُسْتَلَبْ وَسَلِيْبُ  
فَدَاحِضُ      صَابَتْ عَلَيْهِمْ سَحَابَةٌ      صَوَاعِقُهَا لَطِيرُهُنَّ دَبِيبُ

## تقبيل الحمام

قال: وليس التَّقْبِيلُ إِلَّا لِلْحَمَامِ وَالْإِنْسَانِ، وَلَا يَدَعُ ذَلِكَ ذَكَرُ الْحَمَامِ إِلَّا بَعْدَ الْهَرَمِ، وَكَانَ فِي أَكْثَرِ الظَّنِّ أَنَّهُ أَحْوَجُ مَا يَكُونُ إِلَى ذَلِكَ التَّهْيِيجِ بِهِ عِنْدَ الْكِبَرِ وَالصَّعْفِ. وَتَزَعُمُ الْعَوَامُّ أَنَّ تَسَافِدَ الْغُرَبَانِ هُوَ تَطَاعُمُهَا بِالْمَنَاقِيرِ، وَأَنَّ إِلقَاهَا إِثْمًا يَكُونُ مِنْ ذَلِكَ الْوَجْهِ، وَلَمْ أَرَ الْعُلَمَاءَ يَعْرِفُونَ هَذَا. قال: وَإِنَّا نُحَمِّمُ إِذَا تَسَافَدَتِ أَيْضًا قَبْلَ بَعْضُهُنَّ بَعْضًا، وَيُقَالُ إِثْمًا تَبِيضُ عَنْ ذَلِكَ، وَلَكِنْ لَا يَكُونُ عَنْ ذَلِكَ الْبَيْضِ فِرَاحَ، وَإِنَّهُ فِي سَبِيلِ بَيْضِ الرِّيحِ.

## تكوّن الفرخ في البيضة

قال: وَيَسْتَبِينُ خَلْقُ الْفِرَاحِ إِذَا مَضَتْ لَهَا ثَلَاثَةُ أَيَّامٍ بِلِيَالِهَا وَذَلِكَ فِي سَبَابِ الدَّجَاجِ، وَأَمَّا فِي الْمَسَانِّ مِنْهَا فَهُوَ أَكْثَرُ، وَفِي ذَلِكَ الْوَقْتِ تُوجَدُ الصُّفْرَةُ مِنَ النَّاحِيَةِ الْعُلْيَا مِنَ الْبَيْضَةِ، عِنْدَ الطَّرَفِ الْمَحْدَدِ وَحَيْثُ يَكُونُ أَوَّلُ تَقْرِهَا، فَتَمَّ يَسْتَبِينُ فِي بِيَاضِ الْبَيْضَةِ مِثْلُ نَقْطَةٍ مِنْ دَمٍ، وَهِيَ تَخْتَلِجُ وَتَتَحَرَّكُ، وَالْفِرْخُ إِنَّمَا يُخْلَقُ مِنَ الْبِيَاضِ، وَيَعْتَذِي الصُّفْرَةَ، وَيَتَمُّ خَلْقُهُ لِعَشْرَةِ أَيَّامٍ، وَالرَّأْسُ وَحَدَّهُ يَكُونُ أَكْبَرَ مِنْ سَائِرِ الْبَدَنِ.

البيض العجيب قال: ومن الدجاج ما يبيض بيضاً له صُفْرَتَانِ فِي بَعْضِ الْأَحْيَانِ، خَبَّرَنِي بِذَلِكَ كَمَا تَشِئْتُ مِنْ ثِقَاتِ أَصْحَابِنَا. وَقَالَ صَاحِبُ الْمَنْطِقِ: وَقَدْ بَاضَتْ فِيهَا مَضَى دَجَاجَةٌ ثَمَانِي عَشْرَةَ بَيْضَةً، لِكُلِّ بَيْضَةٍ مُحْتَانٍ، ثُمَّ سَخَّنتْ وَحُضِنَتْ، فَخَرَجَ مِنْ كُلِّ بَيْضَةٍ قَرُوجَانٌ، مَا خَلَا الْبَيْضَ الَّذِي كَانَ فَاسِداً فِي الْأَصْلِ، وَقَدْ يَخْرُجُ مِنَ الْبَيْضَةِ قَرُوجَانٌ، وَيَكُونُ أَحَدُهُمَا أَعْظَمَ جِنَّةً، وَكَذَلِكَ الْحَمَامُ، وَمَا أَقَلَّ مَا يَغَادِرُ الْحَمَامُ أَنْ يَكُونَ أَحَدُ الْفَرَحَيْنِ ذَكَراً وَالْآخَرَ أُنْثَى. مَعَارِفُ فِي الْبَيْضِ قَالَ: وَرَبَّمَا بَاضَتْ الْحَمَامَةُ وَأَشْبَاهُهَا مِنَ الْقَوَاحِ ثَلَاثَ بَيْضَاتٍ، فَأَمَّا الْأَطْرُغَلَاتُ وَالْقَوَاحِ فَإِنَّهَا تَبْيِضُ بِيضَتَيْنِ، وَرَبَّمَا بَاضَتْ ثَلَاثَ بَيْضَاتٍ وَلَكِنْ لَا يَخْرُجُ مِنْهَا أَكْثَرُ مِنْ

فرخين، وربما كان واحداً فقط.  
قال: وبعض الطير لا يبيض إلا بعد مُرورِ الحَوْلِ عليه كاملاً، والحمامة  
في أكثر أمرها يكونُ أحدُ فرخَيْها ذكراً والآخر أنثى، وهي تبيضُ أولاً  
البيضةَ التي فيها الذَّكر، ثمَّ تقيم يوماً وليلةً، ثمَّ تبيض الأخرى، وتحضنُ  
ما بين السَّبعةَ عشرَ يوماً إلى العشرين، على قدرِ اختلافِ طباع  
الزَّمان، والذي يعرضُ لها من العلل، والحمامةُ أبيضُ بالبيض، والحمامُ  
أبيضُ بالفراخ.

قال: وأما جميعُ أجناسِ الطيرِ ممَّا يأكل اللحمَ، فلم يظهر لنا أنه  
يبيضُ ويُفرخ أكثرَ من مرَّةٍ واحدة، ما خلا الخُطَّافُ فإنه يبيض مرَّتين.  
تربية الطيور فراخها والعقَابُ تبيضُ ثلاث بيضات، فيخرج لها فرخان،  
واختلفوا فقال بعضهم: لأنها لا تحضنُ إلا بيضتين، وقال آخرون: قد  
تحضنُ ويخرج لها ثلاثةُ أفراخ، ولكنها ترمي بواحدٍ استثقلاً للتكسُّب  
على ثلاثة، وقال آخرون: ليس ذلك إلا بما يعتريها من الضعفِ عن  
الصَّيد، كما يعتري النَّفساء من الوهنِ والضعف، وقال آخرون:  
العقَاب طائر سيِّء الخلق، رديءُ التربية، وليس يُستعانُ على تربية  
الأولاد إلا بالصَّبْر، وقال آخرون: لا، ولكنها شديدةُ التَّهم والشَّرِّه، وإذا  
لم تكن أمُّ الفِراخ ذاتِ أثرٍ لها، ضاعت.

وكذلك قالوا في العَقْعَقِ، عند إضاعتها لفراخها، حتى قالوا: أحمقُ  
من عَقْعَقٍ، كما قالوا: أحمَدُ من عَقْعَقٍ.  
وقالوا: وأمَّا الفَرخُ الذي يُخرجه العُقَابُ، فإنَّ المَكْلَفَةَ، وهي طائرٌ  
يقال لها كاسِرُ العِظَامِ، تقبُلُهُ وترَبِّيهِ.  
والعُقَابُ تحضن ثلاثين يوماً، وكذلك كلُّ طائرٍ عظيم الجَنَّةِ، مثل الإوزِ  
وأشباهِ ذلك، فأَمَّا الوسطُ فهو يحضنُ عِشرين يوماً، مثل الجِدَاءِ ومثل  
أصنافِ البُزاةِ كالبواشِشِ ق واليَـآئِئِ.  
والحدأةُ تبيضُ بيضتين، وربُّما باضتُ ثلاث بيضات وخرَجَ منهن ثلاثة  
فِـراخٍ.

قالوا: وأمَّا العقبان السُّودُ الألوان، فإنَّها ترَبِّي وتحضن.  
وجميع الطير المعفَّف المخالب تطردُ فراخها من أعشاشها عند قوَّتِها  
على الطَّيران، وكذلك سائر الأصنافِ مِنَ الطيرِ، فإنَّها تطردُ الفِراخَ  
ثمَّ لا تعرفُها، ما عدا الغداف، فإنَّها لا تزالُ لولدها قابلة، ولحالِهِ  
متفقٌ

أجناس العقبان وقال قوم: إنَّ العِقْبَانَ والبُزاة النَّامَّة، والجهازِرَانِكُ،  
والسُّمْنان، والزَّمامِجِ والزَّرارِقَةَ إنَّها كلُّها عِقْبَان، وأمَّا السُّواهِينُ  
والصُّقُورَةُ واليَـوِائِئِ، فإنَّها أجناسٌ أُخَر.



حَضَنَ الطَّيْرُ قَالَ: وَقَالُوا: فَرَاخُ الْبَزَاةِ سَمِينَةٌ طَيِّبَةٌ جَدًّا، وَأَمَّا الْإِوزَةُ  
فَإِنَّهَا الَّتِي تَحْضَنُ دُونَ الْمَذْكَرِ، وَأَمَّا الْغُرْبَانُ فَعَلَى الْإِنثَاءِ الْحَضْنِ،  
وَالْمَذْكَورَةُ تَأْتِي الْإِنثَاءَ بِالطَّعْمَةِ.  
وَأَمَّا الْحَجَلُ فَإِنَّ الزَّوْجَ مِنْهَا يَهَيِّئَانِ لِلْبَيْضِ عُشًّا وَثِقِينِ مَقْسُومَيْنِ  
عَلَيْهِمَا، فَيَحْضُنُ أَحَدُهُمَا الْمَذْكَرُ، وَالْآخَرُ الْأُنْثَى، وَكَذَلِكَ هُمَا فِي التَّرْبِيَةِ،  
وَكَلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا يَعِيشُ خَمْسًا وَعِشْرِينَ سَنَةً، وَلَا تَلْقَحُ الْأُنْثَى بِالْبَيْضِ  
وَلَا يُلْقِحُ الْمَذْكَرُ إِلَّا بَعْدَ ثَلَاثِ سَنِينَ.  
الطَّاوُسُ قَالَ: وَأَمَّا الطَّاوُسُ فَأَوَّلُ مَا تَبْيِضُ ثَمَانِي بِيضَاتٍ، وَتَبْيِضُ  
أَيْضًا بِيضَ الرِّيحِ، وَالطَّاوُسُ يُلْقِي رِيشَهُ فِي زَمَنِ الْخَرِيفِ إِذَا بَدَأَ أَوَّلُ  
وَرَقِ الشَّجَرِ يَسْقُطُ، وَإِذَا بَدَأَ الشَّجَرُ يَكْتَسِي وَرَقًا، بَدَأَ الطَّاوُسُ  
فَاكْتَسَى رِيشًا.  
مَا لَيْسَ لَهُ عَشُّ مِنَ الطَّيْرِ قَالَ: وَمَا كَانَ مِنَ الطَّيْرِ الثَّقِيلِ الْجَنَّةِ  
فَلَيْسَ يَهَيِّئُ لِبَيْضِهِ عُشًّا؛ مِنْ أَجْلِ أَنَّهُ لَا يُجِيدُ الطَّيْرَانِ، وَيَثْقُلُ عَلَيْهِ  
النَّهْوُ وَلَا يَتَخَلَّقُ، مِثْلَ الْمُدْرَجِ وَالْقَبَجِ، وَإِنَّمَا يَبْيِضُ عَلَى التُّرَابِ،  
وَفَرَاخُ هَذِهِ الْأَجْنَاسِ كَفَرَارِيحِ الدَّجَاجِ، وَكَذَلِكَ فَرَارِيحُ الْبَطِّ الصِّينِيِّ،  
فَإِنَّ هَذِهِ كُلَّهَا تَخْرُجُ مِنَ الْبَيْضِ كَاسِيَةٍ كَاسِبَةٍ تَلْقُطُ مِنْ سَاعَتِهَا،  
وَتَكْفِي نَفْسَهَا.

القبجة قال: وإذا دنا الصياد من عُشِّ القبجة ولها فراخٌ، مرَّت بين يديه مرّاً غيرَ مُقيت، وأطمعته في نفسها لاتباعها، فتمرُّ الفراخ في رجوعها إلى موضعِ عُشِّها، والفراخ ليسَ معها من الهداية ما مع أمِّها، وعلى أنّ القبجة سيئة الدلالة والهداية، وكذلك كلُّ طائر يعجلُّ له الكيس والكسوة، ويعجلُّ له الكسبُ في صغره. وهذا إنّما اعتراها لقراية ما بينها وبين الدّيك. قال: فإذا أمعن الصائد خلفها وقد خرجت الفراخ من موضعها، طارت وقد نَحَّته إلى حيث لا يهتدي الرجوع منه إلى موضع عُشِّها، فإذا سقطت قريباً دعتها بأصواتٍ لها، حتّى يجتمعن إليها. قال: وإناثُ القَبَج تبيض حَمَسَ عشرة بيضة إلى ستِّ عشرة بيضة، قال: والقَبج طيرٌ منكّرٌ وهي تفرُّ ببيضها من الدّكر؛ لأنّ الأنثى تشتغل بالحضن عن طاعة الدّكر في طلب السّفاد، والقَبج الدّكرُ يوصفُ بالقوّة على السّفاد، كما يوصف الدّيكُ والحجلُّ والعصفور. قال: فإذا سُغِلت عنه بالحضن، طلبَ مواضعَ بيضها حتى يفسدهُ فلذلك ترتاد الأنثى عُشِّها في مخايبيّ إذا أحسَّت بوقتِ البيض. وثوب الذكورة على الذكورة وإذا قاتل بعضُ ذُكورةِ القَبج بعضاً فالمغلوبُ منها مسفودٌ والغالبُ سافد، وهذا العرض يعرضُ للدّيكَة

ولذكور الدَّرَارِيحِ، فَإِذَا دَخَلَ بَيْنَ الدِّيَكَةِ دِيكٌ غَرِيبٌ، فَمَا أَكْثَرَ مَا تَجْتَمِعُ عَلَيْهِ حَتَّى تَسْفَدَهُ، وَسَفَادُ ذُكُورَةِ هَذِهِ الْأَجْنَاسِ إِنَّمَا يَعْرِضُ لَهَا لِهَذِهِ الْأَسْبَابِ، فَأَمَّا ذُكُورَةُ الْحَمِيرِ وَالخَنَازِيرِ وَالْحَمَامِ، فَإِنَّ ذُكُورَهَا تَثْبُتُ عَلَى بَعْضِ مَنَاجِمِ جَهَنَّمَ الشَّهْوَةِ. وَكَانَ عِنْدَ يَعْقُوبَ بْنِ صَبَاحِ الْأَشْعَثِيِّ، هَرَّانٌ ضَخْمَانٌ، أَحَدُهُمَا يَكُومُ الْآخَرَ مَتَى أَرَادَهُ، مِنْ غَيْرِ إِكْرَاهٍ، وَمِنْ غَيْرِ أَنْ يَكُونَ الْمُسْفُودُ يَرِيدُ مِنَ السَّافِدِ مِثْلَ مَا يَرِيدُ مِنْهُ السَّافِدُ، وَهَذَا الْبَابُ شَائِعٌ فِي كَثِيرٍ مِنَ الْأَجْنَاسِ، إِلَّا أَنَّهُ فِي هَذِهِ الْأَجْنَاسِ أَوْجَدَ.

### صيد البزاة للحمام

ثُمَّ رَجَعَ بِنَا الْقَوْلِ إِلَى ذِكْرِ الْحَمَامِ، مِنْ غَيْرِ أَنْ يَشَابَ بِذِكْرِ غَيْرِهِ. زَعَمَ صَاحِبُ الْمَنْطِقِ أَنَّ الْبُزَاةَ عَشْرَةٌ أَجْنَاسٍ، فَمِنْهَا مَا يَضْرِبُ الْحَمَامَةَ وَالْحَمَامَةَ جَائِمَةً، وَمِنْهَا مَا لَا يَضْرِبُ الْحَمَامَةَ إِلَّا وَهُوَ يَطِيرُ، وَمِنْهَا مَا لَا يَضْرِبُ الْحَمَامَةَ فِي حَالِ طَيْرَانِهِ وَلَا فِي حَالِ جَثُومِهِ، وَلَا يَعْرِضُ لَهُ إِلَّا أَنْ يَجِدَهُ فِي بَعْضِ الْأَعْصَانِ، أَوْ عَلَى بَعْضِ الْأَنْشَارِ وَالْأَشْجَارِ، فَعَدَّدَ أَجْنَاسَ صَيْدِهَا، ثُمَّ ذَكَرَ أَنَّ الْحَمَامَ لَا يَخْفَى عَلَيْهِ فِي أَوَّلِ مَا يَرَى الْبَازِيَّ فِي الْهَوَاءِ أَيُّ الْبُزَاةِ هُوَ، وَأَيُّ نَوْعِ صَيْدِهِ، فَيُخَالَفُ

ذلك، ولمعرفة الحمامِ بذلك من البازي أشكال: أوَّلَ ذلك أنَّ الحمامَ في أوَّلِ نُهوِضِهِ يفصلُ بينَ النَّسرِ والعُقابِ، وبينَ الرَّحمةِ والبازيِ، وبينَ العُرابِ والصَّقرِ؛ فهوَ يَرى الكَرَكيَّ والطَّبرزيِّ ولا يستوحِشُ منهما ويرى المُرَّزَّقَ فيتضاءل، فإنَّ رأى الشَّاهينَ فَقَدْ رأى السَّمَّ \_\_\_\_\_ الذعاف الناقع.

إحساس الحيوان بعدوِّه والنَّعجة ترى الفيلَ والرَّندَيْلَ والجاموسَ والبعيرَ، فلا يهزُّها ذلك، وترى السَّبع وهي لم تره قبل ذلك، وَعَضُوٌّ من أعضاء تلك البهائم أعظمُ وهي أهولُ في العين وأشنعُ، ثمَّ ترى الأسدَ فتخافه، وكذلك الببَّر والنمر، فإنَّ رأت الذئبَ وحده اعتراها منه وَحْدَهُ مثلُ ما اعتراها من تلك الأجناسِ لو كانت مجموعةً في مكانٍ واحد، وليس ذلك عن تجرِبَةٍ، ولا لأنَّ منظره أشنعُ وأعظم، وليسَ في ذلك عِلَّةٌ إلَّا ما طُبِعَت عليه من تمييز الحيوان عندها، فليس بمُسْتَنَكِرٍ أَنْ تُفَصِّلَ الحمامةَ بينَ البازيِ والبازيِ، كما فصلت بينَ البازيِ والكَرَكيِّ. فإنَّ زعمتَ أنَّها تعرف بالمخالب فيمنقار الكَرَكيِّ أشنعُ وأعظم وأفظع، وأطولُّ وأعرض، فأما طَرَفُ منقار الأبعث فما كانَ كلُّ سنانٍ وإن كان مذبذباً ليلغِه.

## بلاهة الحمام وخرقه

قال صاحب الدبك: وكيف يكون للحمام من المعرفة والفطنة ما تذكرون، وقد جاء في الأثر: كُوتُوا بُلَّهُمُ كَالْحَمَامِ.

وقال صاحب الدبك: تقول العرب: أُخْرِقَ مِنْ حَمَامَةٍ، وَمِمَّا يَدُلُّ عَلَى ذَلِكَ قَوْلُ عَبِيدِ بْنِ الْأَبْرَصِ:

بِأَمْرِهِمْ كَمَا  
لَهَا عُودَيْنِ مِنْ  
عَيَّتْ بَيَّصَتْهَا الْحَمَامَةُ  
تَشْمُ وَأَخْرَجَتْهَا مِنْ ثَمَامَةٍ  
فَإِنْ كَانَ عَبِيدٌ إِنَّمَا عَنَى حَمَامَةً مِنْ حَمَامِكُمْ هَذَا الَّذِي أَنْتُمْ بِهِ  
تَفَخَّرُونَ، فَقَدْ أَكْثَرْتُمْ فِي ذِكْرِ تَدْبِيرِهَا لِمَوَاضِعِ بَيَّضِهَا، وَإِحْكَامِهَا  
لَصَلْبَةِ عَشَاشِهَا وَأَفَاحِصِهَا.

وإن قلت: إنه إنما عنى بعض أجناس الحمام الوحشي والبرّي، فقد أخرجتم بعض الحمام من حُسْنِ التَّدْبِيرِ، وعبيد لم يخص حماماً دون حمام.

## رغبة عثمان في ذبح الحمام

وحدّث أسامة بن زيد قال: سمعتُ بعضَ أشيائنا منذُ زمانٍ، يحدثُ أَنَّ عَثْمَانَ بْنَ عَفَّانَ - رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ - أَرَادَ أَنْ يَذْبَحَ الْحَمَامَ ثُمَّ قَالَ: لَوْلَا أَنَّهَا أُمَّةٌ مِنَ الْأُمَّمِ لَأَمَرْتُ بِذَبْحِهِنَّ، وَلَكِنْ فُصُوهُنَّ، فَدَلَّ بِقَوْلِهِ: فُصُوهُنَّ عَلَى أَنَّهَا إِنَّمَا تُذْبَحُ لِرَغْبَةِ مَنْ يَتَّخِذُهُنَّ، وَيَلْعَبُ بِهِنَّ مِنَ الْفِتْيَانِ وَالْأَحْدَاثِ وَالشُّطَّارِ، وَأَصْحَابِ الْمَرَاهِنَةِ وَالْقِمَارِ، وَالَّذِينَ

يتشرفون على حُرَمِ الناس والجيران، ويختدعون بفراخ الحَمَامِ أولاد  
النَّاسِ، ويرمون بالجلَّاهِقِ وما أكثر مَنْ قد فقأ عيناً وهشم أنفاً، وهتم  
فمّاً، وهو لا يدري ما يصنع، ولا يقفُّ على مقدارِ ما ركبَ به القومَ، ثم  
تذهب جنائتُه هدرًا؛ ويعودُ ذلك الدَّمُّ مطلقاً بلا عقل ولا قوَدٍ ولا  
قصاص ولا أُرْش؛ إذ كان صاحِبُه مجهولاً.  
وعلى شبيهِ ذلك كان عمرُ - رضي الله عنه - أمرَ بدَّبْحِ الدِّيكةِ وأمرَ  
النبيُّ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّم بقتل الكلابِ.  
قالوا: ففيما ذكرنا دليلُ على أنَّ أكلَ لحومِ الكلابِ لم يكن من دينهم  
ولا أخلاقهم، ولا من دواعي شهواتهم، ولولا ذلك لما جاء الأثرُ عن  
النبيِّ - صَلَّى اللهُ عليه وسلَّم - وعُمَرُ وعُثمانُ - رضي الله تعالى  
عنهما بدَّبْحِ الدِّيكةِ والحَمَامِ، وقتل الكلابِ، ولولا أنَّ الأمرَ على ما قلنا،  
لقالوا: اقتلوا الدُّيوكَ والحَمَامَ كما قال: اقتلوا الكلابِ، وفي تفريقهم  
بينها دليلٌ على افتراقِ الحَالَاتِ عندهم.  
قال: حدَّثني أسامة بن زيد، وإبراهيمُ بنُ أبي يحيى، أنَّ عثمانَ شكَّوا  
إليه الحَمَامَ، وأنه قال: مَنْ أَحَدَ منهنَّ شيئاً فهو له، وقد علمنا أنَّ  
اللفظَ وإن كان قد وقعَ على شِكَايةِ الحَمَامِ، فإن المعنى إنما هو على  
شِكَايةِ أصحابِ الحَمَامِ؛ لأنَّه ليس في الحَمَامِ معنَى يدعُو إلى شِكَايةٍ.

قال: وحدثنا عثمان قال: سئل الحسن عن الحمام الذي يصطاده الناس، قال: لا تأكله، فإنه من أموال الناس فجعله مالاً، ونهى عن أكله بغير إذن أهله، وكل ما كان مالاً فيبيعه حسنٌ وابتياؤه حسن، فكيف يجوزُ لشيء هذه صفته أن يُذبح، إلا أن يكون ذلك على طريق العقاب والزجر لمن اتخذه لما لا يحل.  
قال: ورووا عن الزهري عن سعيد بن المسيب قال: نهى عثمان عن اللعب بالحمام، وعن رمي الجلاهق، فهذا يدلُّ على ما قلنا.

## أمن حمام مكة وغزلانها

والناس يقولون: آمنٌ من حمام مكة، ومن غزلان مكة، وهذا شائعٌ على جميع الألسنة، لا يردُّ أحدٌ ممن يعرف الأمثال والشواهد، قال عُقَيْبَةُ الأَسَدِيُّ لابن الزبير:

زَلَتْ مَذْجَجٌ بِمَكَّةَ مَحْرَمًا فِي حَيْثُ يَأْمَنُ طَائِرٌ وَحَمَامٌ  
فَلَتْنَهَضَنَّ العَيْسُ تَنْفُخُ فِي البُرْبُرِجْتَيْنِ عُرْضَ مَخَارِمِ الأَعْلَامِ  
المغيرة مثل آل خويلد؟ يا للرجال ليخفة الأحلام

وقال النابغة في الغزلان وأمنها، كقول جميع الشعراء في الحمام:

والمؤمن العائذات الطير  
تمسحها  
رُكبانَ مَكَّةَ بَيْنَ الغَيْلِ والسَّعَدِ  
ولو أن الأطباء ابئلت ممن يتخذها بمثل الذي ابئلت به الحمام ثم  
ركبوا المسلمين في الغزلان بمثل ما ركبهم به في الحمام،  
لساروا في دبح الغزلان كسيرتهم في دبح الحمام.

وقالوا: إِنَّهُ لَيَبْلُغُ مَنْ تَعْظِيمِ الْحَمَامِ لِحُرْمَةِ الْبَيْتِ الْحَرَامِ، أَنَّ أَهْلَ  
مَكَّةَ يَشْهَدُونَ عَنْ آخِرِهِمْ أَنَّهُمْ لَمْ يَرَوْا حَمَامًا قَطُّ سَقَطَ عَلَى ظَهْرِ  
الْكَعْبَةِ، إِلَّا مِنْ عِلَّةٍ عَرَضَتْ لَهُ، فَإِنْ كَانَتْ هَذِهِ الْمَعْرِفَةُ اِكْتِسَابًا مِنْ  
الْحَمَامِ فَالْحَمَامُ فَوْقَ جَمِيعِ الطَّيْرِ وَكُلِّ ذِي أَرْبَعٍ، وَإِنْ كَانَ هَذَا إِتْمَا  
كَانَ مِنْ طَرِيقِ الْإِلْهَامِ، فَلَيْسَ مَا يُلْهَمُ كَمَا لَا يُلْهَمُ. وَقَالَ الشَّاعِرُ  
فِي أَمْنِ الْحَمَامِ:

تَفَرَّعَ فِي الدَّوَابِّ وَالسَّنَامِ  
بِمَكَّتْهَا الْبُيُوتَ مَعَ الْحَمَامِ

عِلْمَ الْقَبَائِلُ أَنْ يَبْتِي  
نَحْنُ أَوْلُ مِنْ تَبْنِي

وقال كثير - أو غيره من بني سهم - في أمن الحمام:

وَحُسَيْنًا مِنْ سُوقَةِ إِمَامِ  
وَالْكَرَامِ الْأَخْوَالِ وَالْأَعْمَامِ  
مَنْ آلَ الرَّسُولِ عِنْدَ الْمَقَامِ  
كَلِمَا قَامَ قَائِمٌ بِسَلَامِ

اللَّهُ مَنْ يَسُبُّ عَلِيًّا  
الْمُطِيبِينَ جَدوداً  
الطَّيْبِ وَالْحَمَامِ وَلَا يَأْ  
اللَّهُ وَالسَّلَامُ عَلَيْهِمْ

وذكر شأن ابن الزبير وشأن ابن الحنفية، فقال:

يَرِ هَذَا الشَّيْخَ بِالْخَيْفِ مِنَ النَّاسِ يَعْلَمُ أَنَّهُ غَيْرُ ظَالِمِ

النَّبِيِّ الْمَصْطَفَى وَابْنَ وَفَكَأُ أَغْلَالٍ وَنَفَاعُ غَارِمِ

فَهُوَ لَا يَشْرِي هُدَى بِصَلَاةٍ يَبْقِي فِي اللَّهِ لَوْمَةَ لَائِمِ

بِحَمْدِ اللَّهِ نَتْلُو كِتَابَهُ حُلُولًا بِهَذَا الْخَيْفِ خَيْفِ

الْمَحَارِمِ الْحَمَامُ آمَنَاتٌ سَوَوْكَلَقَى الْعَدُوَّ كَالْوَلِيِّ الْمَسَالِمِ

حمامة نوح



قال صاحب الحَمَام: أمَّا العرب والأعرابُ والشُّعراء، فقد أطبقوا على أنَّ الحَمَامَةَ هي التي كانت دليلَ نوحٍ ورائده، وهي التي استجَعَلَتْ عليه الطُّوقَ الذي في عنقها، وعند ذلك أعطاهَا اللهُ تعالى تلكَ الحِلْيَةَ؛ ومَنَحَهَا تلكَ الرِّينَةَ، بدعاءِ نوحٍ عليه السلام، حينَ رجعتُ إليه ومعها من الكَرَمِ ما مَعَهَا، وفي رجليها من الطَّيْنِ والحَمَاءِ ما برجليها، فعَوَّضَتْ من ذلكَ الطَّيْنِ خِضَابَ الرَّجْلَيْنِ، ومن حُسْنِ الدَّلَالَةِ والطَّاعَةِ طُوقَ العنقِ.

## شعر في طوق الحمامة

وفي طوقها يقول الفرزدق:

فقد أَمِنَ الهَجَاءَ بنو حَرَامٍ  
قلائِدَ مِثْلَ أطواقِ الحَمَامِ

يَكُ خائِفاً لأذَاةِ شِعْري  
قَادُوا سَفِيهِهِمْ وخَافُوا

وقال في ذلك بَكْرُ بنِ النَّطَّاحِ:

وإن شئتُ غَنَّاني الحَمَامُ  
المطُوقِ

شئتُ غَنَّني بِبَغْدَادَ قَينَةَ

الحَسامُ أو إِزارُ مُعْصِفُودِرُعُ حديدٍ أو قَميصُ مَخْلوقِ

فذكر الطُّوقَ، ووصفها بِالغِنَاءِ والإطْرَابِ، وكذلك قال حُمَيدُ بنُ تَورٍ:

الصُّحى لا تَعْرِفُ الجِيرةَ الجِيرةَ الأذنينِ إلاَّ تَجسُّمًا

وليسَتْ مِنَ اللَّائِي يَكُونُ  
حَدِيثُهَا

ثمَّ قال:

هاجَ هذا الشُّوقَ إلاَّ حَمامُكَتِ ساقَ حُرِّ تَرَحَّةٍ وتَرَبُّمًا

مطوّقةُ خطباء تصدَحَ كلما الصَّيفُ وانجاب الربيعَ فأنجما

ثمّ قال بعد ذكر الطوق:

شئتُ غنَّيني بأجرَاعِ بيشةٍ النَّحلِ مِنْ تثلّيتِ أو بيلمما  
لها أنّي يكونُ غناؤها فصيحاً ولم تفعّرْ بمنطِقها فما  
محزّوناً له مثلُ صوتها عَرَبياً شاقّه صوتُ أعجما

وقال في ذكر الطوق - وأنّ الحمامة تّواحه - عبدُ الله بن أبي بكر وهو شهيد يوم الطائف، وهو

صاحبُ ابن صاحب:

مثلي طلق اليومَ مثلها مثلها في غير جرمٍ تطلقُ  
لا أنساك ما هبت الصّيا ناح قمرِيّ الحمامِ المطوّقِ

وقال جهم بن خلف، وذكرها بالثّوح، والغناء، والطّوق، ودعوة نوح؛ وهو قولة:

شاقني نوحُ قُمريةٍ طرُوبِ العيشيّ هتوفِ الصّحى  
الوُزقِ تّواحةٍ باكرتُ عسيبَ أشاءِ بذاتِ الغصا  
عليه بلحن لها يُهيجُ للصبِّ ما قد مضى  
مطوّقةٍ كسبت زينةً بدعوة نوح لها إذ دعا

باكيةً مثلها تبكي ودمعتها لا ترى  
فريخاً فطافت له علقته حبالُ الرّدى  
بدا اليأسُ منه بكعليه، وما ذا يردُّ البكا  
صاده صريرُ ملخهوق الجناح حيثُ التّجا  
المخالبِ عاري  
الوطني  
ضارٍ من الوُزقِ فيه قنا

الطيّر والوحش من جوامر منه إذا ما اغتدى

نزاع صاحب الدّيك في الفخر بالطوق قال صاحب الديك: وأمّا

قوله:

مطوّقة كساها الله طوقاً ولم يخصّصْ به طيراً سواها  
كيف لم يخصّصْ بالأطواق عيّر الحمام، والتّدارجُ أحقُّ بالأطواق وأحسنُ أطواقاً منها، وهي في  
دُكورتها أعمّ؟ وعلى أنّه لم يصف بالطّوق الحمامة التي فاخرتم بها الدّيك؛ لأنّ الحمامة ليست

بمطوّقة، وإنما الأطواقُ لذكورة الوارشين وأشباه الوارشين، من نوائح الطير وهواتفها ومغنياتها،  
ولذلك قال شاعرُكم، حيث يقول:

لا أنساك ما هبت الصَّبَا نَحْ قُمْرِي الحَمَامِ المطوّقُ

وقال الآخر:

شاقني نوحَ قمريةٍ طروبِ العشيِّ هُتوفِ الصُّحى

ووصفها فقال:

مطوّقةٌ كُسيّت زينةً بدعوةٍ نوحٍ لها إذ دعا  
فإن زعمتم أنّ الحَمَامَ والقُمْرِيَّ واليَمَامَ والفَوَاحِثَ والدَّبَاسِيَّ  
والشَّفَانِينَ والوارشينَ حمامٌ كُلُّهُ، قلنا: إنّنا نزعم أنّ ذكورة التَّدَارِجِ  
وذكورة القَبَجِ، وذكورة الحَجَلِ ديوكٌ كلها، فإن كان ذلك كذلك،  
فالفَحْرُ بالطُّوقِ نحن أولى به.  
قال صاحب الحَمَامِ: العرب تسمّي هذه الأجناسَ كلها حماماً،  
فجمعوها بالاسم العامِّ، وفرَّقوها بالاسم الخاصِّ، ورأينا صورها  
متشابهة، وإن كان في الأجسامِ بعضُ الاختلافِ، وفي الجُثثِ بعضُ  
الائتلافِ وكذلك المناقيرِ، ووجدناها تتشابه من طريق الزَّواجِ، ومن  
طريق الدُّعاء والغناء والتَّوْحِ، وكذلك هي في القُدودِ وصورِ الأعناقِ،  
وقصبِ الريشِ، وصيعةِ الرُّؤوسِ والأرجلِ والسُّوقِ والبَرائينِ.  
والأجناسُ التي عدتُم ليس يجمعها اسمٌ ولا بلدةٌ، ولا صورةٌ ولا زواجِ،  
وليس بين الدِّيكةِ وبين تلك الذُّكورةِ نسبٌ إلّا أنّها من الطَّيرِ

الموصوفة بكثرة السَّفاد، وأنَّ فِرَاخَهَا وفَرَارِيحَهَا تَخْرُجُ من بيضها كاسية كاسبة، والبَطُّ طائرٌ مَثَقَلٌ، وقد يَنْبَغِي أنْ تَجْعَلُوا فِرْحَ البَطَّةِ قَرُوجاً، والأنثى دِجَاجَةٌ والدَّكْرُ دِيكاً، ونَحْنُ نَجِدُ الحَمَامَ، ونَجِدُ الوراثين، تتسافد وتتلاقح، ويجيء منها الراحبيُّ والموردانيُّ؛ ونجد الفَوَاحِثَ والقماريِّ تتسافد وتتلاقح، مع ما ذكرنا من التشابه في تلك الوجوه، وهذا كُلُّهُ يَدُلُّ على أَنَّ بعضها مع بَعْضٍ كالبُحْتِ والعَرَابِ ونتائج ما بينهما، وكالبراذين والعِتَاقِ، وكلها خيلٌ، وتلك كلها إبل، وليس بين التَّدارجِ والقَبَجِ والحَجَلِ والدَّجَاجِ هذه الأمورُ التي ذكرنا. وعلى أَنَّا قد وجدنا الأطواقَ عامَّةً في ذوات الأوصاحِ مِنَ الحَمَامِ، لأنَّ فيها من الألوان، ولها من الشَّيَاتِ وأشكالِ وألوانِ الريش ما ليس لغيرها من الطَّيْرِ، وَلَوْ اخْتَجَجْنَا بالتَّسَافِدِ دون التَّلَاقِحِ، لكان لقائل مقال، ولكنا وجدناها تجمع الحَصلَتين، لأنَّنا قد نجدُ سُفهاءَ النَّاسِ، ومن لا يتَقَدَّرُ من النَّاسِ والأحداثِ ومن تشتدُّ غلَمته عند احتلامه، وَيَقِلُّ طَرُوقُه، وتطول عُزْبته؛ كالمعزب من الرِّعاءِ فإنَّ هذه الطَّبَقَةَ من النَّاسِ، لم يَدْعُوا نَاقَةَ، ولا بقرَةَ، ولا شاةً، ولا أتاناً، ولا رَمَكَةَ، ولا حِجْرَراً، ولا كلبَةَ، إلاَّ وقد وقعوا عليها. ولولا أَنَّ في نفوس النَّاسِ وشَهَوَاتِهِمْ ما يدعو إلى هذه القاذورة، لما

وجدت هذا العمل شائعاً في أهل هذه الصفة، ولو جمعتهم لجمعت أكثر من أهل بغداد والبصرة، ثم لم يلقح واحد منهم شيئاً من هذه الأجناس على أن بعض هذه الأجناس يتلقى ذلك بالشهوة المفرطة. ولقد خبرني من إخواني من لا أنهم خبره أن مملوكاً كان لبعض أهل القطيعة - أعني قطيعة الربيع - وكان ذلك المملوك يَكُومُ بغلة وأنها كانت تودق وتتلَّمظ وأنها في بعض تلك الوقعات تأخرت وهو موعب فيها ذكره تطلب الزيادة، فلم يزل المملوك يتأخر وتتأخر البغلة حتى أسندته إلى زاوية من زوايا الإصطبل، فاصَّعطته حتى برده، فدخل بعض من دخل فرآه على تلك الحال فصاح بها فتنحَّت وخرَّ الغلام مَيِّتاً.

وأخبرني صديق لي قال: بلغني عن بردون لزرقان المتكلم، أنه كان يدرِّب للبالغ والحمير والبراذين حتى تكومه، قال: فأقبلت يوماً في ذلك الإصطبل، فتناولت المجرفة، فوضعت رأس عود المجرفة على مراثيه وإته لأكثر من ذراع ونصف، وإنه لحشيش غليظ غير محكوك الرأس ولا ممْلَسِه، فدفعته حتى بلغ أقصى العود، وامتنع من الدُّخول ببدن المجرفة، فحلف أنه ما رآه تَأطَّر ولا انثنى. قال صاحب الحمام: فهذا فرق ما بيننا وبينكم.

## ما وصف به الحمام من الإسعاد..

### وحسن الغناء والنوح

وتذكر ما وُصف به الحمام من الإسعاد، ومن حُسن الغناء والإطراب والنوح والشَّجَا، قال الحسن بن هانئ:

الغصون جللني  
في ماتم حمائمه  
شوقي وشوقهنَّ معاً  
فَينانُ ما في أريمه جُوبُ  
كما تُرنُّ الفواقُدُ السُّلبُ  
كأثما يستخفُّنا طرب

وقال آخر:

هتفتُ في جُنحِ ليلِ حمامةٍ على فننٍ وهناً وإني لَنائمٌ  
اعتذاراً عندَ ذاكِ وإني لنفسي ممأً قد سمعتُ للائمٌ  
وبيتِ اللهِ لو كنتُ عاشقاً سَبَقْتَنِي بالبُكاءِ الحَمائمُ

وقال نصيب:

قَبْلَ مَبْكَاهَا بَكَيتُ صابَةً بسُعدِي شَفِيتِ النَّفْسَ قِيلَ  
بَكَتْ قَبْلِي فَهَيَّجَ لِي اليكَّاهَا فقلتُ الفَضْلُ لِلْمُتَقَدِّمِ  
التنَّدَمِ

وقال أعرابي:

سَلَامُ اللهِ قاطعةُ القُوى على أنَّ قَلْبِي للفِراقِ كَلِيمٌ  
بتَغريدِ الحَمَامِ إذا بكتِ وإن هبَّ يوماً للجُوبِ تَسِيمِ  
وقال المجنون، أو غيره:

يَهْجَنِي الرَّائِحُونَ لَهَا جَهِائِمُ وَرَقٌ فِي الدِّيارِ وَقُوعُ  
فَاسْتَبْكِينَ مَنْ كانَ ذا نوائِحُ لا تجري لهنَّ دُموعُ

وقال الآخر:

سَيالاتِ الدَّحائلِ باللوهِليكنَّ من بين السَّيالِ سلامٌ  
الوَحْشَنَ آجالاً إِلَيْكَ لهنَّ إلى أفيائكنَّ بُغامٌ  
بالضحى

لمجلوبٌ لي الشَّوقُ كلما تَرَّتَمَ في أفنانكِنَّ حَمَامٌ

وقال عمرو بن الوليد:

مِنْ دُونِ أَنْ أَحَلَّ بِهِ النَّأُ وَصَرَفُ النَّوَى وَحَرْبُ عِقَامُ  
فَتَبَدَّلْتُ مِنْ مَسَاكِينِ قَوْمِي وَالْقُصُورِ الَّتِي بِهَا الْأَطَامُ  
قَصِيرٍ مَشْيِيدٍ ذِي أُوَاسٍ تَتَغَنَّيَ عَلَى ذِرَاهِ الْحَمَامُ

وقال آخر:

صَبَا نَجْدٍ مَتَى هَجَّتْ مِنْ هَاجَ لِي مَسْرَاكَ وَجَدًّا عَلَى

وَجَدٍ

هَتَفْتُ وَرِقَاءَ فِي رَوْنِقِ عَلَى عُصْنِ غُضِّ النَّبَاتِ مِنَ  
الصُّحَى الرَّئِدِ

كَمَا يَبْكِي الْوَلِيدَ وَلَمْ جَلِيدًا وَأَبْدَيْتَ الَّذِي لَمْ تَكُنْ

تُبْدِي

زَعَمُوا أَنَّ الْمَحَبَّ إِذَا دَنَا يُمَلُّ، وَأَنَّ النَّأْيَ يَشْفِي مِنَ

الْوَجْدِ

تَدَاوَيْنَا فَلَمْ يَشْفِ مَا بَنَّا عَلَى أَنَّ قُرْبَ الدَّارِ خَيْرٌ مِنَ

البُعْدِ

## أنساب الحمام

وقال صاحب الحَمَامِ: للحمام مجاهيل، ومعروفات، وخارجيات، ومنسوبات، والذي يشتملُ عليه دواوينُ أصحاب الحمام أكثر من كتب النسب التي تضاف إلى ابن الكلبي، والشرقي بن القطامي، وأبي اليقظان، وأبي عُبيدة النحوي، بل إلى دَعْقَلِ ابن حنظلة، وابن لسان الحُمرة، بل إلى صُحارِ العبدي، وإلى أبي السَّطَّاح اللُّخمي، بل إلى النَّحَّارِ العذري، وصُبحِ الطائي، بل إلى مُتْجورِ بن غيلان الصُّبي، وإلى

سَطِيحِ الذَّبْيِيِّ، بِلِ ابْنِ شَرِيَّةِ الْجُرْهَمِيِّ، وَإِلَى زَيْدِ بْنِ الْكَيْسِ النَّمَرِيِّ؛  
وَإِلَى كُلِّ نَسَابَةٍ رَاوِيَةٍ، وَكُلِّ مَتَفَنَّ عِلْمَةٍ.  
وَوَصَفَ الْهَذِيلَ الْمَازِنِيَّ، مِثْلَى بِنِّ زُهَيْرِ وَحَفْظِهِ لِأَنْسَابِ الْحَمَامِ،  
فَقَالَ: وَاللَّهِ لَهُ أَنْسَابٌ مِنْ سَعِيدِ بْنِ الْمَسِيَّبِ، وَقَتَادَةَ بِنِّ رِيعَامَةَ  
لِلنَّاسِ، بَلِ هُوَ أَنْسَابٌ مِنْ أَبِي بَكْرِ الصَّدِّيقِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لَقَدْ دَخَلَتْ  
عَلَى رَجُلٍ أَعْرَفَ بِالْأَمْهَاتِ الْمُنْجِبَاتِ مِنْ سُحَيْمِ ابْنِ حَفْصٍ، وَأَعْرَفَ  
بِمَا دَخَلَهَا مِنَ الْهُجْنَةِ وَالْإِقْرَافِ، مِنْ يُونُسَ بِنِّ حَبِيبٍ.

### مما أشبه فيه الحمام الناس

قال: ومما أشبه فيه الحمام الناس في الصور والشمائل ورقة  
الطباع، وسرعة القبول والانقلاب، أنك إذا كنت صاحب فراسة، فمر  
بك رجال بعضهم كوفي، وبعضهم بصري، وبعضهم شامي وبعضهم  
يماني، لم يخف عليك أمورهم في الصور والشمائل والقُدودِ والتَّغْمِ  
أبيهم بصري، وأبيهم كوفي، وأبيهم يماني، وأبيهم مدني وكذلك الحمام؛  
لا ترى صاحب حمام تخفى عليه نسب الحمام وجنسها وبلادها إذا  
راها.

### مبلغ ثمن الحمام وغيره



وللحمام من الفضيلة والفخر، أن الحمام الواحد يباع بخسمائة دينار، ولا يبلغ ذلك بازٍ ولا شاهينٌ، ولا صقرٌ ولا عُقاب، ولا طاوس، ولا تدرجٌ ولا ديكٌ، ولا بعيضٌ ولا حمائرٌ، ولا بغلٌ، ولو أردنا أن نحقق الخبر بأنَّ بردوناً أو فرساً يبع بخمسمائة دينار، لما قدرنا عليه إلا في حديث  
السَّـمَرِ.

وأنت إذا أردت أن تتعرف مبلغ ثمن الحمام الذي جاء من الغاية، ثم دخلت بغدادَ والبصرةَ وجدت ذلك بلا معاناة، وفيه أن الحمام إذا جاء من الغاية يبع الفرحُ الذَّكْرُ من فراخ بعشرين ديناراً أو أكثر، وبيعت الأنثى بعشرة دنانير أو أكثر، وبيعت البيضة بخمسة دنانير، فيقوم الزَّوج منها في العَلَّةِ مقام ضيعة، وحتى ينهَضَ بمؤنة العيال، ويقضي الدَّين، وتبنى من غلاته وأثمان رقباه المدَّورُ الجياد، وتبتاع الحوانيتُ المغلَّة، هذا؛ وهي في ذلك الوقت مَلهى عجيبٌ، ومنظرٌ أنيق، ومعتبرٌ لمن فكَّر، ودليلٌ لمن نظر.

### عناية الناس بالحمام

ومن دخل الحَجْرَ ورأى قصورها المبنية لها بالشَّامات وكيف اختزان تلك الغلات، وحفظ تلك المؤونات؛ ومن شهد أرباب الحمام،

وأصحاب الهدى وما يحتملون فيها من الكلف الغلاظ أيام الرّجل، في حملانها على ظهور الرّجال، وقبل ذلك في بطون السفن، وكيف تُفرد في البيوت، وتجمع إذا كان الجمع أمثل، وتفترق إذا كانت التفرقة أمثل وكيف تُنقل الإناث عن ذكورتها، وكيف تنقل الذكور عن إناثها إلى غيرها، وكيف يُخاف عليها الضوى إذا تقاربت أنسابها، وكيف يُخاف على أعراقها من دخول الخارجيات فيها، وكيف يحتاط في صحّة طزقها ونجلها؛ لأنّه لا يؤمن أن يقمط الأنثى ذكر من عُرض الحمام، فيضرب في النجل بنصيب، فتعتربه الهجنة - والبيضة عند ذلك تنسب إلى طزقها، وهم لا يحوطون أرحام نسائهم كما يحوطون أرحام المنجبات من إناث الحمام، ومن شهد أصحاب الحمام عند زجلها من الغاية، والذين يعلمون الحمام كيف يختارون لصاحب العلامات، وكيف يتخيرون الثقة وموضع الصدق والأمانة، والبعد من الكذب والرشوة، وكيف يتوخون ذا التجربة والمعرفة اللطيفة، وكيف تسخو أنفسهم بالجمالة الرّفيعة، وكيف يختارون لحملها من رجال الأمانة والجلد والشّفة والبصر وحسن المعرفة - لعلم عند ذلك صاحب الديك والكلب أنّهما لا يجريان في هذه الحلبة، ولا يتعاطيان هذه الفضيلة.

## خصائص الحمام

قال: وللحمام من حسن الاهتداء، وجودة الاستدلال، وثبات الحفظ والذكور، وقوة النزاع إلى أربابه، والإلف لوطنه، ما ليس لشيء، وكفاك اهتداءً ونزاعاً أن يكون طائر من بهائم الطير، يجيء من بَرَعْمَة، لا بل من العليق، أو من حَرَشْنَة أو من الصفصاف، لا بل من البَعْرَاس، ومــــن لؤلؤة.

ثم الدليل على أنه يستدلُّ بالعقلِ والمعرفة، والفكرة والعناية أنه إنما يجيء من الغاية على تدرّجٍ وتدرّيبٍ وتنزيل، والدليل على علم أربابه بأن تلك المقدمات قد تجعّن فيه، وعملن في طباعه، أنه إذا بلغ الرِّقَّة غَمَرُوا به بكثرة إلى المدّرب وما فوق المدّرب من بلاد المُرُوم، بل لا يجعلون ذلك تغميراً؛ لمكان المقدمات والترتيبات التي قد عُملت فيه وحرّقت ممرّته وممرّته.

ولو كان الحمام ممّا يُرسَل بالليل، لكان ممّا يستدلُّ بالنجوم؛ لأننا رأيناه يلزم بطن الفرات، أو بطن دجلة، أو بطون الأودية التي قد مرّ بها، وهو يرى ويُبصر ويفهم انحدار الماء، ويعلم بعد طول الجولان وبعْد الرّجال، إذا هو أشرف على الفرات أو دجلة، أن طريقه وطريق

الماء واحد، وأنه ينبغي أن ينحدر معه.  
وما أكثر ما يستدلُّ بالجَوَادِّ من الطُّرُقِ إذا أَعْيَتْهُ بطونُ الأودية، فإذا  
لم يَدِرْ أَمْضِعِدُ أمْ مُنَحِدِرُ، تَعَرَّفَ ذلكَ بالريِّحِ، ومواضعِ فُرُصِ الشمسِ  
في السماء، وإِنَّمَا يحتاج إلى ذلكَ كُلِّهِ إذا لم يَكُنْ وَقَعَ بعدَ على رسمِ  
يَعْمَلُ عليه فَرِّبَمَا كَرَّ حينَ يزجلُ بهِ يميناً وشمالاً، وجنوباً وشمالاً،  
وصباً ودُبُوراً - الفَرَايِخُ الكثيرةُ وفوقَ الكثيرة.

### العُمرُ والمجربُ من الحمام

وفي الحمامِ العُمرُ والمجربُ، وهم لا يُخاطِرُونَ بالأغمارِ لوجهين:  
أحدهما أن يكونَ العُمرُ عريفاً فصاحبُهُ يَضُنُّ بهِ، فهو يريدُ أن يدرِّبه  
ويمرِّته ثمَّ يكلفه بعدَ الشيء الذي اتَّخذه له، وبسببه اصطنعه واتَّخذه،  
وإِذَا أن يكونَ العُمرُ مجهولاً، فهو لا يتعنَّى ويُشقي نفسه، ويتوقَّعُ  
الهِدَايَةَ مِنَ الأغمَارِ المجهولِ.  
وَحَصْلَةُ أُخْرَى: أنَّ المجهولَ إِذَا رَجَعَ مع الهدى المعروفاتِ، فحملهُ  
معها إلى الغاية فجاء سابقاً، لم يكنْ له كبيرُ ثمنٍ حتَّى تتلاحق بهِ  
الأولاد، فَإِنْ أُنجِبَ فيهنَّ صارَ أباً مذكوراً وصارَ نَسَباً يرجعُ إليه، وزاد  
ذلكَ فَيُثَمِّنُهُ.

فَأَمَّا الْمَجْرَبَ غَيْرَ الْغَمْرِ، فَهُوَ الَّذِي قَدْ عَرَّفُوهُ الْوُرُودَ وَالتَّخَصُّبَ؛ لِأَنَّهُ  
مَتَى لَمْ يَقْدِرْ عَلَى أَنْ يَنْقُضَ حَتَّى يَشْرَبَ الْمَاءَ مِنْ بَطُونِ الْأُودِيَةِ  
وَالْأَنْهَارِ وَالْعُدْرَانِ، وَمَنَاقِعِ الْمِيَاهِ، وَلَمْ يَتَخَصَّبْ بِطَلْبِ بُزُورِ الْمِبْرَارِيِّ،  
وَجَاعَ وَعَطَشَ - التَّمَسَّ مَوَاضِعَ النَّاسِ، وَإِذَا مَرَّ بِالْقَرْيِ وَالْعُمُرَانِ  
سَقَطَ، وَإِذَا سَقَطَ أَخَذَ بِالْبَائِكِرِ وَبِالْقَقَاعَةِ، وَبِالْمِلْقَفِ وَبِالتَّذْبِيقِ  
وَبِالدُّشَاخِ، وَرَمَى أَيْضاً بِالْجُلَاهِقِ وَبِغَيْرِ ذَلِكَ مِنْ أَسْبَابِ الصَّيْدِ.  
وَالْحَمَامُ طَائِرٌ مُلَقَّبٌ غَيْرُ مُوَفَّقِيٍّ، وَأَعْدَاؤُهُ كَثِيرٌ، وَسَبَاعُ الطَّيْرِ تَطْلُبُهُ  
أَشَدَّ الطَّلْبِ، وَقَدْ يَتَرَفَّقُ مَعَ الشَّاهِينِ، وَهُوَ لِلشَّاهِينِ أَخَوْفٌ، فَالْحَمَامُ  
أَطْيَرٌ مِنْهُ وَمِنْ جَمِيعِ سَبَاعِ الطَّيْرِ، وَلَكِنَّهُ يُدْعَرُ فَيَجْهَلُ بَابَ الْمَخْلَصِ  
وَيَعْتَرِيهِ مَا يَعْتَرِي الْحَمَارَ مِنَ الْأَسَدِ إِذَا رَآهُ، وَالشَّاهَةَ إِذَا رَأَتْ الدَّبَّ  
وَالْفَارَةَ إِذَا رَأَتْ السَّنَّورَ.

## سرعة طيران الحمام

وَالْحَمَامُ أَشَدُّ طَيْرَاناً مِنْ جَمِيعِ سَبَاعِ الطَّيْرِ، إِلَّا فِي انْقِضَاضِ وَانْحِدَارِ؛ فَإِنَّ تِلْكَ تَنْحَطُّ انْحِطَاطَ  
الصَّخُورِ وَتَمَّتِ التَّقَاتُ أُمَّةً مِنْ سَبَاعِ الطَّيْرِ أَوْ جُفَالَةً مِنْ بَهَائِمِ الطَّيْرِ، أَوْ طِرْنَ عَلَى عَرَقَةٍ وَخِيطِ  
مَمْدُودٍ، فَكُلُّهَا يَعْتَرِيهَا عِنْدَ ذَلِكَ التَّقْصِيرِ عَمَّا مَا كَانَتْ عَلَيْهِ، إِذَا طَارَتْ فِي غَيْرِ جَمَاعَةٍ، وَلَنْ تَرَى  
جَمَاعَةَ طَيْرٍ أَكْثَرَ طَيْرَاناً إِذَا كَثُرَ مِنَ الْحَمَامِ؛ فَإِنَّهُنَّ كَلِمَا التَّفْنِ وَضَاقَ مَوْضِعُهُنَّ كَانِ أَشَدَّ لَطِيرَانَهُنَّ،  
وَقَدْ ذَكَرَ ذَلِكَ النَّبِغَةُ الدُّبْيَانِيُّ فِي قَوْلِهِ:

كَحُكْمِ فِتَاةِ الْحَيِّ إِذْ إِلَى حَمَامٍ شَرَاةٍ وَارِدِ التَّمِيدِ

جانِبًا نِيَقٍ وَيَتَّبِعُهُ الزُّجَاجَةُ لَمْ تُكْحَلْ مِنَ الرَّمَدِ  
أَلَا لَيْتِمَا هَذَا الْحَمَامُ لَنَا إِلَى حَمَامَتَا وَنِصْفُهُ فَقَدِ  
فَحَسَبُوهُ فَأَلْفَوهُ كَمَا وَتَسْعِينَ لَمْ تَنْقُصْ وَلَمْ  
حَسَبَتْ  
تَزِدِ  
وَأَسْرَعَتْ حَسَبَةً فِي ذَلِكَ  
فَكَمَلَتْ مَائَةً فِيهَا حَمَامَتَهَا  
الْعَدْرِ

قال الأصمعيُّ: لما أراد مَدِيحَ الحاسب وسرعة إصابته، شَدَّدَ الأمرَ  
وضيِّقه عليه؛ ليكونَ أحمدَ له إذا أصاب؛ فجَعَلَهُ حَزْرَ طيْرًا، والطيْرُ  
أخفُّ من غيره، ثمَّ جعله حماماً والحمامُ أسرع الطيْرِ، وأكثرها  
اجتهاداً في السرعة إذا كثر عددهنَّ؛ وذلكَ أنَّه يشتدُّ طيرائهُ عند  
المسابقة والمنافسة، وقال: يحقُّه جانباً نيقٍ ويتبعه، فأراد أنَّ الحمام  
إذا كان في مضيقٍ من الهواء كان أسرعَ منه إذا اتسع عليه الفضاء.

## غَايَاتِ الْحَمَامِ

وصاحب الحَمَامِ قد كان يدرب ويمرن ويُنزِل في الرِّجال، والغاية  
يوميئذٍ واسط، فكيف يصنع اليوم بتعريفه الطَّرِيق وتعريفه الؤرود  
والتحصُّب، مع بُعد الغاية؟! ما يختار للزَّجَل من الحَمَامِ والبغداديون  
يختارون للزَّجَل من الغاية الإناث، والبصريُّون يختارون الذُّكور فحجَّة  
البغداديين أن الذَّكر إذا سافر وبَعُدَ عهده بقمط الإناث، وتاقَّتْ نفسُه

إلى السَّفَادِ، ورأى أنثاه في طريقه، ترك الطَّلَبَ إن كان بُعْدَ في  
الجَوْلَانِ؛ أو ترك السَّيْرَ إن كان وقع على القَصْدِ، ومالَ إلى الأنثى  
وفِي ذلِكَ الفسَادُ كُلُّهُ.  
وقال البَصْرِيُّ: الذَّكْرُ أَحْنُ إلى بيته لمكان أنثاه، وهو أَشَدُّ مَنًّا وأقوى  
بَدَنًا، وهو أَحْسَنُ اهْتِدَاءً، فَحْنُ لا تَدَعُ تَقْدِيمَ الشَّيْءِ القَائِمِ إلى معنَى  
قَد يَعْرِضُ وَقَدْ لا يَعْرِضُ.  
نصيحة شذفويه في تربية الحَمَامِ وسمعتُ شذفويه السلائحي من  
نحو خمسين سنة، وهو يقول لعبد السلام بن أبي عمار: اجعل كعبة  
حمامك في صَحْنِ دَارِكِ، فَإِنَّ الحَمَامَ إذا كان مَتَى خرج من بيته إلى  
المعلاة لم يصل إلى معلاته إِلَّا بجمع النَّفْسِ والجناحين، وبالنهوضِ  
ومكابدَةِ الصعود - اشْتَدَّ مَنُّهُ، وقويَ جناحُه ولحمه، ومتى أراد بيته  
فاحتاج إلى أن ينتكس ويجيء منقَصًّا كان أقوى على الارتفاع في  
الهواء بعد أن يروى، وقد تعلمون أَنَّ الباطنيين أَشَدَّ مَنًّا من  
الظاهريين، وَأَنَّ النَّقْرَسَ لا يُصِيبُ الباطنيَّ في رجله ليس ذلك إِلَّا  
لأنَّه يصعد إلى العلالي فوق الكَنَادِيحِ درجةً بعد درجة، وكذلك نزوله،  
فلو دَرَبْتُمُ الحَمَامَ على هذا التَّرتيبِ كانَ أَصوبَ، ولا يعجَّبُنِي تَدْرِيْبُ  
العائق وما فوق العائق إِلَّا من الأماكنِ القريبة؛ لأن العائقَ كالفتاةِ

العاتق، وكالصبي الغرير، فهو لا يَعدُّه ضعفُ البدن، وقلَّةُ المعرفة، وسوء الإلف، ولا يُعجِّبني أن تتركوا الحمام حتَّى إذا صار في عدد المسانِّ واكتهل، وولَدَ البطونَ بَعَدَ البطونِ، وأخذ ذلك من قوَّةِ شبابه، حملتموه على الرِّجل، وعلى التَّمْرين، ثمَّ رميتم به أقصى غايةٍ لآ، ولكنَّ التَّدريب مع الشباب، وانتهاء الجِدَّة، وكمال القوَّة، من قبل أن تأخذ القوَّة في التُّقصان، فهو يلقن بقربه من الحداثة، ويُعرِّف بخروجه من حدِّ الحداثة، فابتدئوا به التَّعليمَ والتَّمْرينَ في هذه المنزلة

---

الوسطى.

الوقت الملائم لتمرين فراخ الحمام وهُمَّ إذا أرادوا أن يمرِّنوا الفراخَ أخرجوها وهي جائعة، حتى إذا ألقوا إليها الحَبَّ أسرعَ النزول، ولا تُخرَجُ والرِّيح عاصف، فتخرج قبل المغربِ وانتصاف النهار، وحُدِّاقهم لا يخرجونها مع ذكورة الحمام؛ فإنَّ الذُّكورة يعتريها النَّشاط والطَّيران والتَّباعدُ ومجاورة القبيلة، فإن طارت الفراخُ معها سقطتْ على دور الناس، فرياضتها شديدة، وتحتاج إلى معرفة وعنايةٍ، وإلى صبرٍ ومُطاوَلَة؛ لأنَّ الذي يُراد منها إذا احتيج إليه بعد هذه المقدِّمات كان أيضاً من العَجَب العجيب.

حوار في اختيار الحمام حوار يعقوب بن داود مع رجل في اختيار



الحمام وحدثني بعض من أثقُّ به أنَّ يَعْقوبَ بن داود، قال لبعض مَنْ دَخَلَ عليه - وقد ذهب عني اسمه ونسيته، بَعْدَ أَنْ كُنْتُ عرفته -: أما تَرَى كَيْ أخلَفَ ظُنُّنا وأخطأ رأينا، حتَّى عمَّ ذلك ولم يخصَّ؟ أما كان في جميع من اصطنعناه واخترناه، وتفَرَّسنا فيه الخير وأردناه به - واحدٌ تكفينا معرفته مؤتة الاحتجاج عنه، حتَّى صرْتُ لا أقرع إلا بهم، ولا أعابُ إلا باختيارهم قال: فقال له رجل إنَّ الحمام يُختارُ من جهة النَّسب، ومن جهة الخِلقَة، ثم لا يرضى له أربابُه بذلك حتى ترتبه وتنزله وتدرجه، ثم تُحمل الجماعةُ منه بعد ذلك الترتيب والتدريب إلى الغاية، فيذهب الشطرُ ويرجع الشطر، أو شبيهُ ذلك أو قريبٌ من ذلك، وأنت عمدت إلى حمامٍ لم تنظر في أنسابها ولم تتأمل مَخيلة الخير في خلقها ثم لم ترَض حتى ضربت بها بكرةً واحدةً إلى الغاية، فليس بعجبٍ ولا مُنكرٍ إلا يرجع إليك واحدٌ منها، وإنما كان العجبُ في الرجوع، فأما في الضلال فليس في ذلك عجبٌ، وعلى أنه لو رجع منها واحدٌ أو أكثرٌ من الواحدِ لكان خطؤك موقراً عليك، ولم ينتقصه خطأ من أخطأ؛ لأنه ليس من الصواب أن يجيء طائراً من الغاية على غير عِرْقٍ وعلى غير تدریب.

## كرم الخَمام..

### الإلف والأنس والتُّزاعُ والشُّوق

وذلك يَدُلُّ على ثبات العهد، وحفَظ ما ينبغي أن يُحفظ، وصون ما ينبغي أن يمان وإنه لخلق صدق في بني آدم فكيفَ إذا كان ذلك الخلق في بعض الطير. وقد قالوا: عَمَّرَ اللّهُ البُلدان بحسب الأوطان. قال ابن الرُّبير: ليس النَّاسُ بشيءٍ من أقسامهم أفتَحَ منهم بأوطانهم. وأخبر الله عزَّ وجلَّ عن طبائع النَّاس في حبِّ الأوطان، فقال: "قَالُوا وَمَا لَنَا أَلَّا نَقَاتِلَ فِي سَبِيلِ اللّهِ وَقَدْ أُخْرِجْنَا مِنْ دِيَارِنَا وَأَبْنَاءِنَا" وقال: "وَلَوْ أَنَّا كَتَبْنَا عَلَيْهِمْ أَنْ اقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ أَوْ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِكُمْ مَا فَعَلُوا إِلَّا قَلِيلًا" لَمَنْهُمُ

وقال الشاعر:

فيهم كَمَطُورٍ ببلدته أن جمَعَ الأوطانَ والمطرًا  
فتجدُهُ يُرْسَلُ مِنْ مَوْضِعٍ فيجيء، ثمَّ يخرج من بيته إلى أضيق مَوْضِعٍ  
وإلى رخام ونقان فيرسل من أبعد من ذلك فيجيء، ثم يصنَع به مثلُ  
ذلك المزار الكثرية، ويزاد في الفراسخ، ثم يكون جزاؤه أن يغمر به  
من الرِّقَّة إلى لؤلؤة فيجيء ويسترق من منزل صاحبه فيقصُّ، ويَعْبُرُ  
هناك حولاً وأكثر من الحول، فحين ينبت جناحه يحنُّ إلى إلفه وينزع  
إلى وطنه، وإن كان الموضع الثاني أنفع له، وأنعم لباله، فيهبُ فضلاً  
ما بينهما لموضع تربيته وسكنه، كالإنسان الذي لو أصاب في غير  
بلاده الرِّيف لم يقع ذلك في قلبه، وهو يعالجهم على أن يُعطى عُشْرَ

ما هو فيهِ في وطنه.  
ثم ربّما باعه صاحبه، فإذا وجد مخلصاً رجع إليه، حتّى ربما فَعَلَ ذلك  
مراراً، وربّما طار دَهْرَهُ وِجَالَ في البلادِ، وألَفَ الطَّيْران والتَّقَلُّبَ في  
الهواء، والتَّنَظَّرَ إلى الدنيا، فيبدو لصاحبه فيقصُّ جناحَه ويُلقِيه في  
ديماس، فينبت جناحُه، فلا يَدُهب عنه ولا يتغيَّر له، نَعَمْ، حتّى ربّما  
جَدَف وهو مقصوصٌ، فإمّا صار إليه، وإمّا بلغَ عذراً.

### قص جناح الحمام

ومتى قصَّ أحد جناحيه كان أعجزَ له عن الطَّيْران، ومتى قصَّهما  
جميعاً كان أقوى له عليه، ولكنه لا يَبْعِد، لأنَّه إذا كان مقصوصاً من  
شِقِّ واحدٍ اختلفَ خلقه، ولم يَعتدل وزنه، وصارَ أحدهما هوائياً والآخِرُ  
أرضياً فإذا قصَّ الجناحان جميعاً طار، وإن كان مقصوصاً فقد بلغ  
بذلك التعديل من جناحيه أكثر مما كان يبلغ بهما إذا كان أحدهما وافياً  
والآخِرُ مَبْتُوراً.  
فالكلبُ الذي تَدَّعون له الإلف وثبات العَهد، لا يبلغُ هذا، وصاحبُ  
الدَّيِّك الذي لا يفخرُ للدَّيِّك بشيءٍ من الوفاء والحفاظ والإلف، أحقُّ  
بألا يعْرِض في هَذَا الباب.

قال: وقد يكون الإنسان شديدَ الحُضْر، فإذا قُطِعَتْ إحدى يديه فأراد العَدُوَّ كان خطوهُ أقصر، وكان عن ذلك القصد والسَّننِ أذهب، وكانت غَايَةُ مَجْهُودِهِ أَقْصَرَ.

حديث نباتة الأقطع وخبرني كم شئت، أن نباتة الأقطع وكان من أشدَّاء الفتيان وكانت يده قطعت من دُوبن المنكب، وكان ذلك في شقِّه الأيسر؛ فكان إذا صار إلى القتالِ وضربَ بسيفه، فإن أصاب الضَّريبةَ تَبَّتْ، وإن أخطأ سقطَ لوجهه؛ إذ لم يكن جناحه الأيسر يُمسكه ويثقله حتى يعتدلَ بَدَنُهُ.

أجنحة الملائكة وقد طعن قومٌ في أجنحة الملائكة، وقد قال الله تعالى: "الْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ جَاعِلِ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا أُولِي أَجْنِحَةٍ مَثْنَى وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ يَزِيدُ فِي الْخَلْقِ مَا يَشَاءُ". وزعموا أن الجناحين كاليدين، وإذا كان الجناح اثنين أو أربعة كانت معتدلة، وإذا كانت ثلاثة كان صاحبُ الثلاثة كالجاذف من الطير، الذي أحدُ جناحيه مقصوص، فلا يستطيع الطيران لعدم التعديل، وإذا كان أحدُ جناحيه وافيًا والآخر مقصوصاً، اختلفَ خَلْقُهُ وصار بَعْضُهُ يذهب إلى أسفل والآخر إلى فوق.

وقالوا: إنَّما الجناحُ مثل اليد، ووجدنا الأيدي والأرجل في جميع

الحيوان لا تكون إلا أزواجاً، فلو جعلتم لكل واحد منهم مائة جناح لم تُكِر ذلك، وإن جعلتموها أنقصَ بواحدٍ أو أكثرَ بواحدٍ لم نجوزَه. قيل لهم: قد رأينا من ذوات الأربع ما ليس له قرن، ورأينا ما له قرنان أملسان، ورأينا ما له قرنان لهما شُعَبٌ في مقاديم القرون، ورأينا بعضها جُمًّا ولأخواتها قرون، ورأينا منها ما لا يقال لها جُمٌّ لأنَّها ليست لها شكلُ ذواتِ القرون، ورأينا لبعضِ الشاءِ عِدَّةَ قرونٍ ثابتةٍ في عظم الرّأسِ أزواجاً وأفراداً، ورأينا قرونًا جوفاً فيها قرون، ورأينا قرونًا لا قرونَ فيها، ورأيناها مُصمّتة، ورأينا بعضها يتصلُ قرْنُه في كلِّ سنة، كما تسليخ الحيّة جلدَها، وتنفضُ الأشجارُ ورقها، وهي قرون الأيائل، وقد زعموا أنّ للجمار الهنديّ قرناً واحداً. وقد رأينا طائراً شديدَ الطيران بلا ريشٍ كالخُفّاش، ورأينا طائراً لا يطير وهو وافي الجناح، ورأينا طائراً لا يمشي وهو الرّرزور، ونحن نُؤمن بأنَّ جعفرًا الطيّارَ ابنَ أبي طالب، له جناحان يطير بهما في الجنان، جُعلا له عوضاً من يديه اللتين قطعتا على لواء المسلمين في يوم مؤتة، وغير ذلك من أعاجيب أصناف الخلق. فقد يستقيم - وهو سهلٌ جائزٌ شائعٌ مفهوم، ومعقولٌ قريبٌ غير بعيد أن يكون إذا وُضع طباع الطائر على هذا الوضع الذي تراه ألا يطير إلا

بالأزواج، فإذا وُضع على غير هذا الوَضع، ورُكِّب غير هذا التَّركيب صارت ثلاثة أجنحة وفُوق تلك الطبيعة، ولو كان الوَطواط في وُضْع أخلاطه وأعضائه وامتزاجاته كسائر الطير، لما طار بلا ريش. الطير الدائم الطيران وقد زعم البَحْرِيُّونَ أَنَّهُم يَعْرِفُونَ طَائِرًا لَمْ يَسْقُطَ قَطًّا، وَإِنَّمَا يَكُونُ سَقُوطُهُ مِنْ لُدُنْ خُرُوجِهِ مِنْ بِيضِهِ إِلَى أَنْ يَتَمَّ قَصْبُ رِيَشِهِ، ثُمَّ يَطِيرُ فَلَيْسَ لَهُ رِزْقٌ إِلَّا مِنْ بَعُوضِ الْهَوَاءِ وَأَشْبَاهِ الْبَعُوضِ؛ إِلَّا أَنَّهُ قَصِيرُ الْعُمُرِ سَرِيعُ الْإِنْحِطَامِ. بقية الحديث في أجنحة الملائكة وليس بمستنكر أن يُمَزَجَ الطائر ويُعَجَّنَ غيرَ عَجْنِهِ الْأَوَّلِ فَيَعِيشَ ضَعْفَ ذَلِكَ الْعُمُرِ، وَقَدْ يَجُوزُ أَيْضًا أَنْ يَكُونَ مَوْضِعُ الْجَنَاحِ الثَّالِثِ بَيْنَ الْجَنَاحَيْنِ، فَيَكُونُ الثَّالِثُ لِلثَّانِي كَالثَّانِي لِلأَوَّلِ، وَتَكُونُ كُلُّ وَاحِدَةٍ مِنْ رِيَشَةٍ عَامِلَةً فِي الَّتِي تَلِيهَا مِنْ ذَلِكَ الْجِسْمِ فَتَسْتَوِي فِي الْقُوَى وَفِي الْحِصَصِ، وَلَعَلَّ الْجَنَاحَ الَّذِي أَنْكَرَهُ الْمَلْحَدُ الضَّيِّقُ الْعَطَنَ أَنْ يَكُونَ مَرَكِزُ قِوَادِمِهِ فِي حَقِّ الصُّلْبِ. وَلَعَلَّ ذَلِكَ الْجَنَاحَ أَنْ تَكُونَ الرِيَشَةُ الْأُولَى مِنْهُ مَعِينَةً لِلجَنَاحِ الْأَيْمَنِ وَالثَّانِيَةِ مَعِينَةً لِلجَنَاحِ الْأَيْسَرِ، وَهَذَا مِمَّا لَا يَضِيقُ عَنْهُ الْوَهْمُ، وَلَا يَعْجِزُ عَنْهُ الْجَوَانِبُ.

فإذا كان ذلك ممكناً في معرفة العبد بما أعاره الربُّ جلَّ وعزَّ، كان ذلك في قدرة الله أجوز، وما أكثر من يضيقُ صدره لقلَّة علمه.

## أعضاء المشي لدى الحيوان والإنسان

وقد علموا أنَّ كلَّ ذي أربعٍ فإنَّه إذا مَشى قدَّمَ إحدى يديه، ولا يجوز أن يستعمل اليد الأخرى ويقدمها بعد الأولى حتى يستعمل الرجل المخالفة لتلك اليد: إن كانت اليد المتقدمة اليمنى حرَّكَ الرَّجُل اليسرى، وإذا حرَّكَ الرجل اليسرى لم يحرك الرَّجُل اليمنى - وهو أقربُ إليها وأشبه بها - حتى يحرك اليد اليسرى، وهذا كثير. وفي طريقٍ أخرى فقد يقال: إنَّ كلَّ إنسانٍ فإنما رُكبتَه في رجله، وجميع ذوات الأربع فإنَّما رُكبها في أيديها، وكلُّ شيءٍ ذي كفٍّ وبنان كالإنسان، والقرد، والأسد، والضبَّ، والدُّب، فكفُّه في يده، والطائر ككفُّه فـ\_\_\_\_\_ في رجله.

استعمال الإنسان رجله فيما يعمله في العادة بيديه وما رأيتُ أحداً ليس له يدٌ إلا وهو يعمل برجليه ما كان يعمل بيديه، وما أقف على شيء من عمل الأيدي إلا وأنا قد رأيتُ قوماً يتكلَّفونه بأرجلهم. ولقد رأيتُ واحداً منهم راهنَ على أن يُفرغ برجليه ما في دسْتيجة

نبذ في قناني رطلّيات وفقاعيّات فراهنوه، وأزعجني أمرٌ فتركته عند ثقات لا أشك في خبرهم، فزعموا أنّه وقى وزاد، قلت: قد عرفتُ قولكم وفي فما معنى قولكم زاد قالوا: هو أنّه لو صبّ من رأس الدّستجة حوالي أفواه القنانيّ كما يعجز عن صَبطه جميعُ أصحاب الكمال في الجوارح، لما أنكرنا ذلك، ولقد فرّغ ما فيها في جميع القنانيّ فَمَا ضَيِّعَ أَوْقِيَّةً واحِدةً. قيام بعض الناس بعمل دقيق في الظلام وخبرني الحزّاميُّ عن خليل أخيه، أنّه متى شاء أن يَدْخُلَ في بيت ليلاً بلا مصباح، ويفرغ قربة في قنانيّ فلا يصبُّ إسْتاراً واحِداً فعله. ولو حكى لي الحزّاميُّ هذا الصّنيعَ عن رجل وُلِدَ أعمى أو عمى في صباه، كان يعجبني منه أقلُّ، فأما من تعوّد أن يفعل مثل ذلك وهو يبصر فما أشدَّ عليه أن يفعله وهو مغمّض العينين، فإن كان أخوه قد كان يقدر على ذلك إذا غمّض عينيه فهو عندي عجب، وإن كان يبصر في الظلمة فهو قد أشبه في هذا الوجه السّتورَ والفأر، فإنّ هذا عندي عجبٌ آخر وغرائب الدُّنيا كثيرة عند كلِّ من كان كلفاً بتّعرفها، وكان له في العلم أصلٌ، وكان بينه وبين التّبَيُّنِ تَسَبُّبٌ. اختلاف أحوال الناس عند سماعهم للغرائب وأكثر الناس لا تجدهم إلّا



في حالتين: إمّا في حال إعراض عن التُّبُّن وإهمال للنَّفْس، وإمّا في حال تكذيبٍ وإنكارٍ وتسرّع إلى أصحاب الاعتبار وتتبع الغرائب، والرغبة في الفوائد، ثمّ يرى بعضهم أنّ له بذلك التكذيب فضيلةً، وأنّ ذلك بابٌ من التوقّي، وجنسٌ من استعظام الكذب، وأثره لم يكن كذلك إلاّ من حاقّ الرّغبة في الصّدق، وبئس الشيء عادة الإقرار والقبول، والحقُّ الذي أمر الله تعالى به ورغب فيه، وحثّ عليه أن ننكر من الخبر ضربين: أحدهما ما تناقض واستحال، والآخر ما امتنع في الطبيعة، وخرج من طاقة الخلقة، فإذا خرج الخبر من هذين البابين، وجرى عليه حكم الجواز، فالتدبير في ذلك الثبت وأن يكون الحقُّ في ذلك هو ضالّتك، والصّدق هو بُغيتك، كائناً ما كان، وقّع منك بالموافقة أم وقع منك بالمكروه، ومتى لم تعلم أنّ ثواب الحقِّ وثمرّة الصّدق أجدى عليك من تلك الموافقة لم تقّع على أن تعطى الثبت حَقّه.

## ??تشبيه رماد الأثافي بالحمام

قال: وهم يصفون الرّماد الذي بين الأثافيّ بالحمامة، ويجعلون الأثافيّ أظاراً لها، للانحاء الذي في أعالي تلك الأحجار، ولأنّها كانت معطّفات عليها وحانيات على أولادها، قال ذو الرّمّة:

الحمامَ الوُزِقَ في الدّارِ      حَرِقَ بين الأثافي جَوازِلُه

شبه الرّماذ بالفراخ قبل أن تنهض والجثوم في الطير مثل الرّبوض في الغنم، وقال الشماخ:

رَماد كالحمامة ماثل وتُويّن في مظلومتيّن كداهما

وقال أبو حيّة:

العَرَصاتِ غير مَخَدِّ كباقي الوحي خُطَّ على  
إمام

خوالدٍ لُوِّحْنَ حتسهنّ علامه  
غير شام

مَثَلَنَ ولم يَطِرْنَ مَعَ  
الحمامِ

بها حمامات ثلاثاً

وقال العزّجي:

أفراسٍ وخيمٍ مُصَرَّعٌ وهابٍ كجثمانِ الحمامةِ هامِدُ

وقال البعيث:

تَوَيَّنَ العامَ والعامَ وَسَخَقَ رَمادٍ كالنَّصيفِ من  
العَصَبِ

## شعر في نوح الحمام وفي بيوتها

وقالوا في نوح الحمام، قال جِران العود:

واستقبلوا وادياً نوح الحمام به كأنه صوتُ أنباطٍ مَناكيلِ

وقالوا في ارتفاع مواضع بُيوتها وأعشاشها، وقال الأعشى:

أن العِرْضَ أصبَحَ بطنه خيلاً وزرعاً نابتاً وقصافصاً  
شُرْفَاتٍ يقصُر الطرف دونَ تطلحمام الورق فيه قرامصاً

وقال عمرو بن الوليد:

فتبدلتُ من مساكنِ قومي والقُصور التي بها الآطامُ

تتغنى على دُراه الحمامِ

قصر مشيّدٍ ذي أواسٍ

والحمام أيضاً ربما سكن أجواف الرّكايا، ولا يكون ذلك إلا للوحشيّ منها، وفي البيروني لا تُورد،

قال الشاعر:

غير مُكْرَبَةٍ أَصَابَتْ حَمَامًا فِي مَسَاكِينِهِ فَطَارًا  
يقول: استقى يسْفِرته من هذه البئر، ولم يستقِ بدلٍ، وهذه بئر قد سكنها الحمام لأنها لا تُورَدُ، وقال  
جهم بن خلف:

هاج شوقي أنْ تَغْتَتْ مطوّقُهُ ورقاء تصدّحُ في الفجر  
حمامُهُ

تبكّي ساق حُرٌّ ولن تَرَى دَمْعَةً يَوْمًا على خدّها تجري  
بلحن فاستجابت لصوتها بالأصياف في فتنِ السِّدْرِ  
فترتْ كَرَّتْ بلحن شجّ لها للصبِّ الحزين جوى الصِّدْرِ  
مطرابُ العشيات بصوتٍ يهيجُ المستهامَ على  
والضحى الذِّكْرِ

ذا وجد يزيدَ صبابًا عليها، ولا ثكلى تبكّي على بكرٍ  
فأسعدنها بالنوح حتى كأنّ شربن سُلَاقًا من معنقة الحمرِ  
لحنًا في العُصون كأنهوائِ مَيّتٍ يلتدمن لدى قبرِ  
وإِ من تباله مُونِقِ جانبه الطلحُ واعتمَّ بالزهرِ  
استطرد لغوي ويقال: هدر الحمام يهدر، قال: ويقال في الحمام الوحشي من القماريِّ والفواخت  
والدّباسي وما أشبه ذلك: قد هدل يهدل هديلاً، فإذا طَّرب قيل غرَّد يغرد تغريدًا، والتغريد يكون للحمام  
والإنسان، وأصله من الطير.  
وأما أصحابنا فيقولون: إنّ الجمل يهدر، ولا يكون باللام، والحمام يهدل وربما كان بالراء.  
وبعضهم يزعم أنّ الهديل من أسماء الحمام الذِّكْرِ، قال الرّاعي واسمه عبيد بن الحصين:

كهداهد كَسَرَ الرُّمَاءُ جَنَاحَهُ يدعُو بقارعةِ الطَّرِيقِ هديلاً  
ساق حُرٌّ وزعم الأصمعيُّ أنّ قوله: هتوفُ تبكّي ساق حُرٌّ إنّما هو حكاية صوت وحشيِّ الطير من هذه  
التّوّاحات، وبعضهم يزعم أنّ ساق حُرٌّ هو الذِّكْرِ، وذهب إلى قول الطُّرّمّاح في تشبيه الرّماد بالحمام،  
فقال:

أظار بمظلومةٍ كسرة الساقِ ساقِ الحمامِ  
صفة فرس وقال آخر يصف فرساً:

من مثلِ حمام الأغلّالِ رفعُ يدٍ عَجَلَى ورجل شمالاً  
من تحتٍ وتروى من عالٍ

الأغلال: جمع غَلَلٍ، وهو الماء الذي يجري بين ظهري الشجر قال:  
والمعنى أن الحمام إذا كان يريد الماء فهو أسرع لها، وقوله:  
ش\_\_\_\_\_ ملال أي خفيف\_\_\_\_\_ة.

ليس في الأرض جنسٌ يعترية الأوضاح والشَّيات، ويكون فيها  
المصمّت والبهيمُ أكثر ألواناً، و من أصناف التَّحاسين ما يكون في  
الحمام، فمنها ما يكون أخضر مُصمّتا، وأحمر مصمّتا وأسود مصمّتا،  
وأبيض مصمّتا، وضروباً من ذلك، كلها مصمّمة، إلا أن الهداية للخضرِ  
الشمّر، فإذا ابيضَّ الحمام كالفقيع فمثله من الناس الصقلابيُّ، فإن  
الصقلابيَّ فطيّر خامٌ لم تُنضجْه الأرحام؛ إذ كانت الأرحام في البلاد  
التي شمسها ضعيفة. وإن اسودَّ الحمامُ فإنما ذلك احتراقٌ،  
ومجازة لحدِّ النَّضج، ومثلُ سود الحمام من الناس الرّنج؛ فإن  
أرحامهم جاوزت حدَّ الإنضاح إلى الإحراق، وشيّطت الشمس  
ش\_\_\_\_\_عورهم فتقبّضت\_\_\_\_\_ت.

والشمّر إذا أدبته من النار تجعد، فإن زدّته تقلقل، فإن زدّته احترق.  
وكما أن عقول سُودانِ النَّاس وحمراينهم دون عقول الشمّر، كذلك  
بيضُ الحمام وسودها دون الخضر في المعرفة والهداية.  
استطراد لغوي وأصل الخضرة إنما هو لون الرّيحان والبقول، ثم

جعلوا بعدُ الحديدَ أخضرَ، والسماءَ خضراءَ، حتَّى سمَّوا بذلك الكُحلَّ  
واللَّيْلَ.

قال الشَّمَّاخ بنُ ضرار:

رَواحاً مَنْ رَزُودَ فَنازِعُتْجَالَةَ جَلِباباً مِنَ اللَّيْلِ أَخْضِرا

وقال الرَّاجِز:

انتضاه الصُّبْحُ مِنْ لَيْلٍ خَطِيتُضَاءِ الْبَطْلِ السَّيْفِ الدَّكْرِ

هُوَ بِالِ عَلَى نِصْوِ سَقَرٍ

وقال الله عزَّ وجلَّ: "ومَنْ دُونَهُمَا جَنَّانٍ، قَبَائِيٍّ آلاءَ رَبِّكُمَا تُكَذِّبانَ، مُدْهَامَتَانِ" قال: خضراوان من

الـ رِّي سـ وداوان.

ويقال: إنَّ العِراقَ إنَّما سَمِّيَ سِوَاداً بِلَوْنِ السَّعْفِ الَّذِي فِي التُّخْلِ، وَمائِهِ.

والأَسْوَدان: المَاءُ وَالتَّمْرُ، وَالأَبْيضان: المَاءُ وَاللبن، وَالْماءُ أَسْوَدُ إِذا كانَ مَعَ التَّمْرِ، وَأَبْيَضُ إِذا كانَ مَعَ

اللبن.

ويقولون: سُودُ البَطونِ وَحُمْرُ الكُلَى، وَيقولون: سُودُ الأَكبادِ يَريدونَ العِداوَةَ، وَأَنَّ الأَحقادَ قَدْ أَحرقتْ

أَكبادَهُم، وَيقالُ لِلحافِرِ أَسْوَدَ البَطْنِ؛ لِأَنَّ الحافِرَ لا يَكُونُ فِي بَطونِها شَحْمَ.

ويقولون: نَحْنُ بِخَيْرِ ما رَأينا سِوادَ فلانٍ بَينَ أَظهَرُنا، يَريدونَ شِخصَهُ، وَقالوا: بَلْ يَريدونَ طَلَّهُ.

فأَمَّا خُضْرُ مُحارِبٍ، فَإِنما يَريدونَ الشُّودَ وَكَذلكَ: خُضْرُ غَسَّانِ.

ولذلك قال الشاعرُ:

الْحَضارِمَةُ الخَضِرُ الَّذينَ عَدَوُ البَريصِ ثَمانٍ مِنْهُمُ الحَكْمُ

ومن هذا المعنى قول القرشي في مديح نفسه:

الأَخْضَرُ مَنْ يَعرِفُني أَخْضَرُ الجِلْدَةِ فِي بَيتِ العَرَبِ

وَإِذا قالوا: فلانٌ أَخْضَرُ القِفا، فَإِنما يَعونونَ بِهِ أَنَّهُ قَدْ وُلِدَتْهُ سِوَداءُ، وَإِذا قالوا: فلانٌ أَخْضَرُ البَطْنِ،

فإِنما يَريدونَ أَنَّهُ حائِكٌ، لِأَنَّ الحائِكَ بَطَنُهُ لَطولُ التَراقِيةِ بِالخَشبَةِ الَّتِي يَطوِي عَليها التُّوبُ يَسوَدُّ.

عِداوَةُ العِروِضِيِّ لِلنِّظامِ وَكانَ سَببُ عِداوَةِ العِروِضِيِّ لِإِبراهِيمِ النِّظامِ، أَنَّهُ كانَ يَسمِّيهِ الأَخْضَرَ البَطْنَ،

وَالأَسْوَدَ البَطْنَ؛ فَكانَ يَكثِيفُ بَطَنَهُ لِلناسِ - يَريدُ بِذلكَ تَکذِيبَ أَبِي إِسحاقَ - حَتَّى قالَ لَه إِسماعيلُ

بن غزوان: إنما يريد أنك من أبناء الحاكمة فعاداه لذلك.  
استطرد لغوي فإذا قيل أخضر التَّواجذ، وإنما يريدون أنه من أهل القُرى، ممَّن يأكل الكُراث والبصل.  
وإذا قيل للتُّور: خاضب؛ فإنما يريدون أنَّ البقل قدَّ خَصَبَ أطلاقه بالخضرة، وإذا قيل للتَّليم: خاضب،  
فإنما يريدون حمرةً وظيفيه فإنهما يَحْمَرَّان في القَيْظ، وإذا قيل للتَّرجل خاضب، فإنَّما يريدون الحنَّاء  
فإذا كان خضابُه بغير الحنَّاء قالوا: صَبَّغَ ولا يقال خضب.  
ويقولون في شبيهِ الباب الأوَّل: الأحمران: الذهب والزعفران، والأبيضان: الماء واللَّبَن، والأسودان:  
الماء والتمر.  
ويقولون: أهلكَ التَّساء الأحران: الدَّهَبُ والزَّعفران، وأهلكَ التَّاسَ الأحامِر: الذهب، والزعفران،  
واللَّحْمَ، والخم،  
والجدِيدان: اللَّيْل والنهار، وهم المملوكان.  
والعصر: الدَّهر، والعصران: صلاة القَجْر وصلاة العشي، والعصران: العداة والعشي، قال الشاعر:

وَأَمَطْلُهُ الْعَصْرَيْنِ حَتَّى يَمَلَّنِي وَيَرْضَى بِنِصْفِ الدَّيْنِ وَالْأَنْفِ  
رَاغِمٌ

ويقال: البائعان بالخيار وإثما هو البائع والمشتري، فدخل المبتاع في البائع.  
وقال الله عزَّ وجلَّ: "وَلَا تَبْؤُهُ لِكُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا السُّدُسُ مِمَّا تَرَكَ"، دخلت الأمُّ في اسم الأبوة، كأنهم  
يَجْمَعُونَ على أبيه الاسمين وكقولهم: ثيبرين، والبصرتين، وليس ذلك بالواجب؛ وقد قالوا: سيرة  
العَمْرَيْنِ، وأبو بكرٍ فوقَ عمر، قال الفرزدق:

بَآفَاقِ السَّمَاءِ عَلَيْكُمْ لَنَا قَمَرَاهَا وَالتَّجُومُ الطَّوَالِعُ

وَأَمَّا قَوْلُ ذِي الرُّمَّةِ:

كَجِلْبَابِ العَرُوسِ اذَّرَعْتُهُ والشَّخْصُ فِي العَيْنِ وَاجِدٌ

فإنه ليس يريد لَوْنَ الجلباب، ولكنَّه يريد سُبوغَه.

جواب أعرابيِّ قال: وكذلك قول الأعرابيِّ حينَ قيل له: بأيِّ شيء

تعرفُ حَمَلَ شاتِك؟ قال: إذا استفاصتُ خاصرتها، ودجت شَعْرَتها،

فالدَّاجِي هاهنا اللابِس.

قال الأصمعي ومسعود بن فيد الفزاري: ألا تروته يقول: كان ذلك  
وثوب الإسلامِ داخٍ، وأما لفظ الأصمعيِّ فإنه قال: كان ذلك منذُ دَجَا  
الإسلام، يعني أنه ألبس كلَّ شيء.

## شِيَاتِ الحَمَامِ

ثمَّ رجَّع بننا القول إلى ذكر شِيَاتِ الحَمَامِ.  
وزعموا أنَّ الأوضاحَ كُلَّهَا ضَعْفٌ، قليلها وكثيرها، إلاَّ أنَّ ذلكَ بالِحِصصِ على قدر الكثرة والقلَّة، كذلك  
هي في جميع الحيوانِ سِوَاءُ مستقبلها ومستدبرها، وذلك ليس بالواجبِ حتى لا يغادر شيئاً البتة؛ لأنَّ  
الكَلْبَةَ السُّلُوفِيَّةَ البيضَاءَ أَكْرَمُ وَأَصْيَدُ، وَأَصْبَرُ مِنَ السُّوْدَاءِ.  
والبياضُ في النَّاسِ على ضربٍ: فالمعيب منه بياضُ المُعْرَبِ والأشَقْرُ والأحمرُّ أقلُّ في الضَّعفِ  
والفَسَادِ، إذا كان مشتقاً من بِيَاضِ البَهَقِ والبَرَصِ والبَرَشِ والشَّيْبِ.  
والمُعْرَبُ عند العرب لا خير فيه البتة، والفقيع لا يُنَجِب، وليس عنده إلاَّ حسنُ بياضه، عند من اشتهى  
ذلك.

سوابق الخيل وزعم ابن سلام الجمحيُّ أنَّه لم ير قطُّ بقاءً ولا أبلق جاء سابقاً، وقال الأصمعيُّ: لم  
يسبق الحَلْبَةَ أَهْضَمُ قَطُّ؛ لأنهم يمدحون المُجَفَّرَ من الخيل، كما قال:

على زَفْرَةٍ فَتَمَّ وَلَمْ يَرْجِعْ إِلَى دِقَّةٍ وَلَا هَضَمٍ  
ويقولون: إِنَّ الفرسَ بَعُنُقِهِ وَبَطْنِهِ.  
وخبرني بعض أصحابنا، أنَّه رأى فَرَساً للمأمون بَلقاء سبقتِ الحلبه،  
وهذه نادرةٌ غريبة.

## نظافة الحمام ونفع ذرقه

والحمام طائر أليف ومحبب، موصوفٌ بالنّظافة، حتى إنّ ذرّقه لا يعاف ولا تنن له، كسلاح الدّجاج والدّيكة، وقد يُعالج بذرّقه صاحبُ الحصة، والفلاحون يجدون فيه أكثرَ المنافع، والخبّاز يُلقي الشيء منه في الخمير لينتفخ العجينُ ويعظّم الرغيف، ثمّ لا يستبين ذلك فيه، ولذرّقه غلاّثٌ، يعرف ذلك أصحاب الحُجر، وهو يصلح في بعض وُجوه الدّبغ.

### الحمام طائر لئيم قاسي القلب

وقال صاحبُ الدّيك: الحمام طائر لئيم قاسي القلب، وإن برّ برّ عمكم ولد غيرهِ، وصنّع به كما يصنع بفرخه؛ وذلك أنهما يحصّنان كلّ بيض، ويُرّقان كلّ فرخ، وما ذاك منهما إلّا في القَرط. لؤم الحمام فأما لؤمه فمن طريق الغيرة، فإنّه يرى بعينه الدّكر الذي هو أضعف منه، وهو يطردُ أنثاه ويكسحُ بدّته حولها، ويتطوّس لها ويستميلها، وهو يرى ذلك بعينه - ثمّ لم نر قط ذكراً واثبَ ذكراً عند مثل ذلك.

فإذا قلت: إنّه يشتدُّ عليه ويمنعه إذا جثمت له وأراد أن يعلوها؛ فكلُّ ذكر وأنثى هنالك يفعل ذلك، وليس ذلك من الذكر الغريب من طريق



الغيرة، ولكنه ضرب من البخل ومن النفاسة، وإذا لم يكن من ذكرها إلا مثل ما يكون من جميع الحمام علم أن ذلك منه ليس من طريق الغيرة، وأنا رأيت النواهض تفعل ذلك، وتقطع على الذكر بعد أن يعلو على الأنثى.

قال: وأما ما ذكرتم من أن الحمام معطوف على فراخه ما دامت محتاجة إلى الزق، فإذا استغنت نُزعت منها الرحمة، فليس ذلك كما قلت، الحمام طائر ليس له عهد؛ وذلك أن الذكر ربما كانت معه الأنثى السنين، ثم تُنقل عنه وتواري عنه شهراً واحداً، ثم تظهر له مع زوج أضعف منه، فيراها طول دهره وهي إلى جنب بيته وتماريده فكأنه لا يعرفها بعد معرفتها المدَّهر الطويل، وإنما غابت عنه الأيام اليسيرة، فليس يوجه ذلك الجهل الذي يُعامل به فراخه بعد أن كبرت، إلا على الغباوة وسوء الذكر، وأن الفرخ حين استوى ريشه وأشبه غيره من الحمام جهل الفصل الذي بينهما. فإن كان يعرف أنثاه وهو يجدها مع ذكر ضعيف وهو مسلم لذلك وقانع به، وقليل الاكتراث به، فهو من لؤم في أصل الطبيعة. قسوة الحمام قال: وباب آخر من لؤمه: القسوة، وهي الأم اللؤم؛ وذلك أن الذكر ربما كان في البيت طائر ذكر قد اشتدَّ ضعفه، فينقر

رأسه والآخِرُ مستخِذٌ له، قد أمكَنه من رأسِه خاضعاً له، شديدَ الاستسلام لأمره، فلا هو يرحمُه لضعفه وعجزه عنه، ولا هو يرحمُه لخضوعه، ولا هو يملُّ وليس له عنده وتر، ثمَّ ينقُرُ يَأْفُوخَه حتى ينقُبَ عنه، ثمَّ لا يزال ينقُرُ ذلك المكانَ بَعْدَ النَّقْبِ حتى يُخْرِجَ رِمَاعَه فيموت بيِّنَ يَدَيْنِهِ.

فلو كان ممَّا يأكل اللَّحْمَ واشتهى الدماغَ كان ذلك له عذراً؛ إذ لم يَعُدْ مَا طَبَّعَ اللّٰهُ عَلَيْهِ سِبَاعَ الطَّيْرِ. فإذا رأينا من بعض بهائمِ الطَّيْرِ مِنَ الْقَسْوَةِ ما لا نرى من سِبَاعِ الطَّيْرِ لم يكن لنا إلاَّ أن نقضيَ عَلَيْهِ مِنَ اللُّؤْمِ على حسب مباينته لشكل البهيمة، ويزيد في ذلك على ما في جوارح الطَّيْرِ مِنَ السَّبُعِيَّةِ. أقوال لصاحب الديك في الحمام وقال صاحب الديك: زعم أبو الأصبغ بن ربيعٍ قال: كان رَوْحُ أَبُو هَمَامٍ صَاحِبِ المَعْمَى، عند مَثْنَى ابن زهير، فبينما هو يوماً وهو معه في السطحِ إذ جاء جماعةٌ فصعدوا، فلم يلبثُ أن جاء آخرون، ثمَّ لم يلبثُ أن جاء مثلُهُمْ، فأقبلَ عليهم فقال: أَيُّ شَيْءٍ جاء بكم؟ وما الذي جَمَعَكُم اليوم؟ قالوا: هذا اليومُ الذي يرجع فيه مَرَّاجيلُ الحمامِ مِنَ الغَايَةِ، قال: ثمَّ ماذا؟ قالوا: ثمَّ

تَمَتَّعُ بِالنَّظَرِ إِلَيْهَا إِذَا أَقْبَلَتْ، قَالَ: لَكِنِّي أَمْتَمُّعُ بِتَغْمِيضِ الْعَيْنِ إِذَا أَقْبَلْتُ، وَتَرَكُ النَّظَرَ إِلَيْهَا ثُمَّ نَزَلَ وَجَلَسَ وَحْدَهُ.

## التلهي بالحمام

وقال مثنى بن زهير ذات يوم: ما تلهي الناسُ بشيءٍ مثل الحمام، ولا وجدنا شيئاً مما يتخذهُ الناسُ ويُلعَبُ بِهِ ويُلهَى بِهِ، يخرج من أبواب الهزل إلى أبواب الجدِّ - كالحمام - وأبو إسحاق حاضر - فغاضه ذلك، وكظم على غيظه، فلما رأى مثنى سكوته عن الردِّ عليه طمِع فيه فقال: يبلغُ واللهِ من كرم الحمامِ ووفائِهِ، وثباتِ عهْدِهِ، وحنينه إلى أهله، أتبي ربّما قصصُ الطائرِ وبعد أن طار عِندي دهرًا، فمتى نبتَ جناحُه كنباته الأول، لم يدعُه سوءُ صنعي إليه إلى الذَّهابِ عني، ولربّما بعثه فيقصُّه المبتاعُ حينًا، فما هو إلَّا أن يجدَ في جناحِه قوَّةً على التُّهوضِ حتَّى أراه أتاني جادفًا أو غير جادف، وربّما فعلتُ ذلك به مرارًا كثيرةً، كلُّ ذلك لا يزدادُ إلَّا وفاءً. قال أبو إسحاق: أمّا أنت فأراك دائبًا تحمده وتذمُّ نفسك، ولئن كان رجوعُه إليك من الكرمِ إنَّ إخراجك له من اللُّومِ وما يُعجبني من الرِّجالِ مَنْ يَقْطَعُ نفسَه لصلَةِ طائر، وينسى ما عليه في جنبِ ما

للبيمة، ثم قال: خَبَّرني عَنْكَ حينَ تقول: رَجَع إِلَيَّ مَرَّةً بعدَ مَرَّةٍ، وكلما زَهَدْتُ فيه كان فيَّ أرغَب، وكلِّما باعدتُه كان لي أطلَب؛ إِلَيْكَ جاء، وإلَيْكَ حنَّ أمُّ إلى عُشِّه الذي درج منه، وإلى وكره الذي رُبِّي فيه؟ أرايت أن لو رَجَع إِلَيَّ وكره وبيته ثمَّ لم يجدك، وألفاك غائباً أو ميّتاً، أكان يرجعُ إلى موضعه الذي خلفه؟ وعلى أنك تتعجَّب من هدايته، وما لك فيه مقالٌ غيره، فأما شكرك على إرادته لك، فقد تبينَ خَطَاؤك فيه، وإنما بقي الآن حسنُ الاهتداء، والحنينُ إلى الوطن.

### مشابهة هداية الحمام لهداية الرخم

وقد أجمعوا على أنَّ الرَّخْمَ من لئام الطير وبغائها، وليست من عتاقها وأحرارها، وهي من قواطع الطير، ومن موضع مَقْطَعها إلينا ثمَّ مرجعها إليه من عندنا، أكثرُ وأطول من مقدارِ أبعدِ غايات حمامكم، فإن كانت وقتَ خُروجها من أوطانها إلينا خرجتْ تقطع الصَّحارى والبراريَّ والجزائرَ والغياضَ واليَحارَ والجبالَ، حتَّى تصير إلينا في كلِّ عام - فإن قلت إنَّها ليستْ تخرج إلينا على سمِّ ولا على هدايةٍ ولا دَلالةٍ، ولا على أمارَةٍ وعلامةٍ، وإنما هَرَبت من التُّلوج والبرد الشديد، وعلمت أنَّها تحتاج إلى الطُّعم، وأنَّ التُّلج قد ألَبَس ذلك العالم،

فخرجت هاربة فلا تزال في هربها إلى أن تصادف أرضاً خصباً دفناً،  
فتقيم عند أدنى ما تجد - فما تقول فيها عند رجوعها ومعرفتها  
بانحسار الثلوج عن بلادها؟ أليست قد اهتدت طريق الرجوع؟  
ومعلوم عند أهل تلك الأطراف، وعند أصحاب التجارب وعند القانص،  
أن طير كل جهة إذا قطعت رجعت إلى بلادها وجبالها وأوكارها، وإلى  
غياضها وأعشيتها، فتجد هذه الصفة في جميع القواطع من الطير،  
كرامها كلئامها، وبهائمها كسباعها، ثم لا يكون اهتداؤها على تمرين  
وتوطين، ولا عن تدريب وتجريب، ولم تلقن بالتعليم، ولم تثبت  
بالدبير والتقويم، فالقواطع لأنفسها تصير إلينا، ولأنفسها تعود إلى  
أوكارها.

وكذلك الأوابد من الحمام، لأنفسها ترجع، وإلها للوطن إلف مشترك  
مقسوم على جميع الطير، فقد بطل جميع ما ذكرت.  
قواطع السمك ثم قال: وأعجب من جميع قواطع الطير قواطع  
السمك، كالأسبور والجواف والبرسئوج، فإن هذه الأنواع تأتي رجلة  
البصرة من أقصى البحار، تستعذب الماء في ذلك الإبان، كأنها  
تحمض بحلاوة الماء وعذوبته، بعد ملوحة البحر؛ كما تتحمض الإبل  
فتطلب الحمض - وهو ملح - بعد الخلّة - وهو ما حلا وعذب.

طلب الأسد للملح والأسد إذا أكثر من حَسْوِ الدِّمَاءِ - والدِّمَاءُ حلوٌ  
- وأكَلِ اللَّحْمِ واللَّحْمُ حلو - طلبت المِلْحَ لتملِّح به، وتجعله كالحمض  
بَعْدَ الخُلَّةِ.

ولولا حُسْنُ مَوْقِعِ المِلْحِ لم يُدْخِلْهُ النَّاسُ فِي أَكْثَرِ طَعَامِهِمْ.  
والأَسَدُ يخرج للتملُّحِ فَلَا يزَالُ يسيْرُ حَتَّى يَجِدَ مَلَّاحَةً، وَرَبَّمَا اعتَادَ  
الأَسَدُ مَكَانًا فيجده ممنوعاً، فَلَا يزَالُ يقطعُ الفراسِخَ الكَثِيرَةَ بَعْدَ ذلك  
فإذا تملَّحَ رجع إلى مَوْضِعِهِ وَعَيَّضَتِهِ وَعَرِينِهِ، وَغَابَهُ وَعَرَّيَسَتِهِ، وَإِنْ كَانَ  
الذِّي قَطَعَ خَمْسِينَ فَرَسًا.

قواطع السمك ونحن بالبصرة نعرف الأشهر التي يقبل إلينا فيها هذه  
الأصناف وهي تقبلُ مرَّتين في كلِّ سنة، ثمَّ نجدُها في إحداهما أَسْمَنَ  
الجنس، فيقيم كلُّ جنس منها عُنْدَنَا شهرين إلى ثلاثة أشهر، فإذا  
مضى ذلك الأجلُ، وانقضتْ عِدَّةُ ذلك الجنس، أقبل الجنسُ الآخر،  
فهم في جميع أقسام شهورِ السَّنَةِ من الشتاءِ والرَّبيعِ، والصَّيفِ  
والخريفِ، في نوعٍ من السَّمَكِ غَيْرِ النَّوعِ الآخَرِ، إِلَّا أَنْ البَرَسْتُوجَ يُقْبَلُ  
إلينا قاطعاً من بلاد الرِّنج، يستعذب الماء من دجلةِ البَصْرَةِ، يعرفُ  
ذلك جميعُ الرِّنجِ والبَحْرِيِّينَ.

بَعْدُ بلاد الرِّنجِ والصَّينِ عن البصرة وهم يزعمون أنَّ الذي بين البصرة

والزَّنج، أَبَعَدُ مِمَّا بَيْنَ الصَّيْنِ وَبَيْنَهَا.  
وإنما غلط ناسٌ فزعموا أنَّ الصَّيْنِ أَبَعَدَ، لأن بحرَ الزَّنجِ حفرةٌ واحدةٌ عميقةٌ واسعةٌ، وأمواجها عِظامٌ، ولذلك البَحْرُ رِيحٌ تهبُّ من عُمانَ إلى جهةِ الزَّنجِ شَهْرَيْنِ، وريحٌ تهبُّ من بلادِ الزَّنجِ تريدُ جهةَ عُمانِ شَهْرَيْنِ، على مَقْدَارٍ واحدٍ فيما بينَ الشَّدَّةِ واللَّينِ، إلَّا أنَّها إلى الشَّدَّةِ أَقْرَبُ، فلما كان البَحْرُ عميقاً والريِّحُ قَوِيَّةً، والأمواجُ عظيمةً، وكان الشَّرَاعُ لا يحطُّ، وكان سيرهم مع الوَثْرِ ولم يكن مع القَوْسِ، ولا يَعْرِفون الخَبَّ والمكَلَّ، صارت الأيَّامُ التي تسير فيها السُّفنُ إلى الزَّنجِ أَقْلَ.  
البرسُوجُ قال: والبرسُوجُ سَمَكٌ يَقْطَعُ أمواجَ الماءِ، وَيَسِيحُ إلى البصرةِ مِنَ الزَّنجِ، ثم يَعُودُ ما فَضَلَ عَنْ صيدِ الناسِ إلى بلادهِ وبحره، وذلك أَبَعَدُ مِمَّا بين البصرةِ إلى العليقِ المرارِ الكثيرةِ، وهم لا يصيدون من البَحْرِ فيما بين البصرةِ إلى الزَّنجِ من البرسُوجِ شيئاً إلَّا في إبانِ مَجِيئِها إلينا ورجوعِها عَنَّا، وإلَّا فالبحرُ منها فارغٌ خالٍ، فَعامةُ الطيرِ أعجبُ من حمامكم، وعامةُ السَّمَكِ أعجبُ من الطَّيرِ.

## هداية السمك والحمام

والطَّيْرُ ذو جناحين، يَحْلُقُ في الهواء، فله سُرْعَةُ الدَّرْكِ وبلوغ الغاية بالطيران، وله إدراك العالم بما فيه بعلامات وأمارات إذا هو حَلَّقَ في الهواء، وعلا فَوْقَ كل شيء، والسَّمَكَةُ تَسْبِحُ في عَمْرُ البَحْرِ والماء، ولا تَسْبِحُ في أعلاه، ونَسِيمُ الهواء الذي يعيشُ بهِ الطَّيْرُ لو دامَ على السَّمَكِ ساعةٍ مِنْ نهارٍ لقتلَهُ.

وقال أبو العنبر: قال أبو نخيلة الراجز ودَكَرَ السمك:

النشرة والنسيم  
البحر والبحر له تخميم  
جهلاً وما يريم  
فلا يزال مغرقاً يعوم  
وأمة الوالدة الرؤوم

يقول: النشرة والنسيم الذي يُحْيِي جَمِيعَ الحيواناتِ، إذا طال عليه الخُمُومُ واللَّخْرُ والعَقَنُ، والرُّطوباتُ العليظة، فذلك يغمُّ السَّمَكَ ويكرِّهُه، وأُمَّه التي ولدته تأكله؛ لأنَّ السَّمَكَ يأكلُ بعضه بعضاً، وهو في ذلك لا يريهم هـ هذا الموضوع.

وقال رؤبة:

والحوت لا يكفيه شيءٌ يلهي صبح عَطْشَانٍ وفي الماءِ فَمُهُ  
يصف طباعه واتصاله بالماء، وأنه شديد الحاجة إليه، وإن كان عَرِقاً فيه أبداً.  
شعر في الهجاء وأنشدني محمَّدُ بنُ يسير لبعض المدنيين، بهجو رجلاً، وهو قوله:

في السقف فرجاً  
وسطاً بحر  
لنرا حتى يموتا  
صار فيه الدهر حوتا  
قال: يقول في العَوُصِ في البَحْرِ، وفي طُول اللُّبْثِ فيه.  
شعر في الضفدع وقال الذَّكوانِي، وهو يصف الضُّفْدَع:

في الأشداق ماءً ينصفه  
كيما ينق والنقيق يئلفه  
قال: يقول: الضُّفْدَعُ لا يَصْوَتُ، ولا يتهبُّ له ذلك حتى يكون في فيه ماء، وإذا أرادَ ذلك أدخل فكه الأسفلَ في الماءِ، وترك الأعلى حتى يبلُغَ الماءُ نِصْفَه.  
والمثل الذي يَتَمَثَّلُ بهِ النَّاسُ: فلانٌ لا يستطيعُ أن يُجِيبَ حُصومَه لأنَّ فاهُ مَلآنُ ماءً، وقال شاعرهم:

نسيت مكان الأمريك بذا هويث ولكن في فيمي ماءً  
وإنما جعلوا ذلك مثلاً، حينَ وَجَدُوا الإنسانَ إذا كان في فمه ماءً على الحقيقة لم يَسْتَطِعِ الكلامَ، فهو  
تأويل قول الذَّكوانِي:



## في الأشداق ماءً يَنْصُفُهُ

بفتح الياءِ وضَمِّ الصَّادِ، فَإِنَّهُ ذَهَبَ إِلَى قَوْلِ الشَّاعِرِ:

## إِذَا جَارِي دَعَا لِمُصُوفَةٍ حَتَّى يَنْصُفَ السَّاقَ مِئْرِي

المضـوفة: الأُمـر الذي يشـفُ منهُ.

وكقول الآخر:

## الظَّنَّ يَنْصُفُ أَوْ يَزِيدُ

وهذا ليس من الإنصاف الذي هو العَدْلُ، وإمَّا هو من بلوغِ نِصْفِ السَّاقِ.

وأمَّا قوله:

## يَنْقُ وَالتَّقِيْقُ يُتْلِفُهُ

فإنه ذهب إلى قول الشاعر:

## في ظلماء ليل تجاوبتْ قَدَلٌ عَلَيَّهَا صَوْتَهَا حَيَّةَ الْبَحْرِ

معرفة العرب والأعراب بالحيوان وقلَّ معنَى سَمِعْنَاهُ فِي بَابِ

مَعْرِفَةِ الْحَيَوَانَ مِنَ الْفَلَسَفَةِ، وَقَرَأَنَاهُ فِي كِتَابِ الْأَطْبَاءِ وَالْمَتَكَلِّمِينَ -

إِلَّا وَنَحْنُ قَدْ وَجَدْنَاهُ أَوْ قَرِيبًا مِنْهُ فِي أَشْعَارِ الْعَرَبِ وَالْأَعْرَابِ، وَفِي

مَعْرِفَةِ أَهْلِ لَعْنَتِنَا وَمِائَتِنَا، وَلَوْلَا أَنْ يَطْوَلَ الْكِتَابُ لَذَكَرْتُ ذَلِكَ أَجْمَعًا،

وَعَلَى أَتْيِّ قَدْ تَرَكْتُ تَفْسِيرَ أَشْعَارٍ كَثِيرَةٍ، وَشَوَاهِدَ عَدِيدَةٍ مِمَّا لَا

يَعْرِفُهُ إِلَّا الرَّأْيِيُّ التَّحْرِيرُ؛ مِنْ خَوْفِ التَّطْوِيلِ.

## حمام النساء وحمام الفراخ

وقال أفليمون صاحبُ الفِرَاسَةِ: اجْعَلِ حَمَامَ النِّسَاءِ الْمَسْرُورَاتِ

الْعِظَامَ الْحِسَانَ، ذَوَاتِ الْاِخْتِيَالِ وَالتَّبَخْتِ وَالْهَدِيرِ؛ واجْعَلِ حَمَامَ

الفِرَاحِ ذَوَاتِ الْأَنْسَابِ الشَّرِيفَةِ وَالْأَعْرَاقِ الْكَرِيمَةِ، فَإِنَّ الْفِرَاحَ إِنَّمَا تَكْثُرُ عَنْ حُسْنِ التَّعَهُدِ، وَنِظَاقَةِ الْقِرَامِيصِ وَالْبُرُوجِ، وَاتِّخَاذِ لَهْنِ بَيْتًا مَحْفُورًا عَلَى خِلْقَةِ الصَّوْمَعَةِ، مَحْفُوفًا مِنْ أَسْفَلِهِ إِلَى مِقْدَارِ ثُلَاثِي حَيْطَانِهِ بِالْتِمَارِيدِ، وَلِتَكُنْ وَاسِعَةً وَلِيَكُنْ بَيْنَهَا حَجَازٌ، وَأَجُودُ ذَلِكَ أَنْ تَكُونَ تِمَارِيدُهَا مَحْفُورَةً فِي الْحَائِطِ عَلَى ذَلِكَ الْمِثَالِ، وَتَعَهُدَ الْبُرْجِ بِالْكَنَسِ وَالرَّشِّ فِي زَمَانِ الرَّشِّ، وَلِيَكُنْ مَخْرُجُهُنَّ مِنْ كَوِّ فِي أَعْلَى الصَّوْمَعَةِ، وَلِيَكُنْ مَقْتَصِدًا فِي السَّعَةِ وَالصَّيْقِ، بِقَدْرِ مَا يَدْخُلُ مِنْهُ وَيَخْرُجُ مِنْهُ الْوَاحِدَ بَعْدَ الْوَاحِدِ، وَإِنْ اسْتَطَعْتَ أَنْ يَكُونَ الْبَيْتُ بِقُرْبِ مِزْرَعَةٍ فَافْعَلْ، فَإِنَّ أَعْزَكَ الْمَنْسُوبُ مِنْهَا فَالْتَمَسْ ذَلِكَ بِالْفِرَاسَةِ الَّتِي لَا تَخْطِي وَقَلَمًا يُخْطِي، الْمَتْفَرِّسِ.

قال: وليس كلُّ الْهُدَى تَقْوَى عَلَى الرَّجْعَةِ مِنْ حَيْثُ أُرْسِلَتْ؛ لِأَنَّ مِنْهَا مَا تَفْضُلُ قُوَّتُهُ عَلَى هِدَايَتِهِ، وَمِنْهَا الْبَطِيءُ وَإِنْ كَانَ قَوِيًّا، وَمِنْهَا السَّرِيعُ وَإِنْ كَانَ ضَعِيفًا، عَلَى قَدْرِ الْحَنِينِ وَالْإِغْتِرَامِ، وَلَا بَدَّ لِجَمِيعِهَا مِنَ الصَّرَامَةِ، وَمِنَ التَّعْلِيمِ أَوْلًا وَالتَّوْطِينِ آخِرًا.

## انتخاب الحمام

وقال: جِماعِ الفِرَاسَةِ لا يَخْرُجُ مِنْ أَرْبَعَةِ أَوْجِهٍ: أَوَّلُهَا التَّقْطِيعُ، الثَّانِي المَجَسَّسَةُ، والثَّالِثُ الشَّمائِلُ، والرَّابِعُ الحَرَكَةُ. فالتَّقْطِيعُ: انْتِصَابُ العُنُقِ وَالخَلْقَةِ، وَاسْتِدَارَةُ الرِّأْسِ مِنْ غَيْرِ عِظْمٍ وَلَا صِغَرٍ، مَعَ عِظْمِ القَرِطَمَتَيْنِ، وَاتِّسَاعِ المِنْخَرَيْنِ، وَانْهَرَاتِ الشَّدَقَيْنِ وَهَذَانِ مِنْ أَعْلَامِ الكَرَمِ فِي الخَيْلِ؛ لِلاِسْتِرَواحِ وَغَيْرِ ذَلِكَ، ثُمَّ حُسْنُ خِلْقَةِ العَيْنَيْنِ، وَقِصْرِ المِنْقَارِ فِي غَيْرِ رِقَّةٍ ثُمَّ اتِّسَاعِ الصُّدْرِ وَامْتِلَاءُ الجَوْجُو، وَطَوْلُ العُنُقِ، وَإِشْرَافِ المَنْكِبَيْنِ، وَطَوْلِ القِوَادِمِ فِي غَيْرِ إِفْرَاطٍ، وَلِحُوقِ بَعْضِ الخِوَافِي بِبَعْضٍ، وَصَلَابَةِ العَصَبِ فِي غَيْرِ انْتِفَاحٍ وَلَا يُبَسِّسُ وَاجْتِمَاعُ الخَلْقِ فِي غَيْرِ الجَعُودَةِ وَالكَرَّازَةِ، وَعِظْمُ الفَخْذَيْنِ، وَقِصْرُ السَّاقَيْنِ وَالوُضُوعَيْنِ، وَافْتِرَاقِ الأَصَابِعِ، وَقِصْرِ الدَّنْبِ وَخِفَّتِهِ، مِنْ غَيْرِ تَفْنِينٍ وَتَفَرُّقٍ، ثُمَّ تَوْقُؤُ الحَدَقَتَيْنِ، وَصَفَاءِ اللَّوْنِ، فَهَذِهِ أَعْلَامُ الفِرَاسَةِ فَفِي التَّقْطِيعِ

وَأَمَّا أَعْلَامُ المَجَسَّسَةِ، فَوَتَاقَةُ الخَلْقِ، وَشِدَّةُ اللَّحْمِ، وَمَتَانَةُ العَصَبِ، وَصَلَابَةُ القَصَبِ، وَلِينُ الرِّيشِ فِي غَيْرِ رِقَّةٍ وَصَلَابَةُ المِنْقَارِ فِي غَيْرِ رِقَّةٍ.

وَأَمَّا أَعْلَامُ الشَّمائِلِ، فَقَلَّةُ الاِخْتِيَالِ، وَصَفَاءُ البَصْرِ وَثَبَاتُ النَّظَرِ وَشِدَّةُ الحَذَرِ، وَحُسْنُ التَّلَفُّتِ، وَقَلَّةُ الرِّعْدَةِ عِنْدَ الفَزَعِ، وَخِفَّةُ التَّهْوُضِ إِذَا

طـار، وَتـرُكُ المـبـادِرةِ إِذا لَقـى طـاً.  
وَأما أعلام الحركة، فالطيران في علو، ومدُّ العُنُق في سمو، وقلّة  
الاضطراب في جوِّ السماء، وضمُّ الجناحين في الهواء، وتَدافُعُ  
الركض في غير اختلاط، وحُسْنُ القَصْد في غيرِ دَوْرانٍ، وشِدَّةُ المدِّ  
في الطيران، فإذا أصبته جَامعاً لهذه الخصال فهو الطائر الكامل، وإلا  
فبقدر ما فيه من المحاسن تكون هدايته وقَراهُته.

## أدواء الحمام وعلاجها

قال: فاعلموا أنّ الحمامَ من الطيرِ الرقيق، الذي تُسرِع إليه الآفة،  
وتَعْرُوهُ الأدواءُ، وطَبِيعَتُهُ الحَرارةُ واليُبْس، وأكثرُ أدوائِهِ الحُنانُ  
والكباد، والعُطاش، والسل، والقُمَّل، فَهوَ يَحْتَاجُ إلى المَكانِ الباردِ  
والنَّظيفِ، وإلى الحبوبِ الباردةِ كالعَدَسِ والماشِ والشَّعيرِ المنخولِ،  
والقُرْطُمِ له بمنزلة اللحم للإنسان؛ لما فيه من قوّة الدَّسمِ.  
فمما يُعالَجُ بِهِ الكَبادُ: الرَّعفرانُ والسكرُ الطَبْرَزْد، وماءُ الهِنْدباءِ يجعلُ  
في سُكَّرَجَةٍ، ثمَّ يُوجرُ ذلكُ أو يَمُجُّ في حلقه مجّاً وهو على الرِّيقِ.  
ومما يُعالَجُ به الحُنانُ: أنْ يَلينَ لسانه يوماً أو يومين بَدُهْنِ البنفسجِ،  
ثمَّ بالرَّمادِ والملحِ، يُدَلِّكُ بها حَتَّى تنسلخَ الجلدة العُلَيَا التي غَشِيتْ

لسانته، ثم يطلّى بعسل ودهنٍ ورد، حتّى يبرأ.  
وممّا يعالج به السّل: أن يُطعم الماشّ المقشور، ويمجّ في حلّقه من  
اللبن الحليب، ويُقطع من وظيفيّه عرقان ظاهران في أسفل ذلك،  
مما يلي المفصل من باطن. وممّا يعالج به القمل: أن يُطلّى أصول  
ريشه بالزّبيق المحلّل بدهن البنفسج، يفعل به ذلك مرّاتٍ حتى  
يسقط قملُه؛ ويكنس مكانه الذي يكون فيه كنساً نظيفاً.

### تعليم الحمام وتدريبه

وقال: اعلم أنّ الحمام والطير كلّها لا يصلح التّغمير به من البعد،  
وهدايته على قدر التعليم، وعلى قدر التّوطين، فأول ذلك أن يخرج  
إلى ظهر سطحٍ يعلو عليه، ويُنصب عليه علمٌ يعرفه، ويكون طيرائه لا  
يجاوز محلّته، وأن يكون علّفه بالغداة والعشّيّ، يلقى له فوق ذلك  
السّطح، قريباً من علمه المنسوب له، حتّى يألّف المكان ويتعود  
الرّجوع إليه، ولكن لينظر من أيّ شيء يتخذ العلم؟ فإنّه لا ينبغي أن  
يكون أسود، ولا يكون شيئاً تراه من البعد أسود، وكلما كان أعظم  
ك

ولا ينبغي أن يطيره وزوجته معاً، ولكن يتنفّ أحدهما ويطير الآخر،

وَيُخْرِجَانِ إِلَى السَّطْحِ جَمِيعاً، ثُمَّ يَطِيرُ الْوَافِي الْجِنَاحِ؛ فَإِنَّهُ يَنَارِعُ إِلَى زَوْجَتِهِ، وَإِذَا عَرَفَ الْمَكَانَ، وَدَارَ وَرَجَعَ، وَأَلْفَ ذَلِكَ الْمَوْضِعِ، وَنَبَتَ رِيْسُ الْآخْرِ، صُنِعَ بِهِ كَذَلِكَ. وَأَجُودُ مِنْ ذَلِكَ أَنْ يُخْرِجَا إِلَى السَّطْحِ وَهُمَا مَقْصُوصَانِ، حَتَّى يَأْلِفَا ذَلِكَ الْمَوْضِعَ، ثُمَّ يَطِيرَ أَحَدُهُمَا قَبْلَ صَاحِبِهِ، وَيُصْنَعُ بِالثَّانِي كَمَا صُنِعَ بِالْأَوَّلِ.

وما أشبه قوله هذا بقول ماسرجويه؛ فإنه وصفَ في كتابه، طباعَ جميعِ الألبانِ، وشُرْبَهَا لِلدَّوَاءِ، فَلَمَّا فَرَعَ مِنَ الصُّفَّةِ قَالَ: وَقَدْ وَصَفْتُ لَكَ حَالَ الْأَلْبَانِ فِي أَنْفُسِهَا، وَلَكِنْ انظُرْ إِلَى مَنْ يَسْقِيكَ اللَّبْنَ؛ فَإِنَّكَ بَدَأَ تَحْتَاجُ إِلَى تَنْظِيفِ جَوْفِكَ، وَتَحْتَاجُ إِلَى مَنْ يَعْرِفُ مَقْدَارَ عِلَّتِكَ مِنْ قَدْرِ اللَّبَنِ، وَجِنْسِ عِلَّتِكَ مِنْ جِنْسِ اللَّبَنِ.

### حوار مع نجار

ومثلُ ذلك قول نجارٍ كان عندي، دعوته لتعليقِ بابِ ثمينٍ كريمٍ فقلت له: إِنَّ إِحْكَامَ تَعْلِيقِ الْبَابِ شَدِيدٌ وَلَا يَحْسَنُهُ مِنْ مِائَةِ نَجَّارٍ نَجَّارٌ وَاحِدٌ، وَقَدْ يُذَكَّرُ بِالْحَذِّقِ فِي نِجَارَةِ السَّقُوفِ وَالْقِيَابِ، وَهُوَ لَا يَكْمُلُ لَتَعْلِيقِ بَابٍ عَلَى تَمَامِ الْإِحْكَامِ فِيهِ، وَالسَّقُوفِ، وَالْقِيَابِ عِنْدَ الْعَامَّةِ أَصْعَبُ.

ولهذا أمثال: فمن ذلك أنّ الغلام والجارية يشويان الجديّ والحمل  
ويحكمان الشّي، وهما لا يُحكمان شيّ جنبٍ، ومَن لا عِلْمَ له يظنُّ أنّ  
شيّ البَغَضِ أهْوُّ من شيّ الجميِّعِ.  
فقال لي: قد أحسنت حين أعلمتني أنّك تُبصر العمل، فإنّ معرفتي  
بمعرفتكَ تمنعني من التشفيق، فعَلَّقَهُ فأحكَمَ تَعْلِيْقَهُ؛ ثمَّ لم يكن  
عندي حَلْقُهُ لوجه الباب إذا أردتُ إصفاقه، فقلت له: أكره أن أحبسك  
إلى أن يذهب الغلامُ إلى السوق ويرجع، ولكن اثقب لي موضعها،  
فلما ثقَبُهُ وأخذ حَقَّهُ ولأني ظَهَرَهُ للانصراف، والتفت إليّ فقال: قد  
جوَّدتُ الثَّقِبَ، ولكن انظُرْ أَيُّ نجارٍ يدُقُّ فيه الرِّزَّةَ؛ فإنه إن أخطأ  
بضربة واحدة شقَّ الباب - والشق عيب - فعلمتُ أنّه يفهمُ صناعتَهُ  
فهماً تامّاً.

## قص الحَمامِ ونتفه

وبعض الناس إذا أراد أن يعلم زوجاً قصَّهُما ولم ينتفهما، وبين التتفِ  
والقصِّ بونٌ بعيد، والقصُّ كثير القصِّ لا يُوجع ولا يُقرِّح مَغَارِرَ قصبِ  
الرِّيش، والتتفُّ يُوهن المنكبين، فإذا تُتِفَ الطائرُ مراراً لم يقوَ على  
الغاية، ولم يزلْ واهنَّ المنكبين، ومتى أبطأ عليه فتفه وقد جفت

أصوله وقُرِبَت من الطَّرح كان أهونَ عليه، وكلما كان النباتُ أطراً كان أضرَّ عليه، وإنه ليلبغ من مضرَّته، وأنَّ الذَّكَرَ لا يجيذُ الإلقاحَ، والأنثى لا تُجيدُ القبولَ، وربُّما نتفت الأنثى وقد احتشتُ بيضاً، وقد قاربت أن تبيضَ، فتبطئُ بَعْدَ وقتها الأيامَ؛ ورُبما أضرَّ ذلك بالبيض.

## زَجَلُ الحَمَامِ

قال: وإذا بَلَغَ الثَّاني مَبْلَغَ الأوَّلِ في استواءِ الرِّيشِ، والاهتداءِ إلى العَلمِ، طَيِّراً جَمِيعاً، ومُنِيعاً من الاستقرارِ؛ إلاَّ أن يظنَّ بهما الإعياءَ والكلالَ، ثم يُوطَّنُ لهما المَراجِلُ بَرّاً وبَحْراً، من حيث يبصران إذا هما ارتفعا في الهواءِ السَّمْتِ ونَفْسِ العَلمِ، وأقاصي ما كانا يريانِه منها عند التَّباعدِ في الدَّورانِ والجَّولانِ، فإذا رَجعا من ذلك المَكانِ مَرَّاتٍ رُجِلا من أبعَدَ منه - وقد كانوا مَرَّةً يعجبهم أن يزجُّلوا من جميع التوطيناتِ، ما لم تبعُدْ، مَرَّتَيْنِ مَرَّتَيْنِ - فلا يزالان كذلك حَتَّى يبلغا الغايةَ، ويكون أحدهما محتبساً إذا أرسل صاحبه؛ ليتذكَّرَه فيرجع إليه، فإنَّ خيفَ عليه أن يكون قد ملَّ زوجتهَ، عرضت عليه زوجةٌ أخرى قبل الرَّجلِ؛ فإذا تسَمَّها مَرَّةً حِيلَ بينه وبينها يومه ذلك، ثمَّ عرضوها عليه قبل أن يُحمَلَ، فإذا أطاف بها نُحِّيت عنه، ثمَّ



حُمِلَ إِلَى الزَّاجِلِ؛ فَإِنَّ ذَلِكَ أَسْرَعُ لَهُ.  
وقال: اعلموا أَنَّ أَشَدَّ المَرَاجِلِ ما قَلَّتْ أَعْلَامُهُ، كالصَّحارى والبِهارِ.  
قال: والطير تختلفُ في الطَّباعِ اختِلافاً شديداً: فمنها القويُّ، ومنها  
الضعيفُ، ومنها البطيءُ، ومنها السَّريعُ، ومنها الدَّهولُ، ومنها  
الدَّكورُ، ومنها القليلُ الصَّبرِ على العطشِ، ومنها الصَّبورُ، وذلك لا  
يخفى فيهنَّ عند التَّعليمِ والتَّوطينِ، في سرعة الإجابة والإبطاءِ، فلا  
تُبْعَدَنَّ غايَةَ الضَّعيفِ والدَّهولِ والقَليلِ الصَّبرِ على العطشِ، ولا  
تَرجلَنَّ ما كان منشؤه في بلا الحَرِّ في بلاد البَرْدِ، ولا ما كان منشؤه  
في بلاد البَرْدِ في بلاد الحَرِّ؛ إلَّا ما كان بعد الاعتیادِ، ولا يصبرُ على  
طول الطيرانِ في غير هوائِهِ وأجوائِهِ طائرٌ إلا بطولِ الإقامةِ في  
ذلك المكانِ، ولا تستوي حاله وحالُ من لا يَعدُّو هَوائَهُ والهَواءَ الذي  
يقبُرُ مَن طَبَعَ هَوائَهُ.  
تعليم الحمام ورود الماء قال: ولا بدَّ أن يُعَلَّمَ الوردَ، فإذا أَرَدتَ به  
ذلك فأورِدْهُ العيونَ والغُدْرانَ والأنهارَ، ثمَّ حُلِّ بينه وبين النَّظيرِ إلى  
الماءِ، حتى تكفَّ بصرَهُ بأصابعِكَ عن جهة الماءِ واتَّساعِ الموردِ، إلَّا  
بقدر ما كان يشربُ فيه من المساقِي، ثمَّ أوسِعْ له إذا عَبَّ قليلاً  
بقدر ما لا يَترُوعه ذلك المُنظرُ وليكن معطشاً؛ فَإِنَّهُ أَجْدُرُّ أن يشربَ،

تفعلُ به ذلك مراراً، ثم تفسحُ له المنظرَ أولاً وأولاً، حتّى لا يُنكر ما هو فيه، فلا تزالُ به حتّى يعتادَ الشربَ بغيرِ سترة. استئناسه واستيحاشه قال: واعلم أنّ الحمامَ الأهليَّ الذي عايشَ النَّاسَ، وشرب من المساقِي ولَقَط في البيوت يختلُّ بالوَحدة، وَيَسْتَوْحِشُ بِالْغُرْبَانِ.

قال: واعلم أنّ الوحشيَّ يستأنس، والأهلي يستوحش. قال: واعلم أنّه ينسى التّأديبَ إذا أهمل، كما يتأدّب بعد الإهمال. ترتيب الزجل وإذا زجّلت فلا تُخَطِّرف به من نصف الغاية إلى الغاية، ولكن رتّب ذلك؛ فإنّه ربّما اعتادَ المجيء من ذلك البُعد، فمتى أرسلته من أقرب منه تحيّر، وأرادَ أن يبتدئ أمره ابتداءً، وهم اليوم لا يفعلون ذلك؛ لأنّه إذا بلغ الرّقة أو فوق ذلك شيئاً فقد صار عُقْدَةً، وصار له ثمنٌ وعلّة، فهو لا يرى أن يُخاطر بشيءٍ له قدر، ولكنّه إن جاء من هيت أدرب به؛ لأنّه إن ذهب لم يذهب شيءٌ له ثمن، ولا طائرٌ له رياسة؛ وليس له اسم ولا ذكر؛ وإن جاء شيء كبير وخطير، وإن جاء من الغاية فقد حوى به ملكاً، على هذا هم اليوم.

وقال: لا ترسل الرّاق حتّى تستأنف به الرّياضة ولا تدع ما تُعده

للرَّجال أن يحصن بيضاً، ولا يجثم عليه، فإنَّ ذلك ممَّا ينقُضه  
ويُفْتِّحه، ويعظم له رأسه، لأنَّه عندَ ذلك يسمَن وتكثر رطوبته  
فتقذِفُ الحرارة تلك الرُّطوبة الحادَّة العارضة إلى رأسه، فإنَّ ثَقَبَ  
البيضَ وزقَّ وحصن، احتجَّت إلى تضميره واستئناف سياسته، ولكنْ  
إنَّ بَدَا لك أن تستفرخه فانقلُ بيضه إلى غيره، بعدَ أن تُعلِّمه بعلامةٍ  
تعرفُ به \_\_\_\_\_ إذا انصَدَع.

علاج الحمام الفزع وإن أصاب الحمام أيضاً فَرَعُ ودُعْرُ؛ عن طلب  
شيءٍ من الجوارح له، فأياك أن تُعيدَه إلى الزَّجل حتَّى ترضمه  
وتستفرخه؛ فإن ذلك الدُّعْر لا يفارقه ولا يسكن حتى تستأنفَ به  
التَّوطِين. طريقة استكثار الحمام وإن أردت أن تستكثر من الفِراخ  
فاعزِل الذُّكورة عن الإناث شهراً أو نحوَه، حتى يصل بعضها على  
بعض، ثم اجمع بينها؛ فإنَّ بيضها سيكثر ويقلُّ سَقَطُهُ ومُزْوَقُهُ،  
وكذلك كلُّ أرضٍ أثيرت، وكذلك الحِيالُ لما كان من الحيوان حائلاً،  
قال الأعشى:

سَرَاةُ الْهَجَانِ صَلَبَتَهَا الْعُورَ عِيَّ الْحِمَى وَطُولُ الْحِيَالِ

وقال الحارث بن عبادةٍ وجعل ذلك مثلاً

مَرَبِطُ النَّعَامَةِ مِنِّي لَقِحَتْ حَرْبٌ وائل عن حِيَالِ

**? حديث أفليمون عن نفع الحمام**

وقال أفليمون صاحب الفِراسة، لصاحبه: وأنا محدّثك عن نفع الحمام بحديثٍ يزيدك رغبة فيها: وذلك أنّ مَلِكَيْنِ طلب أحدهما مُلْكَ صاحبه، وكان المطلوبُ أكثرَ مالا وأقلَّ رجلاً، وأخصبَ بلاداً، وكانت بينهما مسافةٌ من الأرضِ بعيدة، فلما بلغه ذلك دعا خاصّته فشاوَرَهُمْ في أمره وشكا إليهم خوفه على مُلكه، فقال له بعضهم: دامتْ لك أيُّها المَلِكُ السلامةُ، ووُقيتْ المكروه إنَّ الذي تاقَتْ له نفسك قد يُحتالُ له باليسيرِ من الطمع، وليسَ مِنْ شأنِ العاقلِ التَّغْرِيرُ، وليس بعد المُنَاجَزَةِ بقيّة، والمناجِزُ لا يدري لمن تكون العَلَبَةُ، والتمسُّكُ بالثقة خيْرٌ من الإقدام على العَررِ، وقال بعضهم: دامَ لك العزُّ، ومُدَّ لك في البقاء ليسَ في الدُّلِّ دَرَكٌ ولا في الرِّضا بالضمِ بقيّة، فالرَّأيُ اتخاذ الحُصون وإذكاء العُيونِ، والاستعدادُ للقتال؛ فإنَّ الموتَ في عَرِّ خيْرٌ مِنَ الحيااةِ فـي ذل.

وقال بعضهم: وُقيتْ وكُفيت، وأعطيتَ فَضَلَ المزيد الرّأيِ طلب المصاهرة له والخِطْبَةُ إليه؛ فإنَّ الصهرَ سببُ أُلْفَةٍ تقَعُ به الحُرْمَةُ، وتثبت به المودَّةُ، ويحلُّ به صاحِبُهُ المحلَّ الأدنى، ومن حلَّ من صاحبه هذا المحلَّ لم يخلِّه مما عَراه، ولم يمتنع من مناوأة من ناواه، فالتمس خِلطَتَهُ؛ فإنَّه ليسَ بَعْدَ الخِلطَةِ عداوَةٌ، ولا مَعَ الشَّرْكَةِ مباينة.

فقال لهم الملك: كلُّ قد أشارَ برأيي، ولكلِّ مدَّة، وأنا ناظرٌ في قولكم،  
وبالله العِصمة، وبشكره تتمُّ النعمة، وأظهرَ الخِطبة إلى الملكِ الذي  
فوقه، وأرسلَ رُسلًا، وأهدى هدايا، وأمرَهُم بمصانعةِ جميعِ مَنْ يَصِلُ  
إليه، ودسَّ رجالاً من ثقَاتِهِ، وأمرَهُم باتِّخاذِ الحمامِ في بلاده  
وتوطِينِهِنَّ، واتخذَ أيضاً عندَ نفسه مِثْلَهُنَّ، فرَفَعَهُنَّ من غايَةٍ إلى غايَةٍ،  
فجعلَ هؤلاءِ يرسلون من بلادِ صاحبهم، وجعلَ مَنْ عندَ الملكِ  
يرسلون من بلادِ الملكِ، وأمرَهُم بمكاتِبَتِهِ بخبرِ كلِّ يومٍ، وتعليقِ  
الكُتُبِ في أصولِ أجنحةِ الحمامِ، فصار لا يخفى عليه شيءٌ من أمره،  
وأطمعَه المَلِكُ في التزويجِ واستفردَهُ وطاولَهُ، وتَبَاعَ بين الهدايا،  
ودسَّ لحرسِهِ رجالاً يلاطفونَهُم حتى صاروا يبيتون بأبوابه معهم، فلمَّا  
كتبَ أصحابُهُ إليه بغِرتَهُم وصلَ الخبرُ إليه من يومِهِ، فسارَ إليه في  
جندٍ قد انتخبهم، حتى إذا كان على ليلةٍ أو بَعْضِ ليلةٍ، أخذَ بمجامعِ  
الطُرُقِ، ثم بَيْتَهُم ووثَبَ أصحابُهُ من داخلِ المدينةِ وهو وجنده من  
خارج، ففتَحوا الأبوابَ وقَتَلوا المَلِكِ، وأصبحَ قد عَلَبَ على تلكِ  
المدينةِ، وعلى تلكِ المملكةِ، فَعَظُمَ شأنُهُ، وأعظَمَنهُ الملوكُ، ودُكِرَ  
فيهِم بِالحِزْمِ والكَيْدِ. . .  
وإنما كان سبب ذلك كَلِّه الحمامِ.

حديث آخر في نفع الحمام قال: وأحدّثك عن الحمام أيضاً بحديث آخر في أمر النساء والرّجال وما يصابُ من اللدّة فيهنّ، والصّواب في معاملتهنّ، قال: وذلك أنّ رجلاً أتاني مرّةً فشكا إليّ حاله في فتاةٍ علّقها فتروّجها، وكانت جاريةً غرّاً حسناء، وكانت بكرّاً ذات عقلٍ وحياء، وكانت غريرةً فيما يحسن النساء من استمالة أهواء الرّجال، ومن أخذها بنصيبها من لدّة النساء فلما دخل بها امتنعت عليه، ودافعته عن نفسها، فزاولها بكلّ ضربٍ كان يحسنه من لطفٍ، وأدخل عليها من نسائه ونسائها من ظنّ أنّها تقبل منهنّ، فأعيتهنّ، حتى همّ برفضها مع شدّة وجده بها، فأتاني فشكا ذلك إليّ مرّةً، فأمرته أن يُفردّها ويخلّيها من الناس، فلا يصل إليها أحدٌ، وأنّ يضعف لها الكرامة في اللطف والإقامة لما يصلحها من مطعم ومشربٍ وملبسٍ وطيبٍ وغير ذلك، مما تلهو به امرأةٌ وتُعجّب به، وأنّ يجعل خادمها أعجميّة لا تفهم عنها، وهي في ذلك عاقلة، ولا تفهمها إلاّ بالإيماء؛ حتى تستوحش إليها وإلى كل من يصل إليها من النساء وحتى تشتهي أن تجد من يراجعها الكلام وتشكو إليه وحشة الوحدة، وأنّ يدخل عليها أزواجاً من الحمام، ذوات صورةٍ حسنةٍ، وتخيّل وهدير فيصيرهنّ في بيتٍ نظيف، ويجعل لهنّ في البيت تماريد وبين يدي البيت حجرة

نظيفة، ويفتح لها من بيتها باباً فيصرن نُصَبَ عينا فتلهو بهن وتنظر  
إليهِنَّ، ويجعل دخوله عليها في اليوم دَفْعَةً إلى تلك الحمام، والتسليِّ  
بهِنَّ، والاستدعاء لهِنَّ إلى الهدير ساعةً، ثم يخرج، فإنَّها لا تلبث أنْ  
تتفكَّر في صنيعهِنَّ إذا رأت حالهِنَّ؛ فإنَّ الطَّبِيعَةَ لا تَلَبُّثُ حتى تحرِّكها،  
ويكون أوفقُ المقاعد لها الدنو منهن، وأغلبُ الملاهي عليها النَّظَرُ  
إليهِنَّ؛ لأنَّ الحواس لا تؤدي إلى النَّفس شيئاً من قِبَل السَّمِيعِ،  
والبَصَرِ، والذوقِ، والشمِّ والمجسَّةِ إلاَّ تحرِّك من العَقْلِ قِي قَبُولِ ذلك  
أَوْ رَدِّه، والاحتِيالِ في إصابته أو دَفِعه، والكرهية له أو السُّرور به  
بقدر ما حرَّك النَّفسَ منه، فإذا رأيتَ الغالبَ عليها الدنو منهنَّ،  
والتأمُّلَ لهنَّ، فأدخِلْ عليها امرأةً مجرَّبةً عَزَلَةً تأنس بها، وتفطُنُها  
لصنيعهِنَّ، وتعجُّبُها منهنَّ، وتستميل فِكْرَها إليهِنَّ، وتَصِفُ لها موقِعَ  
اللَّذَّةِ على قدر ما ترى من تحريكِ الشَّهوة، ثمَّ أخرجِ المرأةَ عنها،  
وحاولِ الدنو منها، فإنْ رأيتَ كراهيةً أمسكتُ وأعدتُ المرأةَ إليها،  
فإنها لا تلبث أن تمكِّنك، فإنْ فعلتُ ما تحبُّ وأمكنك بعض الإمكانِ،  
ولم تَبْلُغْ ما تريد فأخبرني بذلك.  
قال: وقلتُ له: مُرِ المرأةَ فلتسألها عن حالها في نفسها، وحالِك  
عندها، فلعلَّ فيها طبيعةً من الحياء تَمْتَعُها من الانبساط، ولعلَّها غرُّ لا

يُلْتَمَسُ مَا قَبَلَهَا مِنَ الْخَرَقِ، ففعل، وأمر المرأة أن تكشفها عن ذات نفسها، فشكت إليها الخرق، فأشارت عليها بالمتابعة، وقالت: اعتبري بما ترين من هذا الحمام؛ فقد ترين الزوجين كيف يصنعان قالت: قد تأملت ذلك فعجبتُ منه، ولستُ أحسبُهُ فقالت لها: لا تمنعي يدهُ ولا تحملي على نفسك الهيبة، وإن وجدتِ من نفسك شيئاً تدعوكِ إليه لدهُ فاصنعيه؛ فإن ذلك يأخذُ بقلبه، ويزيدُ في محبتك، ويحرّك ذلك منه أكثر مما أعطاك، فلم يلبثُ أن نال حاجته وذهبت الحشمة، وسقطت المداراة فكان سببُ الصُّنع لهما، والخروج من الوحشة إلى الأُنس، ومن الحال الدّاعية إلى مفارقتها إلى الحال الدّاعية إلى ملازمتها، والصنُّ بها - الحمام.

## الخوف على النساء من الحمام

وما أكثرَ مِنَ الرِّجالِ، من ليسَ يمتنعُ من إدخالِ الحمامِ إلى نساءه إلاّ هذا الشيء الذي حثّ عليه صاحبُ الفِراسة؛ وذلك أنّ تلك الرُّؤية قد تذكّر وتشهّي وتمحّن، وأكثرُ النِّساءِ بين ثلاثة أحوال: إمّا امرأة قد مات رَوْجُها، فتحريكُ طباعها خِطارُ بأمانتها وعَفافِها، والمُغيبَة في مثل هذا المعنى، والثالثة: امرأةٌ قد طال لُبثها مع رَوْجها؛ فقد ذهب



الاستطراف، وماتت الشهوة، وإذا رأت ذلك تحرَّك منها كلُّ ساكن  
وذكَّرت ما كانت عنه بمندوحة.  
والمرأة سليمة الدين والعرض والقلب، ما لم تهجس في صدرها  
الخواطر، ولم تتوهَّم حالات اللذة وتحرك الشهوة، فأما إذا وقع ذلك  
فعزُّها أضعف العزم، وعزُّها على ركوب الهوى أقوى العزم.  
فأما الأباكر الغريبات فهنَّ إلى أن يؤخذن بالقراءة في المصحف،  
ويُحتالَ لهن حتى يصرنَّ إلى حال التشبيخ والجبن والكَرَّارة وحتى لا  
يسمعن من أحاديث الباه والعزل قليلاً ولا كثيراً - أحوج.  
نادرة لعجوز سنديّة ولقد ركبت عجوز سنديّة ظهر بعير، فلما أقبلَ بها  
هذا البعيرُ وأدبر وطمر، فمخَّضها مرّة مخض السقاء، وجعلها مرّة  
كأنها ترهزُ فقالت بلسانها - وهي سنديّة أعجميّة - أخزى الله هذا  
الدمل؛ فإنه يذكّر بالسرِّ تريد: أخزى الله هذا الجمل، فإنه يذكّر  
بالشر، حدثنا بهذه النادرة محمّد بن عبّاد بن كاسب نادرة لعجوز من  
الأعراب وحدثنا ربّعيُّ الأنصاريُّ: أنَّ عجوزاً من الأعرابِ جَلستُ في  
طريق مكة إلى فتيانٍ يشربون نبيذاً لهم، فسقوها قدحاً فطابت  
نفسها، وتبسمت؛ ثمَّ سقوها قدحاً آخرَ فاحمرَّ وجهها وصحكت،

فسقوها قدحاً ثالثاً فقالت: خبروني عن نسائكُم بالعراق، أيشربن من هذا الشراب؟ فقالوا: نعم، فقالت: زين ورب الكعبة.

## عقاب خصي

وزعم إبراهيم الأنصاري المعتزلي أن عباس بن يزيد بن جرير دخل مقصورة لبعض حواريه، فأبصر حماماً قد قَمَطَ حمامةً، ثم كسَحَ بِذنبه ونَفَشَ ريشه، فقال: لمن هذا الحمام؟ فقالوا: لفلانِ خادمك - يَعْنُونَ خَصِيًّا لَه - فَقَدَّمَهُ فَصَرَبَ عُنْقَهُ.

قول الحطيئة في الغناء وقد قال الحطيئة لفتيان من بني قُرَيْع - وقد كانوا ربَّما جَلَسُوا بِقُرْبِ خَيْمَتِهِ، فَتَعَنَّيَ بَعْضُهُمْ غِنَاءَ الرِّكْبَانِ - فقال: يا بني قُرَيْعِ إِيَّايَ وَالغِنَاءَ؛ فَإِنَّهُ دَاعِيَةُ الرِّزْنِ.

أبو أحمد التمار وصاحب حمام وأما أبو أحمد التمار المتكلم، فإنه شاهدَ صاحبَ حمامٍ في يومٍ مجيءِ حَمَامِهِ مِنْ وَاسِطِ، وَكَانَتْ وَاسِطُ يَوْمئِذٍ الْغَايَةَ، فَرَأَاهُ كَلِمًا أَقْبَلَ طَائِرٌ مِنْ حَمَامِهِ نَعْرَ وَرَقَصَ، فَقَالَ لَهُ: وَاللَّهِ إِنِّي لَأَرَى مِنْكَ عَجَبًا؛ أَرَاكَ تَفْرَحُ بِأَنْ جَاءَكَ حَمَامٌ مِنْ وَاسِطِ، وَهُوَ ذَلِكَ الَّذِي كَانَ، وَهُوَ الَّذِي جَاءَ، وَهُوَ الَّذِي اهْتَدَى؛ وَأَنْتَ لَمْ تَجِئْ وَلَمْ تَهْتَدِ؛ وَحِينَ جَاءَ مِنْ وَاسِطِ، لَمْ يَجِئْ مَعَهُ بِشَيْءٍ مِنْ خَبَرِ أَبِي

حمزة، ولا بشيءٍ من مقاريض واسط، وبزيون واسط، ولا جاء معه  
أيضاً بشيء من خَطْمِيٍّ، ولا بشيءٍ من جوز ولا بشيءٍ من زبيب، وقد  
مَرَّ بكسكَرَ فأين كان عن جِداء كسكر، ودجاج كسكر، وسمك كسكر،  
وصحناة كسكر، ورُبَيْثاء كسكر وشعير كسكر؟ وذهب صحيحاً نشيطاً،  
ورجع مريضاً كسلان، وقد غرمت ما غرمت فقل لي: ما وجه فرحك؟  
فقال: فرحي أنني أرجو أن أبيعهُ بخمسين ديناراً، قال: ومن يشتريه  
منك بخمسين ديناراً؟ قال: فلان، وفلان، فقام ومضى إلى فلان  
فقال: زعم فلان أنك تشتري منه حماماً جاء من واسط بخمسين  
ديناراً؟ قال: صدق، قال: فقل لي لم تشتريه بخمسين ديناراً؟ قال:  
لأنه جاء من واسط، قال: فإذا جاء من واسط فلم تشتريه بخمسين  
ديناراً؟ قال: لأنني أبيع الفرخ منه بثلاثة دنائير، والبيضة بدينارين، قال:  
ومن يشتري منك؟ قال: مثل فلان وفلان، فأخذ تَعْلَهُ ومضى إلى  
فلان، فقال: زعم فلان أنك تشتري منه فرخاً من طائرٍ جاء من  
واسط بثلاثة دنائير، والبيضة بدينارين، قال: صدق، قال: فقل لي: لِمَ  
تشتري فرخة بثلاثة دنائير؟ قال: لأنَّ أباه جاء من واسط، قال: ولِمَ  
تشتريه بثلاثة دنائير إذا جاء أبوه من واسط؟ قال: لأنني أرجو أن  
يجيء من واسط، قال: وإذا جاء من واسط فأبى شيء يكون؟ قال:

يكون أن أبيعَه بخمسين ديناراً، قال: وَمَنْ يَشْتَرِيهِ مِنْكَ بِخَمْسِينَ  
ديناراً؟ قال: فلان، فتركَه ومضى إلى فلانٍ، فقال: زعم فلان أن  
فرخاً من فراخه إذا جاء أبوه من واسط اشتريته أنت منه بخمسين  
ديناراً، قال: صدق، قال: ولم تشتريه بخمسين ديناراً قال: لأنَّه جاء  
من واسط، قال: وإذا جاء من واسط لم تشتريه بخمسين ديناراً؟  
قال: فأعاد عليه مثل قولِ الأوَّل، فقل: لا رزق الله من يشتري حماماً  
جاء من واسط بخمسين ديناراً، ولا رزق الله إلاَّ مَنْ لا يشتريه بقليل  
ولا بكثير.

نوادِر لأبي أحمد التمار وأبو أحمد هذا هو الذي قال - وهو يعظ بعض  
المسرفين - لو أن رجلاً كانت عنده ألف دينار ثم أنفقها كلها  
لذهبت كلها، وإنما سمع قول القائل: لو أن رجلاً عنده ألف دينار  
فأخذ منها ولم يصع عليها لكان خليقاً أن يأتي عليها.  
وهو القائل في قصصه: ولقد عظَّم رسول الله صلى الله عليه وسلَّم  
حقَّ الجارِ، وقال فيه قولاً أستحيي والله من ذكره.  
وهو الذي قال لبعضهم: بلغني أن في بستانك أشياء تهمني، فأحبُّ أن  
تهبَّ لي منه أمراً من أمرِ الله عظيم.  
وكان رجلاً قبلاً أن يكون تماراً.

وزعم سليمان الزجّال وأخوه ثابت، أنّه قبل أن يكون تماراً قال يوماً - وذكر الحمام، حين زهد في بيع الحمام؛ وذكر بعض الملوك - فقال: أمّا فلان فإنه لما بلغني أنه يلعبُ بالحمام سقط من عيني. واللّٰهُ سبّحانه وتعالى أعلم. تمّ القولُ في الحمام، والحمد لله وحده.

## أجناس الدّبان

بسم الله، وبالله والحمد لله ولا حول ولا قوّة إلا بالله، وصلى الله على سيّدنا محمّدٍ النبيّ الأميّ وعلى آله وصحبه وسلّم، وعلى أبرار عترته الطيّبين الأخيار. أوصيك أيّها القارئ المتفهم، وأيها المستمع المنصت المصيخ، ألاّ تحقر شيئاً أبداً لصغر جنته، ولا تستصغر قدره لقلّة ثمنه.

## دلالة الدقيق من الخلق على الله

ثمّ اعلم أنّ الجبل ليس بأدلّ على الله من الحصى، ولا الفلك المشتمل على عالمنا هذا بأدلّ على الله من بدن الإنسان، وأنّ صغير ذلك ودقيقه كعظيمه وجليله، ولم تفترق الأمور في حقائقها، وإنما

افترق المفكِّرون فيها، ومَن أهمل النَّظر، وأغفل مواضع الفَرْق،  
وقصَّ \_\_\_\_\_ ولَّ الح\_\_\_\_\_ دود.

فمن قَبَلِ تَرَكَ النَّظر، ومن قَبَلِ قَطَعَ النَّظر، ومن قَبَلِ النظر من غير  
وجه النَّظر، ومن قَبَلِ الإخلال ببعض المقدِّمات، ومن قَبَلِ ابتداء  
النَّظر من جَهة النَّظر، واستتمام النظر مع انتظام المقدِّمات -  
اختلف \_\_\_\_\_ وا.

فهذه الخصالُ هِيَ جُمَاعُ هذا الباب، إلَّا ما لم نذكره من باب العجز  
والنقص، فإن الذي امتنع من المعرفة من قَبَلِ النُّقصان الذي في  
الخلق \_\_\_\_\_ عَابُ عَالِي حِجْدَة.

وإنما ذكرنا بَابَ الخطأ والصَّواب، والتَّقصير والتكميل، فإياك أن  
تسيءَ الظَّنَّ بشيءٍ من الحيوان لاضطراب الخلق، ولتفاوت  
التركيب، ولأنه مشنوءٌ في العين، أو لأنه قليلُ النَّفعِ والرِّدِّ؛ فإنَّ الذي  
تظُنُّ أنه أقلُّها نفعاً لعله أن يكون أكثرها رِدًّا، فإلَّا يكن ذلك من جهة  
عاجلِ أمرِ الدنيا، كان ذلك في آجلِ أمرِ الدين، وثوابُ الدين وعقابه  
باقيان، ومنافعُ الدنيا فانية زائلة؛ فلذلك قدِّمت الآخرة على الأولى.  
فإذا رأيتَ شيئاً من الحيوان بعيداً من المعاونة، وجاهلاً بسبب  
المكائفة، أو كان مما يشتدُّ ضرره، وتشتدُّ الجِراسة منه، كذوات

الأنبياء من الحيّات والذئاب وذوات المخالب من الأسد والثور،  
وذوات الإبر والشعر من العقارب والدّبر، فاعلم أنّ مواقع منافعها  
من جهة الامتحان، والبلوى، ومن جهة ما أعد الله عزّ وجلّ للصابرين،  
ولمن فهم عنه، ولمن علم أنّ الاختيار والاختبار لا يكونان والدنيا كلّها  
شرٌّ صرفٌ أو خيرٌ محضٌ؛ فإنّ ذلك لا يكون إلّا بالمزوجة بين  
المكروه والمحبوب، والمؤلم والمليّد، والمحقر والمعظّم، والمأمون  
والمخوف، فإذا كان الحظُّ الأوفّر في الاختبار والاختيار، وبهما يتوسل  
إلى ولاية الله عزّ وجلّ، وآيد كرامته، وكان ذلك إنما يكون في الدار  
الممزوجة من الخير والشرّ، والمشاركة والمركبة بالنّفع والضرر،  
المشوبة باليسر والعسر - فليعلم موضع النّفع في خلق العقرب،  
ومكان الصّنع في خلق الحية، فلا يحقرنّ الجرجس والقراش والذّر  
والذّبان ولتقف حتى تتفكّر في الباب الذي رميتُ إليك بجمليته، فإنّك  
ستكثير حمداً لله عزّ وجلّ على خلق الهمج والحشرات وذوات  
السّموم والأنياب، كما تحمده على خلق الأغذية من الماء والنّسيم.  
فإنّ أردت الزّراية والتّحقير، والعداوة والتّصغير، فاصرف ذلك كلّهُ  
إلى الجنّ والإنس، واحقرّ منهم كلّ من عمل عملاً من جهة الاختيار  
يستوجب به الاحتقار، ويستحقُّ به غاية المقت من وجه، والتّصغير من

وَجْهٌ

فإن أنت أبغضت من جهة الطبيعة، واستثقلت من جهة الفطرة  
ضربين من الحيوان: ضرباً يقتلك بسمه، وضرباً يقتلك بشدة أسره  
لم تلم، إلا أن عليك أن تعلم أن خالقهما لم يخلقهما لأذاك، وإنما  
خلقهما لتصبر على أذاهما، ولأن تنال بالصبر الدرجة التي يستحيل أن  
تنالها إلا بالصبر، والصبر لا يكون إلا على حال مكروه، فسواءً عليك  
أكان المكروه سبُعاً وثاباً، أو كان مَرَضاً قاتلاً، وعلى أنك لا تدري لعل  
النزع، والعلز والحشرجة، أن يكون أشد من لدغ حية، وضغمة سيع،  
فإلا تكن له حرقه كحرق النار وألم كالمدهق، فلعل هناك من  
الكرب ما يكون موقعه من النفس فوق ذلك.  
وقد عمنا أن الناس يُسمون الانتظار لوقع السيف على صليف العنق  
جهد البلاء؛ وليس ذلك الجهد من شكل لدغ النار، ولا من شكل ألم  
الضرب بالعصا، فافهم فهمك الله مواقع النفع كما يعرفها أهل  
الحكمة وأصحاب الأخسّاس الصحيحة.  
ولا تذهب في الأمور مذهب العامة، وقد جعلك الله تعالى من  
الخاصة، فإنك مسؤول عن هذه الفضيلة، لأنها لم تجعل لعباً، ولم  
تترك هماً، واصرف بغضك إلى مُريد ظلمك، لا يراقب فيك إلا الله ولا



ذِمَّةً، ولا مودَّةً، ولا كتاباً ولا سنَّةً، وكلما زادك الله عزَّ وجلَّ نعمة ازدادَ عليك حتقاً، ولكَ بُغضاً، وفِرَّ كلَّ الفِرارِ واهزُبْ كلَّ الهرب، واحترسْ كلَّ الاحتراس، ممن لا يراقب الله عزَّ وجلَّ؛ فإنه لا يخلو من أحدٍ أمرين، إمَّا أن يكون لا يعرفُ رَبَّهُ مع ظهور آيَاتِهِ ودلالاتِهِ، وسبوغِ آلائِهِ، وتتابعِ نَعَمائِهِ، ومع برهاناتِ رُسلِهِ، وبيانِ كُتُبِهِ؛ وإمَّا أن يكون به عارفاً وبدينِهِ موقناً، وعليهِ مجترئاً، وبخُرماتِهِ مستخفاً، فإن كان بحقِّهِ جاهلاً فهو بحقِّكَ أجهل، وله أنكر، وإن كان به عارفاً وعليهِ مجترئاً فهو عليك أجراء، ولحقوقك أضيع ولأياديك أكفر. فأمَّا خلق البعوضة والنملة والقراشة والذرة والذبَّان والجعلان، واليعاسيب والجراد - فإياك أن تتهاونَ بشأن هذا الجُند، وتستخف بالآلة التي في هذا الذرِّء؛ قَرَّبَت أمة قد أجلاها عن بلادها النمل، ونقلها عن مساقطِ رؤوسها الذرِّء، وأهلكت بالفأر، وجردت بالجراد، وعُدَّت بالبعوض، وأفسدَ عيشها الذبَّان، فهي جُنْدٌ إن أراد الله عزَّ وجلَّ أن يهلكَ بها قومًا بَعْدَ طُعْيَانِهِمْ وتَجْبُرِهِمْ وَعَتْوِهِمْ؛ ليعرفوا أو يُعرَفَ بهم أن كثيرَ أمرِهِمْ، لا يقوم بالقليلِ من أمرِ الله عزَّ وجلَّ، وفيها بَعْدُ مُعتَبِرٌ لمن اعتبر، وموعظةٌ لمن فكَّر، وصلاحٌ لمن استبصر، وبلوى ومحنة، وعذابٌ ونقمة، وحُجَّةٌ صادقة، وآيةٌ واضحة، وسببٌ إلى

الصَّبْرِ وَالْفِكْرَةَ، وَهَمَا جِمَاعُ الْخَيْرِ فِي بَابِ الْمَعْرِفَةِ وَالِاسْتِبَانَةِ، وَفِي  
بَابِ الْأَجْرِ وَعِظْمِ الْمَثُوبَةِ.  
وَسَتَذَكُرُ جُمْلَةً مِنْ حَالِ الدَّبَّانِ، ثُمَّ نَقُولُ فِي جُمْلَةٍ مَا يَحْضُرُنَا مِنْ  
شَأْنِ الْعِرْبَانِ وَالْجَعْلَانِ

## أمثال في الفراش والذباب

ويقال في موضع الذمِّ والهجاء: مَا هُمْ إِلَّا قَرَاشُ نَارٍ وَذَبَّانُ طَمَعٍ، وَيُقَالُ: أَطْيَشُ مِنْ قَرَاشَةٍ، وَأَزْهَى  
مَنْ ذَبَّانٌ.  
وقال الشاعر:

بني ذوبية رهطاً سلمى      قَرَاشُ حَوْلِ نَارٍ يَصْطَلِينَا  
بحرّها وبقعن فيها      وَلَا يَدْرِبْنَ مَاذَا يَتَّقِينَا  
والعرب تجعل القَرَاشَ وَالنَّحْلَ وَالزَّنَابِيرَ وَالذَّبَّانَ كُلَّهُمَا مِنَ الدَّبَّانِ،  
وَأَمَّا قَوْلُهُمْ: أَزْهَى مِنْ دُبَابٍ فَلَأَنَّ الدَّبَّابَ يَسْقُطُ عَلَى أَنْفِ الْمَلِكِ  
الْجَبَّارِ، وَعَلَى مَوْقِعِ عَيْنَيْهِ لِيَأْكُلَهُ، ثُمَّ يَطْرُدُهُ فَلَا يَنْطَرِدُ.  
معان وأمثال في الأنف والأنف هو النَّحْوَةُ وَمَوْضِعُ التَّجْبُرِ.  
وَكَانَ مِنْ شَأْنِ الْبَطَارِقَةِ وَقَوَادِ الْمُلُوكِ إِذَا أَنْفَوْا مِنْ شَيْءٍ أَنْ  
يَنْجُرُوا كَمَا يَنْجُرُ النَّوْرُ عِنْدَ الدَّبْحِ، وَالْبِرْدُونُ عِنْدَ النَّشَاطِ. وَالْأَنْفُ هُوَ  
مَوْضِعُ الْحُنْزُوانَةِ وَالنُّعْرَةِ، وَإِذَا تَكَبَّرَتِ النَّاقَةُ بَعْدَ أَنْ تُلْفَحَ فَإِنَّهَا تَزِمُّ  
بأنفها.

والأصيد: الملك الذي تراه أبداً من كِبَره مائلَ الوجه، وشُبّه بالأسد  
فقليل أصيد؛ لأنَّ عُنُقَ الأسدِ من عَظْمٍ واحدٍ، فهو لا يلتفتُ إلاَّ بَكُلِّه،  
فلذلك يقال لِلْمُتَكَبِّرِ: إِنَّمَا أَنفِهَ فِي أَسْلُوبٍ، ويقال: أَرَعَمَ اللَّهُ أَنفَهَ  
وَأَذَلَ مَعْطِيسَهَ ويقال: ستفعل ذلك وأنفك راغم والرغام: التراب،  
ولولا كذا وكذا لهشمت أنفك، فإنما يخصون بذلك الأنف؛ لأنَّ الكبر  
إليه يضاف قال الشاعر:

مَنْ يُبَغِضُ أَدْوَادَنَا      رُحْنَ عَلَيَّ بَعْضَائِهِ وَاعْتَدِينَ  
الْبَقْلُ عَلَيَّ أَنفِهِ      لِرُحْنٍ مِنْهُ أَضْلًا قَدْ أَبِينِ  
ويقال بعير مذبوب إذا عرض له ما يدعو الذبَّانَ إلى السُّقُوطِ عليه،  
وهم يعرفون العُدَّةَ إذا فشَّتْ أو أصابَتْ بعيراً بسُقُوطِ الذبَّانِ عليه.

## احتيال الجمالين على السلطان

وبسقوط الذبَّانِ على البعير يحتال الجَمَّال للسلطان، إذا كان قد  
تسَخَّرَ إبْلَهُ وهو لذلك كاره، وإذا كان في جماله الجملُ النفيسُ أو  
الناقةُ الكريمة؛ فإنه يعمد إلى الحَصْخَاضِ فيصبُّ فيه شيئاً من دِيسٍ  
ثم يَطْلِي به ذلك البعير، فإذا وجد الذبَّانِ رِيحَ الدِّيسِ تساقطنَّ عليه،  
فيدَّعي عند ذلك أنَّ به عُدَّةً ويجعلُ الشاهدَ له عندَ السلطان ما يوجد  
عليه من الذبَّانِ فما أكثر ما يتخلصون بكرائم أموالهم بالحيل من

أيدي السلطان ولا يظنُّ ذلك السُّلطانُ إلا أنه متى شاء أن يبيعَ مائةَ  
أعرابي بدرهم فَعَلَ، والغدَّةُ عندهم تُعدي، وطباع الإبل أقبِلُ شيء  
للأدواء التي تُعدي، فيقول الجمال عند ذلك للسلطان: لو لم أخف  
على الإبل إلا بعيري هذا المغدِّ أن يُعديَ لم أبال، ولكني أخاف إعداء  
الغدَّة ومضرتَّها في سائر مالي فلا يزال يستعطفه بذلك، ويحتال له  
به حتى يخلِّي سبيله،

## نفور الدِّبَّان من الكمأة

ويقال إنَّ الدِّبَّان لا يقربَ قدرًا فيه كمأة، كما لا يدخُل سأمُّ أُرص  
بيتاً فيه زعفران.

## الخوف على المكلوب من الدِّبَّان

ومن أصابه عض الكلب الكلبِ حَمَوْا وجهه من سقوط الدِّبَّان عليه، قالوا: وهو أشدُّ عليه من ديب  
البيبر. قال الشاعر وهو يصف سِمَن إبله، وعِظَم أبدانها:  
النَّيْبُ وَالنَّيْبُ دَوْبَةُ إِذَا دَبَّتْ عَلَى الْبَعِيرِ، تَوَرَّمْ، وَرَبَّمَا كَانَ ذَلِكَ سَبَبَ هَلَاكِهِ.

تحققت النجيل كأنما  
مميزات خلقية لبعض الحيوان  
بجلودهنَّ مدارج الأتبار

وليس في الأرض ذبابٌ إلا وهو أقرح، ولا في الأرض بعيرٌ إلا وهو أعلم، كما أنه ليس في الأرض ثورٌ إلا وهو أفطس.

وفي أن كلَّ بعير أعلمُ يقولُ عننرة:

**غانية تركتُ مجدلاً تمكو فريصته كشدق الأعم**  
كأنه قال: كشدق البعير؛ إذ كان كلُّه بعيراً أعلم.  
والشعراء يشبهون الضربة بشدق البعير، ولذلك قال الشاعر:

**ضربة لك تحكي فأراسية المصاعب في أشداقه شنع**  
وقال الكمي:

**قزحى أكلن البربرا**  
وإذا قيل الأعم، علم أنه البعير، كما أنه إذا قيل الأقرح علم أنه الذبان، قال الشاعر:

**أطيش حين تغدو سادراً الطعان من القدوح الأقرح**  
يعني الذبان لأنه أقرح، ولأنه أبدأ يحكُّ بإحدى ذراعيه على الأخرى  
كأنه يقدح بعودي مَرخٍ وعقار، أو عرجون، أو غير ذلك مما يقدح به.  
أخذ الشعراء بعضهم معاني بعض ولا يعلم في الأرض شاعر تقدّم  
في تشبيهه مُصيب تام، وفي معنى غريب عجيب، أو في معنى  
شريف كريم، أو في بديع مُخترع، إلا وكلُّ من جاء من الشعراء من  
بعده أو معه، إن هو لم يعد على لفظه فيسرق بعضه أو يدعيه  
بأسره، فإنه لا يدعُ أن يستعين بالمعنى، ويجعل نفسه شريكاً فيه؛  
كالمعنى الذي تتنازعه الشعراء فتختلف ألفاظهم، وأعاريض  
أشعارهم، ولا يكون أحدٌ منهم أحقَّ بذلك المعنى من صاحبه، أو لعله  
أن يجحد أنه سمع بذلك المعنى قطُّ، وقال إنه خطر على بالي من

غير سماع، كما خطر على بال الأَوَّل، هذا إذا قرَّعوه به، إلا ما كان من عنتره في صفة الذباب؛ فإنه وصفه فأجاد صفته فتحامى معناه جميع الشعراء فلم يعرض له أحد منهم، ولقد عَرَضَ له بعضُ المحدثين ممن كان يحسنُ القول، فبلغ من استكراهه لذلك المعنى، ومن اضطرابه فيه، أنه صار دليلاً على سوء طبعه في الشعر، قال عنتره:

عَلَيْهَا كُلُّ عَيْنٍ تَرَّةٌ      فَتَرَكْنَ كُلَّ حَدِيقَةٍ كَالدَّرْهِمِ  
الذُّبَابَ بِهَا يَغْنِي وَحَدَهُ هَزْجاً كَفِعْلِ الشَّارِبِ الْمَتْرَمِ  
يُحْكُ ذِرَاعَهُ بِذِرَاعِهِ      الْمَكْبَّ عَلَى الزَّنَادِ الْأَجْذَمِ  
قال: يريد فعل الأَفْطَعِ الْمَكْبَّ عَلَى الزَّنَادِ، والأَجْذَمِ: المقطوع

اليدين، فوصف الذباب إذا كان واقعاً ثمَّ حَكَ إحدى يديه بالأخرى، فشَبَّهَهُ عند ذلك برجلٍ مقطوع اليدين، يقدحُ بعودين، ومتى سقط الذُّبَابُ فهو يفعَلُ ذلك.

ولم أسمع في هذا المعنى بشعر أرضاه غير شعر عنتره. قولٌ في حديث وقد كان عندنا في بني العدوية شيخٌ منهم مُنْكَرٌ، شديد العارضة فيه توضع، فسمعني أقول: قد جاء في الحديث: إِنَّ تَحْتَ جَنَاحِ الذُّبَابِ الْيَمِينِ شِفَاءٌ وَتَحْتَ جَنَاحِهِ الْأَيْسَرُ سَمًّا، فإذا سقط في إِتَاءٍ أو في شرابٍ أو في مَرَقٍ فاغمسوه فيه؛ فإنه يرقعُ عند ذلك

الجناح الذي تحته الشفاء، ويحطُّ الجناح الذي تحته السمُّ، فقال: بأبي  
أنت وأمي هذا يجمع العداوة والمكيـدة.  
قصة لتميمي مع أناس من الأزد وقد كان عندنا أناسٌ من الأزد، ومعهم  
ابن حزن، وابن حزن هذا عَدَوِيٌّ من آل عموج، وكان يتعصّب لأصحابه  
من بني تميم وكانوا على نبيد، فسقط ذبابٌ في قدح بعضهم، فقال  
له الآخر: غطّ التميمي، ثم سقط آخر في قدح بعضهم، فقال الباقيون:  
غطّ التميمي فلما كان في الثالثة قال ابن حزن: غطّه فإن كان تميمياً  
رسب، وإن كان أزدياً طفاً، فقال صاحب المنزل: ما يسرّني أنّه كان  
نقصكم حرفاً، وإنما عني أنّ أزدَ عُمان ملاحون.

## ضروب الدِّبَّانِ

والدِّبَّانِ ضروبٌ سيوى ما ذكرناه من الفَراش والنَّحل والرَّنايبر، فمنها الشَّعْراء، وقال الراجز:

شَعْرَاءٌ وَبَيْتٌ مَازِلٌ  
وللكلاب ذبابٌ على جِدةٍ يَتَخَلَّقُ منها ولا يُرِيدُ سِوَاهَا، ومنها دِبَّانُ الكَلأ والرياض، وكلُّ نوعٍ منها يَألفُ  
ما خلق منه، قال أبو النَّجْم:

مَسْتَأْسِدٌ دِبَّانُهُ فِي عَيْطَلِ      يُقْلِنُ لِلرَّائِدِ أَعَشَّبَتْ أَنْزَلِ

## شعر ومثل في طنين الذباب

والعربُ تسمي طنينَ الدِّبَّانِ والبعوض غناءً، وقال الأخطلُ في صفة الثَّور:

تَغْنِيهِ دِبَّانُ الرِّيَاضِ كَمَا عَنَى الغِوَاةُ بِصَنْجٍ عِنْدَ أَسْوَارِ

وقال حَضْرَمِيُّ بن عامرٍ في طنين الذباب:

إهداءُ القَصائدِ بيننا شَتَمَ الصَّدِيقِ وكَثَرَةَ الألقابِ  
تركتُ كأنَّ أمْرِكُ بينهم في كلِّ مَجْمَعَةٍ طنينُ دُبابِ  
ويقال: ما قولي هذا عندك إلا طنينُ دُبابِ.

## سفاد الذباب وأعمارها

وللذُّباب وقتٌ تهيج فيه للسِّفاد مع قصر أعمارها، وفي الحديث: أنَّ  
عُمَرَ الذباب أربعون يوماً ولها أيضاً وقت هَيْجٍ في أكلِ النَّاسِ  
وعَضِّهم، وشُرْبِ دمائهم، وإنما يعرض هذا الدُّبَّان في البيوت عند  
قرب أيَّامها؛ فإنَّ هلاكها يكون بعد ذلك وشيكاً، والدُّبَّان في وقتٍ من  
الأوقات من حتوف الإبل والدوابِّ.

## علة شدة عض الذباب

والذُّباب والبَعوض من ذوات الخراطيم، ولذلك اشتدَّ عَضُّها وقويتْ  
على خَرْقِ الجلود الغلاظ، وقال الراجِز في وصف البعوضة:  
السُّفَاةِ دائِم طنينُها رَكَبَ في خرطومها سِكِّينُها

## ذوات الخراطيم

وقالوا: ذوات الخراطيم من كلِّ شيء أقوى عَصاً وتاباً وفكاً؛ كالذئب  
والخنزير، والكلب، وأمَّا الفيل فإنَّ خرطومه هو أنفه، كما أنَّ لكلِّ



شيءٍ من الحيوان أنفأً، وهو يده، ومنه يُعْتَبَرُ وفيه يجري الصَّوت، كما يُجري الزَّامِرُ الصَّوتَ في القِصْبَةِ بالتَّفْخِ، ومتى تضاعَّطَ الهواءُ صَوَّتَ على قَدْرِ الضُّعْطِ، أو على قدر التُّقْبِ.

## أمثال من الشعر في الذباب

والذباب: اسم الواحد، والذَّبَّان: اسم الجماعة، وإذا أرادوا التَّصْغِيرَ والتَّقْصِيرَ ضربوا بالذَّبَّانِ المثل، قال الشاعر:

الخبزَ عَزَّ لَدَيْكَ حَتَّى حَسِبْتُ الخُبْزَ فِي جَوِّ السَّحَابِ  
رَوْحَتَنَا لَتَدُبُّ عَنَا وَلَكِنْ خِفْتُ مَرَزِيَةَ الذُّبَابِ

وقال آخر:

رَأَيْتُ القَصْرَ أُعْلِقَ بَابَهُ وَتَعَلَّقَتْ هَمْدَانُ بِالأَسْبَابِ  
أَنَّ إِمَارَةَ ابْنِ مِضَارِبٍ لَمْ يَبْقَ مِنْهَا قَيْسٌ أُيْرِ ذَبَابِ

قال بعضهم: لم يذهب إلى مقدار أيره وإنما ذهب إلى مثل قول ابن أحرمر:

كُنْتُ عِنْ قَوْمِي بِمَهْتَضِمٍ لَوْ أَنَّ مَعْصِيًّا لَهُ أَمْرٌ  
مُحَّ البَعُوضِ فَقَدْ أَقْصَرْتُ لَا نُجْحٌ وَلَا عُذْرٌ

ما يَلْعُ من الحيوان وما لا يَلْعُ قال: وليس شيءٌ مما يطير يَلْعُ في الدَّمِ، وإنما يَلْعُ في الدَّمَاءِ من السَّبَّاعِ ذواتُ الأَرَبِ، وأما الطَّيْرُ فَإِنَّهَا تَشْرَبُ حَسَوًّا، أو عَبَّةً بعد عَبَّةً، وَنُغْبَةً بعد نُغْبَةٍ، وسباع الطَّيْرِ قليلة الشُّرْبِ للماءِ، والأسد كذلك، قال أبو زُبَيْدٍ الطَّائِي:

عَنْهُ كَفُّ بِهَا رَمَقٌ طَيْرًا عَكُوفًا كَزُورِ العُرْسِ  
وَنِي وَنِيَّةٌ دَلْفَنَ لَهُ فَهَنَّ مِنْ وَالِغِ وَمُنْتَهَسِ

قال: والطَّيْرُ لا تَلْعُ، وإنما يَلْعُ الذَّبَابُ، وجعله من الطَّيْرِ، وهو وإن كان يطير فليس ذلك من أسمائه، فإذا قد جاز أن يستعير له اسم الطائر، جاز أن يستعير للطير ولغ السَّبَّاعِ فيجعل حشوها ولغاً، وقال الشاعر:

إلى ولغ الدماءِ رماحهم وفي الحرب والهيحاءِ أُسْدُ

## ضراغِمُ

### خصلتان محمودتان في الذباب

قال وفي الذباب خصلتان من الخصال المحمودة. أما إحداهما: فقرب الحيلة لصرف أذاها ودفع مكروهها؛ فمن أراد إخراجها من البيت فليس بيته وبين أن يكون البيت على المقدار الأول من الضياء والكن بعد إخراجها مع السلامة من التأذي بالذبان - إلا أن يُغلق الباب، فإنَّه يتبادرن إلى الخروج، ويتسابقن في طلب الضوء والهرب من الظلمة، فإذا أرخي الستر وفتح الباب عاد الضوء وسلم أهله من مكروه الذباب، فإن كان في الباب شق، وإلا جافى المغلق أحد البابين عن صاحبه ولم يطبقه عليه إطباقاً، وربما خرجن من الفتح الذي يكون بين أسفل الباب والعتبة، والحيلة في إخراجها والسلامة من أذاها يسيرة، وليس كذلك البعوض؛ لأنَّ البعوض إنما يشتدُّ أذاه، ويقوى سلطائه، ويشتدُّ كَلبه في الظلمة، كما يقوى سلطان الذبان في الضياء، وليس يمكنُ النَّاسَ أنْ يُدخلوا منازلهم من الضياء ما يمنع عمل البعوض؛ لأنَّ ذلك لا يكون إلا بإدخال الشمس، والبعوض لا يكون إلا في الصيف، وشمس الصيف لا صبرَ عليها،

وليس في الأرض ضياءً انفصلَ من الشمس إلا ومعه نصيبه من الحرِّ،  
وقد يفارق الحرُّ الضياء في بعض المواضع، والضياء لا يفارق الحرَّ في  
مكــــانٍ مــــن الأــــمــــاكن.  
فإمكان الحيلة في الذباب يسير، وفي البعوض عسير.  
والفضيلة الأخرى: أنه لولا أن الدُّبابة تأكل البعوضة و تطلبها  
وتلتمسها على وجوه حيطان البيوت، وفي الزوايا، لما كان لأهلها فيها  
قرار.

### الحكمة في الذباب

وذكر محمد بن الجهم - فيما خبّرني عنه بعض الثقات - أنه قال لهم  
ذات يوم: هل تعرفون الحكمة التي استفدناها في الدُّباب؟ قالوا: لا.  
قال: بلى، إنها تأكل البعوض وتصيده وتلقطه وتفنيه: وذلك أئبي كنت  
أريد القائلة، فأمرت بإخراج الدُّباب وطرح السُّتر وإغلاق الباب قبل  
ذلك بساعة، فإذا خرجن حصل في البيت البعوض، في سلطان  
البعوض وموضع قوته، فكنتُ أدخلُ إلى القائلة فيأكلني البعوض أكلاً  
شديداً، فأتيتُ ذات يوم المنزل في وقت القائلة، فإذا ذلك البيت  
مفتوح، والسُّتر مرفوع، وقد كان الغلمان أغفلوا ذلك في يومهم، فلما

اضطجعتُ للقائلة لم أجد من البعوض شيئاً وقد كان غضبي اشتدَّ  
على الغلمان، فنمتُ في عافية، فما كان من الغد عاُدوا إلى إغلاق  
الباب وإخراج الدُّباب، فدخلتُ ألتمسُ القائلة، فإذا البعوضُ كثير، ثم  
أغفلوا إغلاق الباب يوماً آخر، فلما رأيتُه مفتوحاً شتمتُهُم فلما صرْتُ  
إلى القائلة لم أجدُ بعوضةً واحدةً، فقلت في نفسي عند ذلك: أراني  
قد نمتُ في يَوْمِي الإِعْقَالِ وَالتَّصْبِيحِ وَامْتِنَعِ مَنِّي النَّوْمُ فِي أَيَّامِ  
التَّحْفُظِ وَالاحْتِرَاسِ، فَلِمَ لَا أُجَرِّبُ تَرْكَ إِغْلَاقِ الْبَابِ فِي يَوْمِي هَذَا،  
فإن نمتُ ثلاثة أيام لا ألقى من البَعُوضِ أَدَى مَعَ فَتْحِ الْبَابِ، عَلِمْتُ أَنَّ  
الصُّوَابِ فِي الْجَمْعِ بَيْنَ الدِّبَانِ وَبَيْنَ الْبَعُوضِ؛ فَإِنَّ الدِّبَانَ هِيَ الَّتِي  
تُغْنِيهِ، وَأَنَّ صَلَاحَ أَمْرِنَا فِي تَقْرِيْبِ مَا كُنَّا نُبَاعِدُ، ففعلتُ ذلك، فإذا  
الأمر قد تمَّ، فصرنا إذا أردنا إخراج الدِّبَانِ أَخْرَجْنَاهَا بِأَيْسَرِ حِيلَةٍ، وَإِذَا  
أردنا إفناء البعوض أفينناها على أيدي الدِّبَانِ بِأَيْسَرِ حِيلَةٍ.  
فَهَاتَانِ حَصُوتَانِ مِّنْ مَّنْ مَّنْاقِبِ الدِّبَانِ.  
طبَّ القوابل والعجائز وكان محمد بن الجهم يقول: لا تتهاونوا بكثير  
مما ترؤون من علاج القوابل والعجائز، فإن كثيراً من ذلك إنما وقع  
إليهنَّ من قدماء الأطباء؛ كالدِّبَانِ يُلْقَى فِي الإِثْمِدِ وَيَسْحَقُ مَعَهُ، فَيَزِيدُ  
ذلك في نور البصر، ونفاذ النظر، وفي تشديد مراكز شعر الأشفار

في حاقات الجفون نفع دوام النظر إلى الخضرة وقلت له مرّة: قيل  
لماسرجويه: ما بال الأكرة وسكّان البساتين، مع أكلهم الكرات  
والتمر، وشروبهم ماء السّواقي على المالح أقلّ النَّاس حُفْشَانًا  
وعميانًا وعُمُشَانًا وعورًا؟ قال: إني فكّرت في ذلك فلم أجد له علّة  
إلا طول وقوع أبصارهم على الخضرة.  
من لا يتقزّز من الذّبان والزنابير والدّود قال ابن الجهم: ومن أهل  
السُّفالة ناسٌ يأكلون الذّبان، وهُم لا يرمدون، وليس لذلك أكلوه وإنما  
هُم كأهل خراسان الذي يأكلون فراخ الزّنابير، والزّنابير ذبان،  
وأصحاب الجبن الرّطب يأخذون الجبنة التي قد نغلت دوداً، فينكتها  
أحدُهم حتّى يخرج ما فيها من الدّود في راحته، ثم يقمّحها كما يقمّح  
السّويق، وكان الفرزدق يقول: ليت أنّهم دفعوا إليّ نصيبي من الذبان  
صّربة واحدة، بشرط أن آكله لراحة الأبد منها، وكان كما زعموا شديد  
التقذّر لها والتقذّر منهنّ.  
دعوتان طريفتان لأحد القصاص وقال ثمامة: تساقط الذّبان في مرق  
بعض القصّاص وعلى وجهه فقال: كثّر اللّهُ بكنّ القبور وحكى ثمامة  
عن هذا القاصّ أنه سمعه بعبّادان يقول في قصّصه: اللّهُمّ منّ علينا  
بالشهادة، وعلى جميع المسلمين.

## قصة في عمر الذبان

وقال لي المكيُّ مرّة: إنّما عمر الذبان أربعون يوماً، قلت: هكذا جاء في الأثر، وكنا يومئذ بواسط في أيام العسكر وليس بَعْدَ أرض الهند أكثر ذباباً من واسط، ولربّما رأيت الحائط وكأنّ عليه مسحاً شديداً السواد من كثرة ما عليه من الذبان، فقلت للمكيّ: أحسب الذبان يموت في كل أربعين يوماً، وإن شئت ففي أكثر، وإن شئت ففي أقلّ، ونحن كما ترى ندوسها بأرجلنا، ونحن ها هنا مقيمون من أكثر من أربعين يوماً، بل منذ أشهر وأشهر، وما رأينا ذباباً واحداً ميتاً، فلو كان الأمر على ذلك لرأينا الموتى كما رأينا الأحياء، قال: إنّ الذبابة إذا أرادت أن تموت ذهبَتْ إلى بعض الخربات، قلت: فإنّنا قد دخلنا كلَّ خربةٍ في الدُّنيا، ما رأينا فيها قط ذباباً ميتاً. للمكي وكان المكيّ طيباً طيب الحُجج، ظريف الحيل، عجيب العلل وكان يدّعي كلَّ شيءٍ على غاية الإحكام، ولم يُحكَمْ شيئاً قطُّ، لا من الجليل ولا من الدقيق، وإذ قد جرى ذكره فسأحدّثك ببعض أحاديثه، وأخبرك عن بعض عله، لتلّهى بها ساعةً، ثم نعود إلى بقية ذكر الذبان.

نوادِر للمكي ادّعى هذا المكيُّ البَصَرَ بالبراذين، ونظَرَ إلى بردون واقف، قد ألقى صاحبه في فيه اللّجام، فرأى فأس اللّجام وأين بلغ منه، فقال لي: العجب كيف لا يذَرُّهُ القيء، وأنا لمو أدخلت إصبعي الصغرى في حلقي لما بقِيَ في جوفي شيءٌ إلاَّ خرج؟ قلت: الآنَ علمتُ أنّك تُبصر ثمَّ مكث البردّون ساعةً يلوکُ لجامه، فأقبل عليَّ فقال لي: كيف لا يبزُدُ أسنانه؟ قلت: إنما يكون علم هذا عند البصراءِ مثلك ثمَّ رأى البردّونَ كلّما لاک اللّجام والحديده سال لعابُه على الأرض فأقبل عليَّ وقال: لولا أنّ البردّونَ أفسدُ الخلق عقلاً لكان ذهنُه قد صفا قلت له: قد كنت أشك في بصرک بالدّوابِّ، فأما بعدَ هذا فلسستُ أشكُّ فيهِ.

وقلت له مرّة ونحن في طريق بغداد: ما بالُ الفرسخ في هذه الطريق يكون فرسخين، والفرسخ يكون أقلّ من مقدار نصفِ فرسخ؟ ففكّر طويلاً ثمَّ قال: كان كِسرى يُقَطِّعُ للنّاس الفراسخ، فإذا صاعَ صاحبُ القطيعة زادوه، وإذا لم يصانع نقصوه. وقلت له مرّة: علمتُ أنّ الشاري حدّثني أنّ المخلوع بعث إلى المأمون بجرابٍ فيه سمسم؛ كأنّه يخبر أنّ عنده من الجند بعددِ ذلك الحبِّ وأنّ المأمون بعث إليه بديكٍ أعور، يريد أنّ طاهر بن الحسين

يَقْتُلُ هَؤُلَاءِ كُلَّهُمْ، كَمَا يَلْقَطُ الدَّيْكَ الحَبَّ قَالَ: فَإِنَّ هَذَا الحَدِيثَ أَنَا  
وَلَدَّتْهُ، وَلَكِنْ انظُرْ كَيْفَ سَارَ فِي الآفَاقِ؟ وَأَحَادِيثُهُ وَأَعَاجِبُهُ كَثِيرَةٌ.

## معارف في الذباب

ثُمَّ رَجَعَ بِنَا القَوْلِ إِلَى صِلَةِ كَلَامِنَا فِي الإِخْبَارِ عَنِ الذَّبَّانِ.  
فَأَمَّا سَكَّانُ بِلَادِ الهِنْدِ فَإِنَّهُمْ لَا يَطْبُخُونَ قَدْرًا، وَلَا يَعمَلُونَ خَلْوَى وَلَا يَكَادُونَ يَأْكُلُونَ إِلَّا لَيْلًا؛ لِمَا يَتَهَافَتُ  
مِنَ الذَّبَّانِ فِي طَعَامِهِمْ، وَهَذَا يَدُلُّ عَلَى عَقَنِ التُّرْبَةِ وَلَحْنِ الهَوَاءِ.  
وَالذَّبَّانِ يَعَاسِبُ وَجُحْلَانُ، وَلَكِنْ لَيْسَ لَهَا قَائِدٌ وَلَا أَمِيرٌ، وَلَوْ كَانَتْ هَذِهِ الأَصْنَافُ الَّتِي يَحْرُسُ بَعْضُهَا  
بَعْضًا، وَتَتَّخِذُ رَئِيسًا يَدْبُرُهَا وَيَحُوطُهَا، إِنَّمَا أُخْرِجَ ذَلِكَ مِنْهَا العَقْلُ دُونَ الطَّبْعِ، وَكَالشَّيْءِ يَخْصُ بِهِ البَعْضُ  
دُونَ الكُلِّ لَكَانَ الذَّرُّ وَالنَّمْلُ أَحَقَّ بِذَلِكَ مِنَ الكِرَاكِيِّ وَالغِرَانِيقِ وَالتُّيْرَانِ، وَلَكَانَ الفَيْلُ أَحَقَّ بِهِ مِنَ  
البَعِيرِ؛ لِأَنَّهُ لَيْسَ لِلذَّرِّ قَائِدٌ وَلَا حَارِسٌ، وَلَا يَعْسُوبٌ يَجْمَعُهَا وَيَحْمِيهَا بَعْضُ المَوَاضِعِ، وَبِوَرْدِهَا بَعْضًا.  
وَكُلُّ قَائِدٍ فَهُوَ يَعْسُوبٌ ذَلِكَ الجَنَسِ المَقُودِ، وَهَذَا الأَسْمُ مُسْتَعَارٌ مِنْ فَحْلِ النَّحْلِ وَأَمِيرِ العَسَّالَاتِ،  
وَقَالَ الشَّاعِرُ وَهُوَ يَعْنِي التَّوْرَ:

ضَرَبَ اليَعْسُوبُ إِذْ عَافَ ذَبَّهَ إِذْ عَافَتِ المَاءَ بِاقِرُّ

وَكَمَا قَالَ عَلِيٌّ بِنِ ابْنِ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، فِي صِلَاحِ الزَّمَانِ  
وَفَسَادِهِ: فَإِذَا كَانَ ذَلِكَ ضَرَبَ يَعْسُوبُ المَدِينِ بِذَبَّهِ.  
وَعَلَى ذَلِكَ المَعْنَى قَالَ حِينَ مَرَّ بِعَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَتَابِ بْنِ أَسِيدِ قَتِيلًا  
يَوْمَ الجَمَلِ: لَهْفِي عَلَيْكَ يَعْسُوبَ قَرِيشَ جَدَعْتَ أَنْفِي وَشَقَيْتَ  
نَفْسِي

قَالُوا: وَعَلَى هَذَا المَعْنَى قِيلَ: يَعْسُوبُ الطُّفَاوَةِ.



أقدر الحيوان وزعم بعض الحكماء أَنَّهُ لا ينبغي أن يكون في الأرض شيءٌ من الأشياء أَنتنٌ من العذرة، فكذلك لا شيءٌ أَقدَرُ من الذِّبَانِ والقمل، وَأَمَّا العذرة فلولا أَنَّها كذلك لكان الإنسان مع طول رُؤْيَيْته لها، وكثيرة شمِّه لها من نفسه في كلِّ يوم صباحاً ومساءً، لقد كان ينبغي أن يكونَ قد ذهبَ تقدُّرُهُ له على الأَيَّامِ، أو تمَحَّقَ، أو دخله النَّقصُ، فثبَّأُها ستين عاماً وأكثرَ وأقلَّ على مقدار واحد من النتن في أنفِ الرَّجل ومنهم من وجدناه بعد مائة عام كذلك، وقد رأينا المِيرانِ والعاداتِ وصنِيعَها في الطِّبَّاعِ، وكيف تهوُّنُ الشَّدِيدَ، وتقلُّلُ الكثير، فلولا أَنَّا فوق كلِّ شيءٍ من النَّتنِ، لَمَا ثَبَّتَتْ هذا النَّباتِ، ولعرض لها ما يعرض لسائر النَّتنِ، وبَعْدَ فلو كانَ إِنَّمَا يَشْمُ شَيْئاً خَرَجَ من جوفِ غيره ولم يخرجَ من جوفِ نفسه، لكان ذلك أشْبَهَ، فإذا قد ثبت في أنفه على هذا المقدار، وهو منه دونَ غيره، وَحَتَّى صارَ يجده أَنتنٌ من رَجِيعِ جميع الأجناسِ - فليس ذلك إلا لما قد حُصِّبَ به من المكروه. وكذلك القول في القمل الذي إِنَّمَا يُخْلَقُ من عَرَقِ الإنسانِ، ومن رائحته ووسخِ جلده، وبخار بدنه، وكذلك الذِّبَانِ المخالطة لهم في جميع الحالات، والملابسةُ لهم دُونَ جميعِ الهوامِّ والهَمَجِ والطَّيرِ والبهائمِ والسُّباعِ حَتَّى تكونَ ألزم من كلِّ ملازم، وأقربَ من كلِّ

قريب؛ حتى ما يمتنع عليه شيء من بدن الإنسان، ولا من ثوبه، ولا من طعامه، ولا من شرابه، حتى لزمه لزوماً لم يلزمه شيء قطُّ كلزومه، حتى إنّه يسافر السّفَرَ البعيدَ من مواضع الخِصْب، فيقطع البراريّ والقفار التي ليس فيها ولا بقربها نباتٌ ولا ماءٌ ولا حيوان، ثم مع ذلك يتوحّى عند الحاجة إلى الغائط في تلك البريّة أن يفارق أصحابه، فيتباعد في الأرض، وفي صحراء خلّاء، فإذا تبرّز فمتى وقع بصره على برازه رأى الذّبّان ساقطاً عليه، فقبّل ذلك ما كان يراه، فإن كان الذّبّان شيئاً يتخلّق له في تلك الساعة فهذه أعجب مما رآه ومما أردنا وأكثر ممّا قلنا، وإن كان قد كان ساقطاً على الصُّخور المُلس، والبِقاعِ الجُرْد، في اليوم القائط، وفي الهاجرة التي تشوي كلَّ شيء، وينتظرُ مجيئه - فهذا أعجب ممّا قلنا، وإن كانت قد تبعته من الأمصار، إمّا طائرةً معه، وإمّا ساقطةً عليه، فلما تبرّز انتقلتُ عنه إلى برازه، فهذا تحقيقٌ لقولنا إنّه لا يلزم الإنسانَ شيءٌ لزوم الذّباب؛ لأنّ العصافير، والخطاطيف، والزرّازير، والسّنانير، والكلابَ وكلَّ شيء يألّف النَّاسَ، فهو يقيمُ مع النَّاسِ، فإذا مضى الإنسانُ في سفره، فصار كالمستوحش، وكالتّازل بالقفار، فكلُّ شيءٍ أهليٌّ يألّف النَّاسَ فإنّما هو مقيمٌ على مثل ما كان من إلفه لهم، لا يتبعهم من

دور النَّاسِ إِلَى مَنْ أزل الوَحش؛ إِلَّا الدَّبَّانُ.  
قال: فإذا كان الإنسانُ يَسْتَقْدِرُ الدَّبَّانَ في مَرَقِه وفي طعامه هذا  
الاستقذار، وبِسْتَقْدِرُ القَمَلَ مع محلِّه من القَرابَةِ والنَّسبَةِ هذا  
الاستقذار فمعلومٌ أنَّ ذلك لم يكن إِلَّا لما خص به من القدر، وإلَّا  
فبدون هذه القرابَةِ وهذه الملبسَةِ، تطيبُ الأنفُ عن كثيرٍ من  
المحبوب.

إِلْحاحُ الدُّبابِ قال: وفي الدَّبَّانِ حُبْرٌ آخَرُ: وذلك أَنَّهُنَّ رَبَّما تَعَوَّدَنَ  
المبيتَ على حُوصِ قَسيلَةٍ وأقلاها من فِساءِ الدُّورِ، أو شجرةٍ، أو  
كَلَّةٍ، أو بابٍ، أو سقفِ بيتٍ، فيُطَرَدْنَ إذا اجتمعن لوقتِهِنَّ عند المساءِ  
ليلتين أو ثلاث ليالٍ، فيتفرقن أو يهجرن ذلك المكانَ في المُسْتَقْبَلِ،  
وَإِنْ كانَ ذلك المكانُ قريباً، وهو لهنَّ معرَّضٌ، ثمَّ لا يدعُنَّ أن يلمِسُنَّ  
مبيتاً غيرَه، ولا يعرض لهنَّ من اللِّجاجِ في مثل ذلك، مثلُ الذي يعرض  
لهنَّ من كثرة الرُّجوعِ إلى العينين والأنفِ بعدَ الدَّبِّ والطَّرْدِ، وبعدَ  
الاجتهادِ في ذلك.

أذى الدباب ونحوها وقال محمد بن حرب: ينبغي أن يكون الدَّبَّانُ  
سُمًّا تاقِعاً؛ لأنَّ كُلَّ شيءٍ يشتدُّ أذاه باللمس من غيره، فهو بالمداخلة  
والملبسة أَجْدُرُّ أن يؤذي، وهذه الأفاعي والثعابين والجرَّارات قد

تمسُّ جلودها ناسٌ فلا تضرُّهم إلاَّ بأن تلبسَ إبرةَ العقربِ وتابُّ الأفعى الدَّم ونحن قد نجد الرَّجُلَ يدُخُلُ في حَزَقِ أنفه ذَبَابٌ، فيجولُ في أوله من غير أن يجاوزَ ما حاذى روثةَ أنفه وأرنبته فيخرجه الإنسانُ من جوفِ أنفه بالتَّفِيحِ وشِدَّةِ النَّفَسِ ولم يكن له هنالك لُبْتُ، ولا كان منه عضٌّ، وليس إلا ما مسَّ بقوائمه وأطراف جناحيه، فيقع في ذلك المكان من أنفه، من الدَّغْدَغَةِ والأكَالِ والحكَّةِ، ما لا يصنع الحَرْدَلُ وبَصَلُ النَّرْجِسِ، ولبنُ التَّيْنِ، فليس يكون ذلك منه إلاَّ وفي طبعه من مضادَّةِ طباعِ الإنسان ما لا يبلغه مضادَّةُ شيءٍ وإن أفرط. قال: وليس الشُّانُ في أنَّه لم ينحُس، ولم يجرح، ولم يخزُ ولم يُعْضَّ، ولم يغمز، ولم يخدش، وإنَّما هو على قدرِ منافرةِ الطُّبَاعِ للطُّبَاعِ، وعلى قدرِ القَرَابَةِ والمشاكلةِ.

## الأصوات المكروهة

وقد نجدُ الإنسانَ يغمُّمُ بِنَفْسِهِ الفتيلةَ وصوتها عندَ قربِ انطفاءِ النارِ، أو لبعضِ البَلَلِ يكون قد خالط الفتيلةَ، ولا يكون الصوتُ بالشَّدِيدِ، ولكنَّ الاغتمامَ به، والتكرُّهَ له ويكونُ في مقدارٍ ما يعتربه من أشدِّ الأصواتِ، ومن ذلك المكروهُ الذي يدخلُ على الإنسانِ من عَطِيْطِ

النَّائِمِ، وليست تلك الكراهة لعلَّة الشَّدَّةِ والصَّلابة، ولكن من قِبَلِ الصُّورَةِ والمقدار، وإن لم يكن من قبل الجنس، وكذلك صوت احتكاك الأجرِّ الجديدِ بعِضِه ببعض، وكذلك شجر الآجامِ عَلى الأجرافِ؛ فإنَّ النَّفسَ تكرهُه كما تكرهُ صوت الصَّاعقة، ولو كان عَلى ثِقَّةٍ من السَّلامة من الاحتراق، لَمَّا احتقَل بالصَّاعقةِ ذلك الاحتفال، ولعلَّ ذلك الصَّوت وحده ألا يقتله.

فَأَمَّا الَّذِي نشاهدُ اليومَ الأمرَ عليه، فإنَّه متى قُرِبَ منه قتله، ولعلَّ ذلك إنَّما هو لأنَّ الشَّيْءَ إذا اشتدَّ صَدْمُهُ فَسَخَّ القوَّةُ أو لعلَّ الهواءَ الَّذِي فيه الإنسانُ والمحيطُ به أن يحمى ويستحيلَ ناراً للَّذي قد شارك ذلك الصَّوتَ من النَّارِ، وهم لم يجدوا الصَّوتَ شديداً جداً إلاَّ ما خالطَ منه النَّارَ.

ما يقتاتُ بالذُّبابِ وقال ابن حرب: الذُّبَّانُ قوْتُ خُلُقٍ كثيرٍ من خلقِ الله عزَّ وجلَّ، وهو قوْتُ الفراريجِ، والخفافيشِ، والعنكبوتِ، والخُلْدِ، وضروبٍ كثيرةٍ من الهَمَجِ، همجِ الطيرِ، وحشراتِ السَّبَاعِ، فَأَمَّا الطَّيْرُ والسُّودَانِيَّاتِ، والحَصَانِيَّاتِ، والشاهمُزكاتِ، وغير ذلك من أصنافِ الطَّيْرِ؛ وَأَمَّا الصَّبَاعُ - فإنَّها تأكل الجيفَ، وتدع في أفواهاها فُضُولاً، وتفتَحُ أفواهاها للذُّبَّانِ، فإذا احتشَّتْ ضَمَّتْ عليها، فهذه إنَّما تصيد

الدَّبَّانَ بنوعٍ واحدٍ، وهو الاختطافُ والاختلاس، وإعجالها عن الوثوب  
إذا تلقَّطته بأطراف المناقير، أو كبعض ما ذكرنا من إطباق الفم  
عليه

فأمَّا الصَّيْدُ الذي ليس للكلب، ولا لعنَّاق الأرض، ولا للفهد، ولا لشيءٍ  
من ذوات الأربع مثله في الجِدْق والحَنَل والمدارة، وفي صواب  
الوثبة، وفي التسدُّر وسرعة الخطف، فليس مثل الذي يقال له  
الليث، وهو الصَّنْف المعروف من العناكب بصيد الدَّبَّان؛ فإنَّك تجده  
إذا عاين الدَّبَّان ساقطاً، كيف يَلْطَأ بالأرض، وكيف يسكُن جميع  
جوارحه للوثبة، وكيف يؤخَّر ذلك إلى وقت الغرَّة، وكيف يريها أنَّه عنها  
لاه؛ فإنَّك ترى من ذلك شيئاً لم تر مثله من فهد قطُّ، وإن كان الفهدُ  
موصفاً منعوتاً

واعلم أنَّه قد ينبغي ألاَّ يكونَ في الأرض شيءٌ أصيدُ منه؛ لأنَّه لا يطير،  
ولا يصيدُ إلاَّ ما يطير ويصيدُ طائراً شديداً الحذر، ثمَّ يصيدُ صياداً لأنَّ  
الدَّبَّاب يصيد البعوض، وخديعتك للخداع أعجب، ومكرك بالماكر  
أغرب فكذاك يكون صيدُ هذا الفن من العنكبوت.  
وزعم الجرداني أنَّ الوزغَ تخيلُ الدَّبَّان، وتصيدها صيداً حسناً شبيهاً  
بصيد الليث.

قال: والزُّبُور حريصٌ على صيدِ الدَّبَّانِ، ولكنه لا يطمع فيها إلا أن تكون ساقطةً على حَرِيٍّ، دونَ كلِّ تمرٍ وعسلٍ؛ لشِدَّةِ عجبها بالحُرِّ، وتشاغلها به فعند ذلك يطمعُ فيه الزُّبُور ويصيده، وزعم الجرداني وتابعه كيسان: أنَّ الفهدَ إنما أخذَ ذلكَ عن اللَّيْثِ، ومتى رآه الفهدُ يصيد الدَّبَّانَ حتى تَعَلَّمَ منه؟ فظننت أنَّهما قلداً في ذلك بعضَ مَنْ إذا مَدَحَ شيئاً أسرف فيه.

### تقليد الحيوان للحيوان

ويزعمون أنَّ السَّبْعَ الصَّيُودَ إذا كان مع سبَعٍ هو أصيْدُ منه، تَعَلَّمَ منه وأخذَ عنه، وهذا لم أحقِّه، فأما الذي لا أشكُّ فيه فإنَّ الطائرَ الحَسَنَ الصَّوْتِ المَلْحَنَ، إذا كان مع نوائحِ الطَّيْرِ ومغنيَّاتها، فكان بقربِ الطَّائِرِ من شِكله، وهو أحذق منه وأكرز وأمهر، جاوبَه وحكاه، وتعلَّم منه، أو صنَعَ شيئاً يقوم مقامَ التعلُّمِ.

### تعليم البراديين والطيور

والبرذون يُراض فيعرف ما يراد منه، فيعين على نفسه، وربّما استأجروا للطير رجلاً يعلمها، فأما الذي رأيته أنا في البلايل، فقد رأيته رجلاً يدعى لها فيطارحها من شكل أصواتها.

## ما يخترع الأصوات واللحون من الطير

وفي الطير ما يخترع الأصوات واللحون التي لم يُسمع بمثلها قط من المؤلف للحون من الناس؛ فإنه ربّما أنشأ لحناً لم يمرّ على أسماع المغيّين قَطُّ. وأكثر ما يجدون ذلك من الطير في القماري، وفي السُّودانيات، ثم في الكرارزة، وهي تأكل الذبان أكلاً ذريعاً.

## اللجوج من الحيوان

ويقال إن اللجاح في ثلاثة أجناسٍ من بين جميع الحيوان: الخنفساء، والذباب، والدودة الحمراء؛ فإنها في إبان ذلك تروم الصُّعود إلى السقف، وتمرُّ على الحائط الأملس شيئاً قليلاً فتسقط وتعود، ثم لا تزال تزداد شيئاً ثم تسقط، إلى أن تمضي إلى باطن السقف، وربما سقطت ولم يبق عليها إلا مقدار إصبع، ثم تعود.



والخنفساء تُقْبِلُ قَبْلَ الْإِنْسَانِ فَيَدْفَعُهَا، فَتَبْعُدُ بِقَدْرِ تَلِكِ الطَّرْدَةِ  
وَالدَّفْعَةِ ثُمَّ تَعُودُ أَيْضاً، فَيَصْنَعُ بِهَا أَشَدَّ مِنْ تَلِكِ ثُمَّ تَعُودُ، حَتَّى رُبَمَا كَانَ  
ذَلِكَ سَبَباً لَغَضَبِهِ، وَيَكُونُ غَضَبُهُ سَبَباً لِقَتْلِهَا.

## لجاج الخنفساء واعتقاد المفاليس فيها

وما زالوا كذلك، وما زالت كذلك، حَتَّى سَقَطَ إِلَى الْمَفَالِيسِ أَنَّ  
الخنافسَ تجلب الرِّزْقَ، وَأَنَّ دَنَوَّهَا دَلِيلٌ عَلَى رِزْقِ حَاضِرٍ: مِنْ صِلَةٍ،  
أَوْ جَائِزَةٍ، أَوْ رِبْحٍ، أَوْ هَدِيَّةٍ، أَوْ حِظٍّ، فَصَارَتِ الْخِنَافِسُ إِذَا دَخَلَتْ فِي  
قَمُصِهِمْ ثُمَّ نَفَذَتْ إِلَى سَرَائِلَاتِهِمْ لَمْ يَقُولُوا لَهَا قَلِيلاً وَلَا كَثِيراً،  
وَأَكْثَرَ مَا عِنْدَهُمَ الْيَوْمَ الدَّفْعُ لَهَا بِبَعْضِ الرَّفْقِ، وَيَظُنُّ بَعْضُهُمْ أَنَّهُ إِذَا  
دَافَعَهَا فَعَادَتْ، ثُمَّ دَافَعَهَا، فَعَادَتْ، ثُمَّ دَافَعَهَا فَعَادَتْ - أَنَّ ذَلِكَ كَلِمَا  
كَانَ أَكْثَرَ، كَانَ حِظُّهُ مِنَ الْمَالِ الَّذِي يُؤَمِّلُهُ عِنْدَ مَجِيئِهَا أَجْزَلَ.  
فَانظُرْ، أَيَّةَ وَاقِيَةٍ وَأَيَّةَ حَافِظَةٍ، وَأَيُّ حَارِسٍ، وَأَيُّ حَصَنِ أَنْشَاءِ لَهَا  
هَذَا الْقَوْلِ وَأَيُّ حِظٍّ كَانَ لَهَا حِينَ صَدَّقُوا بِهَذَا الْخَبَرِ هَذَا التَّصْدِيقِ  
وَالطَّمَعُ هُوَ الَّذِي أَثَارَ هَذَا الْأَمْرَ مِنْ مَدَافِنِهِ، وَالْفَقْرُ هُوَ الَّذِي اجْتَذَبَ  
هَذَا الطَّمَعُ وَاجْتَلَبَهُ، وَلَكِنْ الْوَيْلُ لَهَا إِذَا أَلْحَتْ عَلَى عَنِيٍّ عَالِمٍ،  
وَخَاصَّةً إِنْ كَانَ مَعَ جِدَّتِهِ وَعِلْمِهِ حَدِيداً عَجُولاً.

اعتقاد العامة في أمير الدَّبَّان وقد كانوا يقتلون المذبابَ الكبير  
الشديد الطنين الملحَّ في ذلك، الجهير الصوت، الذي تسميه العوامُّ:  
أمير الدَّبَّان، فكانوا يحتالون في صرفه وطرده وقتله، إذا أكرَبَهُمْ  
بكثره طنينه وزَجَله وهماهما فإِنَّه لا يفتر، فلَمَّا سقط إليهم أَنَّهُ  
مبشَّرٌ بقدومِ غائبٍ وُبرء سقيم، صاروا إذا دخل المنزلَ وأوسَعَهُمْ  
شَرًّا، لَمْ يَهْجُوه أَحَدٌ مِنْهُمْ.  
وإذا أرادَ اللهُ عزَّ وجلَّ أن يُنسىَ في أَجلِ شيءٍ من الحيوان هَيَّأَ  
لذلك سبباً، كما أَنَّهُ إذا أراد أن يقصرَ عمره وَيَحِينَ يَوْمَهُ هَيَّأَ لذلك  
سبباً، فتعالى اللهُ علوًّا كـبـيراً.  
ثمَّ رَجَعَ بنا القولُ إلى إلحاحِ الدَّبَّان. عبد الله بن سوار وإلحاح  
الذباب كان لنا بالبصرة قاض يقال له عبدُ اللهِ بنُ سوار، لم يَرَ  
النَّاسُ حاكماً قطُّ ولا زِمِّيَّاً ولا رَكِيناً، ولا وقوراً حليماً، ضبط من  
نفسه ومَلَك من حركته مثلَ الذي ضَبَطَ ومَلَك، كان يصلي الغداةَ  
في منزله، وهو قريب الدَّار من مسجده، فيأتي مجلسه فيحتبي ولا  
يَتَكَي، فلا يزالُ منتصباً ولا يتحرَّك له عضوٌ، ولا يلتفت، ولا يحلُّ  
حُبُوتَه، ولا يحوِّل رجلاً عن رجل، ولا يعتمد على أحدٍ شَقِيه، حَتَّى  
كأنَّه بناءٌ مبنِيٌّ، أو صخرةٌ منصوبة، فلا يزال كذلك، حَتَّى يقوم إلى

صلاة الظهر ثمَّ يعودُ إلى مجلسه فلا يزال كذلك حتى يقوم إلى العصر، ثمَّ يرجع لمجلسه، فلا يزال كذلك حتى يقوم لصلاة المغرب، ثمَّ رُبما عاد إلى محلّه، بل كثيراً ما كان يكون ذلك إذا بقي عليه من قراءة العهود والشُّروط والوثائق، ثمَّ يُصلي العشاء الأخيرة وينصرف، فالحق يقال: لَمْ يُقَمْ في طول تلك المدَّة والولاية مرَّةً واحدةً إلى الوضوء، ولا احتاجَ إليه، ولا شربَ ماءً ولا غيره من الشُّراب، كذلك كان شأنه في طوال الأيام وفي قصارها، وفي صيفها وفي شتائها، وكان مع ذلك لا يحرك يده، ولا يُشيرُ برأسه، وليس إلا أن يتكلم ثمَّ يوجز، ويبلغ بالكلام اليسير المعاني الكثيرة، فبينا هو كذلك ذات يوم وأصحابه حواليه، وفي السَّماطين بين يديه، إذ سقطَ على أنفه دَبَابٌ فأطال المكث، ثمَّ تحوّل إلى مُوقٍ عينه، فرام الصَّبْر في سقوطه على الموق، وعلى عضّه ونفاذِ خرطومه كما رام من الصبر على سقوطه على أنفه من غير أن يحرك أرنبته، أو يغصنَ وجهه، أو يذبَّ بإصبعه، فلما طال ذلك عليه من المذباب وشغله وأوجعه وأحرَّقه، وقصدَ إلى مكان لا يحتمل التُّغافل، أطبق جفنه الأعلى على جفنه الأسفلِ فلم ينهض، فدعاه ذلك إلى أن والى بين الإطباقِ والفتح، فتنحَّى ريثما سكنَ جفنه، ثمَّ عاد إلى

مؤقّه بأشدّ من مرّته الأولى فَعَمَسَ خرطومهُ في مكان كان قد  
أوهأهُ قبلَ ذلك، فكان احتمالهُ له أضعف، وعجزهُ عن الصّبر في  
الثانية أقوى، فحرّك أجفانهُ وزاد في شدّة الحركة وفي فتح العين،  
وفي تتابع الفتح والإطباق، فتنحّى عنه بقدرٍ ما سكنتُ حرّكته ثمّ عاد  
إلى موضِعِهِ، فما زال يلحُّ عليه حتى استفرغَ صبرَهُ وبلَغَ مجهُوده،  
فلم يجدُ بُدّاً من أن يذبّ عن عينيهِ بيده، ففعل، وعيون القوم إليه  
ترمّقه، وكأنيهم لا يروّته، فتنحّى عنه بقدرٍ ما ردّ يده وسكنتُ حرّكته  
ثمّ عاد إلى موضِعِهِ، ثمّ ألجأهُ إلى أن ذبّ عن وجهه بطرف كفه، ثم  
ألجأهُ إلى أن تابع بين ذلك، وعلم أنّ فعله كلّهُ بعين مَنْ حَصَرَهُ من  
أمنائه وجلسائه، فلما نظروا إليه قال: أشهد أنّ الدّباب أَلحُّ من  
الخنفساء، وأزهى من الغراب وأستغفر الله فما أكثر مَنْ أعجبته  
نفسُهُ فأراد الله عزّ وجلّ أن يعرّفه من ضعيفه ما كان عنه مستوراً  
وقد علمت أنّي عند الناس مِنْ أزمّتِ الناس، فقد غلبني وقصّحتني  
أضعفُ خلقه ثمّ تلا قوله تعالى: "وَإِنْ يَسْأَلُكُمُ الدُّبَابُ شَيْئاً لَّا  
يَسْتَنْقِذُوهُ مِنْهُ ضَعُفَ الطَّالِبِ وَالْمَطْلُوبِ".  
وكان بين اللسان، قليلَ فضولِ الكلام، وكان مهيباً في أصحابه،  
وكان أحدَ مَنْ لم يطعنْ عليه في نفسه، ولا في تعريض أصحابه

لِلْمَنَالِ

قِصَّةٌ فِي إِحْسَابِ الذَّبَابِ فَأَمَّا الَّذِي أَصَابَنِي أَنَا مِنَ الذَّبَّانِ، فَإِنِّي  
خَرَجْتُ أَمْشِي فِي الْمَبَارِكِ أُرِيدُ دَيْرَ الرَّبِيعِ، وَلَمْ أَقْدِرْ عَلَى دَابَّةٍ،  
فَمَرَرْتُ فِي عَشْبٍ أَشْبِهٍ وَنَبَاتٍ مَلْتَفٌ كَثِيرٍ الذَّبَّانِ، فَسَقَطَ ذَبَابٌ  
مِنْ تِلْكَ الذَّبَّانِ عَلَى أَنْفِي، فَطَرَدْتَهُ، فَتَحَوَّلَ إِلَى عَيْنِي فَطَرَدْتُهُ،  
فَعَادَ إِلَى مُوقِ عَيْنِي، فَزِدْتُ فِي تَحْرِيكِ يَدَيَّ فَتَنَحَّى عَنِّي بِقَدْرٍ شَدِيدٍ  
حَرَكَتِي وَذَبَّبِي عَنِّي - وَلِذَبَّانِ الْكَلْبِ وَالغِيَاضِ وَالرِّيَاضِ وَقَعُ لَيْسَ  
لِغَيْرِهَا - ثُمَّ عَادَ إِلَيَّ فَعَدْتُ عَلَيْهِ ثُمَّ عَادَ إِلَيَّ فَعَدْتُ بِأَشَدِّ مِنْ ذَلِكَ،  
فَلَمَّا عَادَ اسْتَعْمَلْتُ كَمِّي فَذَبَبْتُ بِهِ عَنِّي وَجْهِي، ثُمَّ عَادَ، وَأَنَا فِي ذَلِكَ  
أَحْتُ السَّيْرِ، أَوْمَلْتُ بِسُرْعَتِي انْقِطَاعَهُ عَنِّي فَلَمَّا عَادَ نَزَعْتُ  
طَيْلَسَانِي مِنْ عُنُقِي فَذَبَبْتُ بِهِ عَنِّي بَدَلِ كَمِّي؛ فَلَمَّا عَاوَدَ وَلَمْ أَجِدْ  
لَهُ حِيلَةً اسْتَعْمَلْتُ الْعَدْوَ، فَعَدَوْتُ مِنْهُ شَوْطًا تَامًّا لَمْ أَتَكَلَّفْ مِثْلَهُ مَدَّةً  
كَانَتْ صَبِيحًا، فَتَلَقَّانِي الْأَنْدَلِسِيُّ فَقَالَ لِي: مَا لَكَ يَا أَبَا عَثْمَانَ هَلْ مِنْ  
حَادِثَةٍ؟ قُلْتُ: نَعَمْ أَكْبَرُ الْحَوَادِثِ، أُرِيدُ أَنْ أَخْرَجَ مِنْ مَوْضِعٍ لِلذَّبَّانِ  
عَلَيَّ فِيهِ سُلْطَانٌ فَضَحَكَ حَتَّى جَلَسَ، وَانْقَطَعَ عَنِّي، وَمَا صَدَّقْتُ  
بِانْقِطَاعِهِ عَنِّي حَتَّى تَبَاعَدَ جَدًّا.

ذَبَّانِ الْعَسَاكِرِ وَالْعَسَاكِرِ أَبَدًا كَثِيرَةَ الذَّبَّانِ، فَإِذَا ارْتَحَلُوا لَمْ يَرَ

المقيمُ بعدَ الظَّـاعنِ منها إلا اليسيرُ.  
وزعم بعضُ النَّاسِ أَنَّهُنَّ يتبعن العساكرَ، ويسقُطنَ على المتاعِ،  
وعلى جِلالِ الدَّوابِّ، وأعجاز البراذين التي عليها أسبابها حتى تؤدِّي  
إلى المنى الأخرى.  
وقال المكيُّ: يتبعوننا ليؤذونا، ثم لا يركبون إلا أعناقنا ودوابنا.  
تخلِّق الدُّباب ويقول بعضهم: بل إنما يتخلَّق من تلك العُفوناتِ  
والأبخرةِ والأنفاسِ، فإذا ذهبت فبيت مع ذهابها، ويزعمون أَنَّهُم  
يعرفون ذلك بكثرتها في الجنائبِ، وبقلتها في الشمائِلِ.  
قالوا: وربَّما سدَدنا فَمَ الآنيةِ التي فيها الشَّرَابُ بالصَّمامةِ، فإذا  
نزَعناها وجدنا هناك ذباباً صغاراً.  
وقال ذو الرِّمَّة:

أَنَّ القنْعَ صارتِ نِطافه فَراشاً وَأَنَّ البَقْلَ دَاوٍ وَيَابِسُ  
القِنْع: الموضع الذي يجتمع فيه نقران الماء، والفراش: الماء  
الرقيق الذي يبقى في أسفل الحياض.  
وأخبرني رجلٌ من ثقيف، من أصحاب التَّيِّدِ أَنَّهُم رُبَّما فلقوا  
السَّفرجلة أيامَ السَّفرِ لرجلٍ لِثَقْلٍ والأكلِ، وليس هناك من صغار  
الدُّبَابِ شيءٌ البتَّة ولا يُعَدُّهُمْ أَنْ يَرَوْا على مَقاطِعِ السَّفرِ جِلِّ دُباباً

صغاراً، وربّما رصدوها وتأمّلوها، فيجدونها تعظم حتّى تلحق بالكبار  
ففي الساعة الواحدة.

حياة الذّباب بعد موته قال: وفي المذّبان طبع كطبع الجعلان، فهو  
طبعٌ غريب عجيب، ولولا أنّ العيانَ قهَرَ أهلهُ لكانوا خلقاءً أن يدفعوا  
الخبرَ عنه؛ فإنّ الجعلَ إذا دُفِنَ في المورِدِ ماتَ في العين، وفنيت  
حركته كُلُّها، وعاد جامداً تارزاً ولم يفصلِ الناظرُ إليه بيته وبين  
الجعلِ الميِّت، ما أقام على تأمله، فإذا أعيد إلى الروث عادت إليه  
حركة الحياة من ساعته.

وجزّبتُ أنا مثلاً ذلك في الخنفساء، فوجدتُ الأمر فيها قريباً من  
صفة الجعل، ولم يبلغْ كلَّ ذلك إلاّ لقِرابَةِ ما بينَ الخنفساء والجعل.

ودخلت يوماً على ابن أبي كريمة، وإذا هو قد أخرجَ إجانةً كان فيها  
ماءٌ من غسالةِ أوساخ الثياب، وإذا ذبّانٌ كثيرةٌ قد تساقطنَ فيه من  
الليلِ فَمَوَّئِن، هكذا كُنَّ في رأي العين، فَعَبَزَنَ كذلك عَشِيَّتَهُنَّ  
وليلتهنَّ، والعدَّ إلى انتصاف النهار، حتّى انتفخنَ وعفنَّ واسترخينَ؛  
وإذا ابن أبي كريمة قد أعدَّ آجرَةً جديدةً، وقُتاتَ آجرٍ جديد، وإذا هو  
يأخذ الخمسَ منهنَّ والسِتَّ، ثمَّ يضعهنَّ على ظهر الآجرَةِ الجديدة،  
ويذرُّ عليهنَّ من دقاق ذلك الآجرِ الجديد المدقوق بقدر ما يغمرها

فلا تلبث أن يراها قد تحرّكت، ثمّ مشت، ثمّ طارت؛ إلاّ أنّه طيّرانٌ  
ض\_\_\_\_\_ عيفٌ.

ابن أبي كريمة وعود الحياة إلى غلامه وكان ابنُ أبي كريمة يقول:  
لا والله، لا دفنت ميتاً أبداً حتّى يتئنّ قلت: وكيف ذاك؟ قال: إنّ  
غلامي هذا نُصيراً مات، فأخّرتُ دفنه لبعضِ الأمر، فقدم أخوه تلك  
الليلة فقال: ما أظنُّ أخي مات ثمّ أخذ فتيلتين ضخمتين، فروّاهما  
دهناً ثمّ أشعل فيها النار، ثمّ أطفأهما وقربهما إلى منخريه، فلم  
يلبثُ أن تحرّك، وها هو ذا قد تراه قلت له: إنّ أصحاب الحروب  
والذين يغسلون الموتى، والأطباء، عندهم في هذا دلائلٌ وعلامات  
فلا تحمل على نفسك في واحدٍ من أولئك إلاّ تسثّره بالدفن حتّى  
يجي\_\_\_\_\_ ف.

والمجوس يقربون الميت من أنف الكلب، ويستدلون بذلك على  
أمره فعلمت أنّ الذي عايناه من الدّبان قد زادَ في عزمه.  
النُّعْر والنُّعْر: ضربٌ من الدّبان، والواحدةُ نعرة، وربما دخلتُ في  
أنف البعير أو السّبع، فيزُمُّ بأنفه؛ للذي يلقي من المكروه بسببه،  
فالعربُ تشبّه ذا الكبر من الرجال إذا صعّر خده، ورَمَّ أنفه - بذلك  
البعير في تلك الحال، فيقال عند ذلك: فلان في أنفه نعرة، وفي



أَنفِهِ حُنْزَوَانَةٌ، وَقَالَ عَمْرٌ: وَاللَّهِ لَا أَقْلَعُ عَنْهُ أَوْ أَطَيِّرَ نُعْرَتَهُ.  
وَمِنْهَا الْقَمَعُ، وَهُوَ ضَرْبٌ مِنْ ذَبَّانِ الْكَلَأِ، وَقَالَ أَوْسٌ:

### أَنْ اللَّهُ أَنْزَلَ مُزْنَهُ وَعَفَّرُ الظُّبَاءِ فِي الْكِنَاسِ تَقَمَّعٌ

وَذَلِكَ مِمَّا يَكُونُ فِي الصَّيْفِ وَفِي الْحَرِّ.  
أَذَى الذَّبَّانِ لِلدَّوَابِّ وَالذَّبَّانُ جُنْدٌ مِنْ جُنْدِ اللَّهِ شَدِيدُ الْأَذَى، وَرَبَّمَا كَانَ أَضْرٌّ مِنَ الذَّبَّانِ فِي بَعْضِ الزَّمَانِ،  
وَرَبَّمَا أَتَتْ عَلَى الْقَافِلَةِ بِمَا فِيهَا؛ وَذَلِكَ أَنَّهَا تَغْشَى الدَّوَابَّ حَتَّى تَضْرِبَ بِأَنْفِهَا الْأَرْضَ - وَهِيَ فِي  
الْمَفَاوِزِ - وَتَسْقُطُ، فَيَهْلِكُ أَهْلُ الْقَافِلَةِ؛ لِأَنَّهُمْ لَا يَخْرُجُونَ مِنْ تِلْكَ الْمَفَاوِزِ عَلَى دَوَابِّهِمْ - وَكَذَلِكَ تُضْرَبُ  
الرِّعَاءُ بِإِبْلِهِمْ، وَالْجَمَالُونَ بِجَمَالِهِمْ عَنْ تِلْكَ النَّاحِيَةِ، وَلَا يَسْأَلُكُهَا صَاحِبُ دَابَّةٍ، وَيَقُولُ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ:  
بَادِرُوا قَبْلَ حَرَكَةِ الذَّبَّانِ، وَقَبْلَ أَنْ تَتَحَرَّكَ ذَبَّانُ الرِّيَاضِ وَالْكَلَأِ.  
وَالرِّيَاضُ لَا تَكَادُ تَدْمِي إِذَا لَسَعَتْ بِأَذْنَابِهَا، وَالذَّبَّانُ تَغْمَسُ خِرَاطِيمِهَا فِي جَوْفِ لِحُومِ الدَّوَابِّ، وَتَخْرِقُ  
الْجُلُودَ الْغَلَاظَ حَتَّى تَنْزِفَ الدَّمَ نَزْفًا، وَلَهَا مَعَ شِدَّةِ الْوَقْعِ سُمُومٌ، وَكَذَلِكَ الْبَعُوضَةُ ذَاتُ سَمٍّ، وَلَوْ زِيدَ  
فِي بَدَنِ الْبَعُوضَةِ وَزِيدَ فِي حُرْقَةِ لَسْعِهَا إِلَى أَنْ يَصِيرَ بَدَنُهَا كَبَدَنِ الْجَرَّارَةِ - فَإِنَّهَا أَصْغَرُ الْعِقَارِبِ - لَمَا  
قَامَ لَهُ شَيْءٌ، وَلَكِنْ أَعْظَمَ بَلِيَّةً مِنَ الْجَرَّارَةِ النَّصِيبِيَّةِ أَضْعَافًا كَثِيرَةً، وَرَبَّمَا رَأَيْتَ الْحِمَارَ وَكَأَنَّه مُمَعَّرٌ أَوْ  
مَعْصَفَرٌ، وَإِنَّهُمْ مَعَ ذَلِكَ لِيَجْلُلُونَ حُمْرَهُمْ وَيُبْرِقِعُونَهَا، وَمَا يَدْعُونَ مَوْضِعًا إِلَّا اسْتَرَوْهُ بِجَهْدِهِمْ، فَرَبَّمَا  
رَأَيْتَ الْحَمِيرَ وَعَلَيْهَا الرِّجَالُ فِيمَا بَيْنَ عَبْدَسِيِّ وَالْمَذَارِ بِأَيْدِيهِمُ الْمَنَاحِسَ وَالْمَذَابُّ، وَقَدْ ضَرَبَتْ بِأَنْفِهَا  
الْأَرْضَ وَاسْتَسَلَمَتْ لِلْمَوْتِ، وَرَبَّمَا رَأَيْتَ صَاحِبَ الْحَمِيرِ إِذَا كَانَ أَجِيرًا يَضْرِبُهَا بِالْعَصَا بِكُلِّ جَهْدِهِ، فَلَا  
تَتَبَعُ

وَلَيْسَ لَجِلْدِ الْبَقْرَةِ وَالْحِمَارِ وَالْبَعِيرِ عِنْدَهُ خَطَرٌ، وَلَقَدْ رَأَيْتُ ذُبَابًا سَقَطَ عَلَى سَالِفَةِ جِمَارٍ كَانَ تَحْتِي،  
فَضْرَبَ بِأَذْنَبِهِ، وَحَرَّكَ رَأْسَهُ بِكُلِّ جَهْدِهِ، وَأَنَا أَتَأَمَّلُهُ وَمَا يَقْلَعُ عَنْهُ، فَعَمَدْتُ بِالسَّوْطِ لِأَنْجِيهِ بِهِ فَنَزَا عَنْهُ،  
وَرَأَيْتُ مَعَ نَزْوِهِ عَنْهُ الدَّمَ وَقَدْ انْفَجَرَ؛ كَأَنَّهُ كَانَ يَشْرَبُ الدَّمَ وَقَدْ سَدَّ الْمَخْرَجَ بِفِيهِ، فَلَمَّا نَحَّاهُ طَلَعَ.  
وَنِيمَ الذَّبَابُ وَتَزَعُمُ الْعَامَّةُ أَنَّ الذَّبَّانَ يَحْرَأُ عَلَى مَا شَاءَ قَالُوا: لِأَنَّا نَرَاهُ يَحْرَأُ عَلَى الشَّيْءِ الْأَسْوَدِ  
أَبْيَضًا، وَعَلَى الْأَبْيَضِ أَسْوَدًا.  
وَيُقَالُ قَدْ وَنِمَ الذَّبَابُ - فِي مَعْنَى خَرَّ الْإِنْسَانُ - وَعَرَّ الطَّائِرُ، وَصَامَ النَّعَامُ، وَدَرَقَ الْحَمَامُ، قَالَ  
الشَّاعِرُ:

وَتَمَّ الذُّبَابُ عَلَيْهِ حَتَّى كَأَنَّ وَنَيْمَهُ نَقَطُ الْمِدَارِ  
وليس طولُ كُومِ البعيرِ إذا ركب النَّاقَةَ، والخنزيرِ إذا ركب الخنزيرة،  
بأطولَ ساعةٍ من لُبثِ ذكورةِ الذَّبَّانِ عَلَى ظهورِ الإِنَاثِ عِنْدَ السَّفَادِ.  
تخلق الذُّبَابُ والذَّبَابُ من الخَلْقِ الذي يَكُونُ مَرَّةً من السَّفَادِ والوِلَادِ،  
ومَرَّةً من تَعَفُّنِ الأَجْسَامِ والْفَسَادِ الحَادِثِ فِي الأَجْرَامِ.  
والباقلاءُ إِذَا عَتَّقَ شَيْئاً فِي الأَنْبَارِ اسْتَحَالَ كُلُّهُ ذُبَاباً، فَرَبَّمَا أَغْفَلُوهُ فِي  
تلكِ الأَنْبَارِ فيعودونَ إِلَى الأَنْبَارِ وَقَدْ تَطَايَرَ مِنَ الكُؤَى والخُرُوقِ فلا  
يَجْعُدُونَ فِي الأَنْبَارِ إِلاَّ القَشِيرَ.  
والذَّبَابُ الذي يَخْلُقُ مِنَ الباقلاءِ يَكُونُ دوداً، ثُمَّ يَعودُ ذباباً، وما أَكثَرَ ما  
تَرى الباقلاءَ مَثَقِباً فِي داخِلِهِ شَيْءٌ كَأَنَّهُ مَسْحُوقٌ، إِذَا كانَ اللهُ قَدْ  
خَلَقَ مِنْهُ الذَّبَّانَ وَصَيَّرَهُ، وما أَكثَرَ ما تَجَدَّدَ فِيهِ تَأَمُّ الخَلْقِ، ولو تَمَّ  
جناحاه لَقَد كانَ طياراً.  
حَدِيثُ شَيْخٍ عَنِ تَخْلُقِ الذَّبَابِ وَحَدَّثَنِي بَعْضُ أَصْحَابِنَا عَنِ شَيْخٍ مِنْ  
أَهْلِ الحُرَيْبَةِ قالَ: كُنْتُ أَحَبُّ الباقلاءِ، وأرَدْتُ، إِمَّا البَصْرَةَ وإِما بَغدَادَ -  
ذَهَبَ عَنِّي حَفْظُهُ - فَصَرْتُ فِي سَفِينَةٍ جَمَلُها باقلاءٌ، فَقُلْتُ فِي  
نَفْسِي: هَذَا وَاللَّهِ مِنَ الحِظِّ وَسَعَادَةِ الجَدِّ، وَمِنَ التَّوْفِيقِ والتَّسْديدِ،  
ولقد أَرَبِعَ مِنْ وَقَعٍ لَهُ مِثْلُ هَذَا الَّذِي قَدْ وَقَعَ لِي: أَجْلَسْتُ فِي هَذِهِ

السفينة على هذا الباقلاء، فأكلُ منه نيّاً ومطبوخاً ومقلّواً، وأرضُ بعضه وأطحنه، وأجعله مرقاً وإداماً، وهو يُغذو غذاءً صالحاً، ويُسمِنُ، ويزيد في الباه، فابتدأت فيما أمّلته، ودفعنا السفينة، فأنكزْتُ كثرة الدِّبَّان، فلما كان الغدُ جاء منه ما لم أقدر معه على الأكلِ والشربِ، وذهبت القائلة وذهب الحديث، وشُغِلت بالدَّبِّ، على أنهنَّ لم يكنَّ يبرحنَّ بالدَّبِّ، وكنَّ أكثرَ من أنْ أكونَ أقوى عليهنَّ؛ لأنِّي كنتُ لا أطرُدُ مائةً حتى يخلفها مائة مكانها، وهُنَّ في أولِ ما يخرجنَّ من الباقلاء كأنَّ بهنَّ زمانةً فلما كانَ طيرانهنَّ أسوأَ كانَ أسوأَ لحالي، فقلت للملاح: ويلك أيُّ شيءٍ معك حتى صار الذبان يتبعك قد والله أكلتُ وشربتُ قال: أو ليس تعرف القصة؟ قلت: لا والله قال: هي والله من هذه الباقلاء، ولولا هذه البليّة لجانّا من الرُّكاب كما يجيئون إلى جميع أصحاب الحمولات، وما ظننته إلا ممن قد اغتفر هذا للين الكراء، وحبُّ التفرد بالسفينة، فسألته أنْ يقربني إلى بعض الفُرص، حتى أكتري من هناك إلى حيث أريد، فقال لي: أتحبُّ أنْ أزودك منه؟ قلت: ما أحبُّ أنْ ألتقيَ أنا والباقلاء في طريقٍ أبداً. من كره الباقلاء ولذلك كان أبو شمر لا يأكل الباقلاء، وكان أخذ ذلك عن معلّمه معمر أبي الأشعث، وكذلك كان عبد الله بن مسلمة بن محارب والوكيعيُّ

وَمُعَمَّر، وَأَبُو الْحَسَنِ الْمَدَائِنِي، بَرَهَةً مِنْ دَهْرِهِمْ.  
وَكَانَ يَقُولُ: لَوْلَا أَنَّ الْبَاقِلَاءَ عَفِنَ فَاسِدُ الطَّبْعِ، رَدِيءٌ يَخْتَرُ الْمَدَمَ  
وَيَغْلُظُهُ وَيُورِثُ السُّودَاءَ وَكُلَّ بِلَاءٍ - لَمَا وَلَدَ الذَّبَّانُ، وَالذَّبَّانُ أَقْدَرُ مَا  
طَارَ وَمَشَى وَكَانَ يَقُولُ: كُلُّ شَيْءٍ يَنْبِتُ مِنْكَوَسَاءً فَهُوَ رَدِيءٌ لِلذَّهْنِ،  
كَالْبَاقِلَاءِ وَالْبَازِنَجِ الْبَاقِلَاءِ.

وَكَانَ يَزْعَمُ أَنَّ رَجُلًا هَرَبَ مِنْ غَرْمَائِهِ فَدَخَلَ فِي غَايَةِ بَاقِلَاءٍ، فَتَسَرَّ  
عَنْهُمْ بِهَا، فَأَرَادَ بَعْضُهُمْ إِخْرَاجَهُ وَالذَّخُولَ فِيهَا لَطَلْبِهِ، فَقَالَ: أَحْكَمُهُمْ  
وَأَعْلَمُهُمْ كَفَاكُم لِي بِمَوْضِعِهِ شَرًّا.  
وَكَانَ يَقُولُ: سَمِعْتُ نَاسًا مِنْ أَهْلِ التَّجْرِبَةِ يَحْلِفُونَ بِاللَّهِ: إِنَّهُ مَا أَقَامَ  
أَحَدٌ أَرْبَعِينَ يَوْمًا فِي مَنبِتِ بَاقِلَاءٍ وَخَرَجَ مِنْهُ إِلَّا وَقَدْ أَسْقَمَهُ سُقْمًا لَا  
يَزَالُ جِسْمُهُ

وَزَعَمُ أَنَّ الَّذِي مَنَعَ أَصْحَابَ الْأَذْهَانِ وَالتَّرْبِيَةَ بِالسَّمْسِمِ مِنْ أَنْ يَرُبُّوا  
السُّمَّاسِيمَ بِنُورِ الْبَاقِلَاءِ، الَّذِي يَعْرِفُونَ مِنْ فِسَادِ طَبْعِهِ، وَأَنَّهُ غَيْرُ  
مَأْمُونٍ عَلَى الدِّمَاغِ وَعَلَى الْخَيْشُومِ وَالصَّمَاخِ، وَيَزْعَمُونَ أَنَّ عَمَلَهُ  
الَّذِي عَمَلُهُ هُوَ الْقَصْدُ إِلَى الْأَذْهَانِ بِالْفِسَادِ.  
وَكَانَ يَزْعَمُ أَنَّ كُلَّ شَيْءٍ يَكُونُ رَدِيئًا لِلْعَصَبِ فَإِنَّهُ يَكُونُ رَدِيئًا لِلذَّهْنِ،  
وَأَنَّ الْبَصَلَ إِنَّمَا كَانَ يَفْسِدُ الْمِذْنَ؛ إِذْ كَانَ رَدِيئًا لِلْعَصَبِ، وَأَنَّ الْبَلَادِرَ

إنما صار يُصلح العقلَ ويورثُ الحفظَ؛ لأنَّه صالح للعَصَبِ.  
وكان يقول: سواءٌ عليّ أكلت الذِّبَانُ أو أكلت شيئاً لا يوَلِّدُ إلاَّ الذِّبَانَ،  
وهو لا يوَلِّدُه إلاَّ هُوَ، والشَّيْءُ لا يلد الشَّيْءَ إلاَّ وهو أولى الأشياءِ بهِ،  
وأقربها إلى طبعه، وكذلك جميع الأرحامِ، وفيما ينتج أرحام الأرضِ  
وأرحام الحيوانِ، وأرحام الأشجارِ، وأرحام الثَّمَارِ، فيما يتولَّد منها  
وفيها.

### حديث أبي سيف حول حلاوة الخبز

وبينما أنا جالسٌ يوماً في المسجدِ مع فتیانٍ من المسجديينِ مما يلي  
أبواب بني سليم، وأنا يومئذٍ حَدث السنِّ إذْ أقبلَ أبو سيف الممرور -  
وكان لا يؤذني أحداً، وكان كثير الظَّرْفِ من قومِ سَراة - حتى وقف  
علينا، ونحن نرى في وجهه أثر الجِدِّ، ثمَّ قال مجتهداً: واللَّه الذي لا إله  
إلاَّ هو إنَّ الخبزَ لحلو، ثمَّ واللَّه الذي لا إله إلاَّ هو إنَّ الخبزَ لحلو، ثمَّ  
واللَّه الذي لا إله إلاَّ هو إنَّ الخبزَ لحلو، يميناً بآئَةٍ يسألني اللُّهُ عنها  
يوم القيامة فقلت له: أشهد أنَّك لا تأكله ولا تذوقه، فمن أين علمت  
ذلك؟ فإن كنتَ علمت أمراً فعلمتاً مما علمك الله، قال: رأيت الذِّبَانَ  
يَسْقَط على التَّيِّبِ الحلو، ولا يسقط على الحازِر، ويقع على العسلِ

ولا يقع على الخلّ، وأراه عَلَى الخُرء أَكثَرَ منه على التَّمَر، أفتريدون  
حُجَّةً أبين من هذه؟ فقلت: يا أبا سَيْفٍ بهذا وشبهه يُعرفُ فَضْلُ  
الشيخِ عَلَى الشاب.

## تخلق بعض الحيوان من غير ذكر وأنثى

ثُمَّ رَجَعَ بنا القول إلى ذكر خلق الدَّبان من الباقلاء، وقد أنكر ناسٌ  
من العوامِّ وأشباهِ العوامِّ أن يكونَ شيءٌ من الخلق كانَ من غيرِ ذكرٍ  
وأنثى، وهذا جهلٌ بشأنِ العالم، وبأقسامِ الحيوان، وهم يظنُّون أن  
على الدِّين من الإقرار بهذا القولِ مضرَّةٌ، وليس الأمر كما قالوا، وكلُّ  
قولٍ يكذِّبه العيان فهو أفحشُ خطأ، وأسحَفُ مذهباً، وأدلُّ على  
معاندةٍ شديدةٍ أو غفلةٍ مفرطةٍ.  
وإن ذهب الدَّاهِبُ إلى أن يقيس ذلك على مجازِ ظاهرِ الرَّأي، دونَ  
القطعِ على غيبِ حقائقِ العِلل، فأجرَاه في كلِّ شيءٍ - قال قَوْلًا  
يُدفعه العيانُ أيضاً، مع إنكارِ الدِّين له.  
وقد علمنا أن الإنسانَ يأكلُ الطَّعامَ ويشربُ الشَّرابَ، وليس فيهما  
حيَّةٌ ولا دودةٌ، فيُخلق منها في جوفه ألوان من الحيات، وأشكالٌ من  
الدِّيدان من غيرِ ذكرٍ ولا أنثى، ولكن لا بدَّ لذلك الولادِ واللِّقاحِ من أن

يكون عن تناكح طباع، وملاقاة أشياء تشبه بطباعها الأرحام وأشياء تشبه في طبائعها ملقحات الأرحام.

## استطراد لغوي بشواهد من الشعر

وقد قال الشاعر:

فاسْتَنَكَحَ اللَّيْلَ البَهِيمَ فَأَلْقَحَتْ عَنْ هَيْجِهِ واسْتُنْتَجَتْ أحلاماً

وقال الآخر:

الأُمُورُ تَنَّاكَحَتْ فالجود أكرمها نتاجاً

وقال ذو الرُّمَّة:

لَمِداجُ إذا ما تَنَّاكَحَتْ اللَّيْلُ أحلامُ الهدانِ المَثَقَلِ

وقال عليُّ بن مُعَاذ:

طِفْلٌ في حِصانِ الهوا مُسْتَزَلِقٌ من رِجَمِ الشَّمْسِ

وقال ذُكَيْنُ الرَّاجِزِ، أو أبو محمد الفقعسي:

تعلتُ ذميلَ العنيسِ بالسَّوطِ في ديمومةٍ كالنَّرسِ  
عَرَّجَ اللَّيْلَ بروجِ الشَّمْسِ

وقال أمية بن أبي الصلت:

والأرضُ نَوَّخها الإلهُ طَرُوقَةً للماءِ حَتَّى كُلُّ رَئِدٍ مُسْفَدُ  
والأرضُ مَعْقِلنا وكانَتْ أَمَّنا فيها مَقابِرُنا وفيها نولد

وذكر أمية الأَرْضَ فقال:

والطُّوطُ نَزَرُعُه فيها فَتَلَبَّسوا لُصُوفِ نَجْتَرُه ما أَرَدَفِ الوَبْرُ  
القَرارُ فما نَبْغِي بها بَدلاً ما أَرَحَمَ الأَرْضَ إِلاَّ أَنّا كُفْرُ  
اللَّهِ في الأعداءِ نَافِئُعِي الأَطِباءِ لا تَتَوى لها السُّبْرُ  
رَجِعَ إليها فِقال:

خُلِقنا وكانَتْ أَمَّنا خُلِقَتْ ونحنُ أبناؤُها لو أَنّا شُكْرُ

## ما تستنكره العامة من القول

وتقول العرب: الشمسُ أرحمُ بنا فإذا سمع السامعُ منهم أنَّ جالينوسَ قال: عليكم بالبقلَةِ الرحيمة - السُّلق - استثنعه السامع، وإذا سمع قولَ العرب: الشمسُ أرحمُ بنا، وقولَ أميَّة:

## أَرْحَمَ الْأَرْضَ إِلَّا أَنَّنَا كُفْرُ

لم يستثنعه، وهما سواء. فإذا سمع أهل الكتاب يقولون: إِنَّ عيسى ابن مريمَ أَحَدٌ فِي يَدِهِ الْيَمْنَى عُزْقَةٌ، وفي اليسرى كِسْرَةٌ خبز، ثم قال: هذا أَبِي، للماءِ، وهذه أُمِّي، لكسرة الخبز، استثنعه، فإذا سمع قولَ أميَّة:

وَالْأَرْضُ تَوَخَّهَا إِلَهَ طَرُوقَةَ لِلْمَاءِ حَتَّى كُلَّ رَنْدٍ مُسْفَدٌ  
لم يستثنعه، والأصل في ذلك أَنَّ الزَّتَادِيَّةَ أَصْحَابُ الْفَاطِ فِي  
كُتُبِهِمْ، وَأَصْحَابُ تَهْوِيلٍ؛ لِأَنَّهُمْ حِينَ عَدِمُوا الْمَعَانِي وَلَمْ يَكُنْ عِنْدَهُمْ  
فِيهَا طَائِلٌ، مَالُوا إِلَى تَكْلُفٍ مَا هُوَ أَحْضَرُ وَأَيْسَرُ وَأَوْجَزُ كَثِيرًا.

## حُظُوة طوائف من الألفاظ لدى طوائف من الناس

ولكلِّ قَوْمٍ أَلْفَاظٌ حَظِيَّتْ عِنْدَهُمْ، وَكَذَلِكَ كُلُّ بَلِيغٍ فِي الْأَرْضِ  
وَصَاحِبِ كَلَامٍ مَنثورٍ، وَكُلُّ شَاعِرٍ فِي الْأَرْضِ وَصَاحِبِ كَلَامٍ موزونٍ؛  
فلا بد من أن يكون قد لهجَ وألفَ أَلْفَاظًا بِأَعْيَانِهَا؛ لِيَدِيرَهَا فِي كَلَامِهِ،  
وَإِنْ كَانَ وَاسِعَ الْعِلْمِ غَزِيرَ الْمَعَانِي، كَثِيرَ اللَّفْظِ...  
فصار حُظُّ الزَّتَادِيَّةِ مِنَ الْأَلْفَاظِ الَّتِي سَبَقَتْ إِلَى قُلُوبِهِمْ، وَاتَّصَلَتْ  
بَطَبَائِعِهِمْ، وَجَرَتْ عَلَى أَلْسِنَتِهِمُ التَّنَاكُحُ، وَالتَّنَائِجُ، وَالمِزَاجُ وَالتُّورُ  
وَالظُّلْمَةُ، وَالدَّفَاعُ وَالمَنَاعُ، وَالسَّاتِرُ وَالعَامِرُ، وَالمَنحَلُّ، وَالبُطْلَانُ،  
وَالوُجْدَانُ، وَالأَثِيرُ وَالصَّدِيقُ وَعَمُودُ السَّبْحِ، وَأَشْكَالًا مِنْ هَذَا الْكَلَامِ،



فَصَارَ وَإِنْ كَانَ غَرِيبًا مَرْفُوضًا مَهْجُورًا عِنْدَ أَهْلِ مِلَّتِنَا وَدَعْوَتِنَا، وَكَذَلِكَ هُوَ عِنْدَ عَوَامِّنَا وَجَمْهُورِنَا، وَلَا يَسْتَعْمَلُهُ إِلَّا الْخَوَاصُّ وَإِلَّا الْمَتَكَلِّمُونَ.

## اختيار الألفاظ وصوغ الكلام

وأنا أقولُ في هذا قَوْلًا، وأرجو أن يكون مرضياً، ولم أقلُ أرجو لأنني أعلمُ فيه خلاً، ولكِنِّي أخذتُ بآدابِ وجوهِ أهلِ دعوتي ومِلَّتِي، ولغتي، وجزيرتي، وجيرتي؛ وهم العرب، وذلكُ أنَّه قيلُ لَصُحَارِ الْعَبْدِيِّ: الرجل يقول لصاحبه، عِنْدَ تذكيره أياديهِ وإحسانه: أما نحنُ فإِنَّا نرجو أن نكونَ قَدْ بلغنا من أداءِ ما يجبُ علينا مبلغاً مُرضياً، وهُوَ يعلمُ أنَّه قَدْ وَفَّاه حَقَّهُ الْوَاجِبَ، وتفضَّلَ عليه بما لا يجب، قال صُحَار: كانوا يستحبُّون أن يَدْعُوا لِلْقَوْلِ مَتَنَفِّسًا، وأن يتركوا فيه فضلاً، وأن يتجافوا عن حَقِّ إن أرادوه لِمَ يُمْتَنَعُوا مِنْهُ. فلذلك قلتُ أرجو، فافهمُ فَهَمَّكَ اللَّهُ تَعَالَى. فَإِنَّ رَأْيِي فِي هَذَا الصُّرْبِ مِنْ هَذَا اللَّفْظِ، أَنْ أَكُونَ مَا دُمْتُ فِي الْمَعَانِي الَّتِي هِيَ عِبَارَتُهَا، وَالْعَادَةُ فِيهَا، أَنْ أَلْفِظَ بِالشَّيْءِ الْعَتِيدِ الْمَوْجُودِ، وَأَدَعَّ التَّكَلُّفَ لِمَا عَسَى أَلَّا يَسْلُسَ وَلَا يَسْهَلَ إِلَّا بَعْدَ الرِّيَاضِ الطَّوِيلَةِ.

وأرى أن ألفاظ المتكلمين ما دُمَّتْ خائضاً في صناعة الكلام مع خواص أهل الكلام؛ فإن ذلك أفهم لهم عني، وأخفُّ لمؤنتهم عليّ. ولكل صناعةٍ ألفاظٌ قد حصلت لأهلها بعد امتحان سواها، فلم تَلزَقْ بصناعتهم إلاَّ بعد أن كانت مُشاكلاً بينها وبين تلك الصناعة. وقبيحٌ بالمتكلم أن يفتقر إلى ألفاظ المتكلمين في خُطبةٍ، أو رسالةٍ، أو في مخاطبة العوام والتجار، أو في مخاطبة أهله وعبيده وأمه، أو في حديثه إذا تحدث، أو خبره إذا أخبر. وكذلك فإنه من الخطأ أن يجلب ألفاظ الأعراب، وألفاظ العوام وهو في صناعة الكلام داخل، ولكلِّ مقامٍ مقال، ولكلِّ صناعةٍ شكل.

### خلق بعض الحيوان من غير ذكر وأنثى

ثم رجع بنا القول إلى ما يحدث الله عزَّ وجلَّ من خلقه من غير ذكرٍ ولا أنثى، فقلنا: إنَّه لابدُّ في ذلك من تلاقي أمرين يقومان مقامَ الذكر والأنثى، ومقام الأرض والمطر، وقد تقرب الطَّبائعُ من الطَّبائعِ، وإن لم تتحوَّل في جميع معانيها، كالنطفة والدم، وكاللبن والدم.

وقد قال صاحب المنطقي: أقول بقولٍ عامٍّ: لابدُّ لجميع الحيوان من

دم، أو من شيء يشاكل الدَّم، ونحن قد نجد الجيفَ يخلق منها  
الدَّيدان، وكذلك العذرة، ولذلك المجوسِيُّ كلما تبرَّز ذرَّ على بُرازه  
شيئاً من التراب؛ لئلا يخلق منها ديدان، والمجوسِيُّ لا يتغوَّط في  
الآبار والبلاليع لأَنَّهُ بزعمه يُكرم بطنَ الأرض عن ذلك، ويزعم أنَّ  
الأرضَ أحدَ الأركان التي بُنيت العوالمُ الخمسةُ عليها بزعمهم:  
أبرسارس وأبرمارس وأبردس وكارس وحريرة أمنة، وبعضهم يجعل  
العوالم ستة ويزيد أسرس، ولذلك لا يدفنون موتاهم ولا يحفرون  
لهم القبور، ويضعونهم في التَّوَّابيس وضُعاءً.  
قالوا: ولو استطعنا أن نخرج تلك الجيف من ظهور الأرضين  
وأجواف الأحراز، كما أخرجناها من بطون الأرضين لفعلنا، وهم  
يسمُّون يوم القيامة روزرستهار، كأنَّه يوم تقوم الجيف، فمن  
بُغضهم لأبْدان الموتى سمَّوها بأسمج أسمائهم.  
قالوا: وعلى هذا المثال أعظمتنا النَّار والماء، وليسا بأحقَّ بالتعظيم  
من الأرض. وبعد فنحن ننزع الصَّمامة من رؤوس الآنية التي يكونُ  
فيها بعضُ الشراب، فتجد هنالك من الفراش ما لم يكن عن ذكر ولا  
أنثى، وإنما ذلك لاستحالة بعضِ أجزاءِ الهواء وذلك الشراب إذا

انضمَّ عليه ذلك الوعاء، وهذا قولُ ذي الرِّمَّةِ وتأويلُ شعره، حيث يقول:

وَأَبْصَرَنَ أَنْ الْقِنَعَ صَارَتْ نِطْفَةً شَأً وَأَنَّ الْبَقْلَ ذَاوٍ وَيَابِسُ  
وكذلك كلُّ ما تخلق من جُمَارِ النَّخْلَةِ وفيها، من ضروب الخلق  
والطَّيْرِ، وأشباه الطير، وأشباه بناتِ وَرْدَانٍ، والذي يسمَّى بالفارسية  
فادو، وكالسُّوس، والقوادح، والأرضة، وَبَنَاتِ وَرْدَانٍ اللاتي يخلقن من  
الأجذاع والخشب والحشوش، وقد نجد الأرج الذي يكبس فيه اليحُّ  
بخراسان، كيف يستحيل كله صفادِعَ، وما الصَّفَدَعُ بِأَدَلِّ عَلَى اللَّهِ مِنْ  
الْفَقْرِ

---

وإنما يستحيل ذلك التَّلَجُّ إذا انفتح فيه كقَدْرٍ منخر التَّوْر، حَتَّى تَدْخُلَهُ  
الرَّيْحُ التي هي اللاقحة، كما قال الله عزَّ وجلَّ: (وَأَرْسَلْنَا الرِّيَّاحَ  
لِوَاقِحٍ)، فجعلها لاقحةً ولم يجعلها ملقحة.  
ونجد وَسَطَ الدَّهْنَاءِ - وهي أوسع من الدَّوِّ ومن الصَّمَّان - وعلى ظهر  
مسجد الجامع في غبِّ المطر من الصَّفَادِعِ ما لا يُحصى عدده، وليس  
أَنَّ ذلك كان عن ذكرٍ وأنثى، ولكنَّ اللَّهَ خَلَقَهَا تِلْكَ السَّاعَةَ مِنْ طِبَاعِ  
تِلْكَ التُّرْبَةِ وذلك المطر وذلك الهواءِ المحيطة بهما، وتلك الرِّيحُ  
المتحرِّكة، وإن زعموا أن تلك الصَّفَادِعَ كانت في السَّحَابِ، فالذي

أَقْرَبُوا بِهِ أَعْجَبُ مِنَ الَّذِي أَنْكَرُوهُ، وَإِنَّمَا تَقِيمُ الصَّفَادِعُ وَتَتَرَبَّى وَتَتَوَالَدُ فِي مَنَاقِعِ الْمِيَاهِ، فِي أَرْضٍ تَلَاقِي مَاءً، وَالسَّحَابُ لَا يُوَصَفُ بِهَذِهِ الصِّفَةِ، قَدْ نَجَدَ الْمَاءَ يَزِيدُ فِي رِجْلَةٍ وَالْفُرَاتِ فَتَنْزُّ الْبَطُونَ وَالْحَفَائِرَ الَّتِي تَلِيهَا مِنَ الْأَرْضِ، فَيُخْلَقُ مِنْ ذَلِكَ الْمَاءِ السَّمَكُ الْكَثِيرُ، وَلَمْ يَكُنْ فِي تِلْكَ الْحَفَائِرِ الْحَدَثِ، وَلَا فِي بَحْرِ تِلْكَ الْأَرْضِينَ شَيْءٌ مِنْ بِيضِ السَّمَكِ.

وَلَمْ نَجِدْ أَهْلَ الْقَاطُولِ يَشْكُونُ فِي أَنَّ الْفَأْرَ تَخْلُقُ مِنْ أَرْضِهِمْ، وَأَنَّ هُمْ رَبَّمَا أَبْصَرُوا الْفَأْرَةَ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَتِمَّ خُلُقُهَا، فَنَسَبُوا بِأَجْمَعِهِمْ خُلُقَ الْفَأْرِ إِلَى الذَّكَرِ وَالْأُنْثَى، وَإِلَى بَعْضِ الْمِيَاهِ وَالتُّرْبِ وَالْأَجْوَاءِ وَالزَّمَانِ، كَمَا قَالُوا فِي السَّمَكِ، وَالصَّفَادِعِ، وَالْعِقَارِبِ.

### ضعف اطراد القياس والرأي في الأمور الطبيعية

فَإِنْ قَاسَ ذَلِكَ قَائِسٌ فَقَالَ: لَيْسَ بَيْنَ الدَّبَّانِ وَبَنَاتِ وَرْدَانَ وَبَيْنَ الزَّنَابِيرِ فَرْقٌ، وَلَا بَيْنَ الزَّنَابِيرِ وَالدَّبَّرِ وَالْخَنَافِسِ فَرْقٌ، وَلَا بَيْنَ الزَّرَّازِيرِ وَالْخَفَافِيشِ وَلَا بَيْنَ الْعَصَافِيرِ وَالزَّرَّازِيرِ فَرْقٌ فَإِذَا فَرَّغُوا مِنْ خَشَاشِ الْأَرْضِ صَارُوا إِلَى بَغَائِثِهَا ثُمَّ إِلَى أَحْرَارِهَا، ثُمَّ إِلَى الطَّوَاوِيسِ وَالتَّدَارِجِ وَالتَّوَامِجِ حَتَّى يَصْعَدُوا إِلَى النَّاسِ، قِيلَ لَهُمْ: لَيْسَ ذَلِكَ كَذَلِكَ، وَيَنْبَغِي

لكم بَدِيًّا أَنْ تَعْرِفُوا الطَّبِيعَةَ وَالْعَادَةَ، وَالطَّبِيعَةَ الْغَرِيبَةَ مِنَ الطَّبِيعَةِ الْعَامِّيَّةِ، وَالْمُمْكِنَ مِنَ الْمُمْتَنِعِ، وَأَنَّ الْمُمَكِّنَ عَلَى ضَرْبَيْنِ: فَمِنَهُ الَّذِي لَا يَزَالُ يَكُونُ، وَمِنَهُ الَّذِي لَا يَكَادُ يَكُونُ، وَمَا عِلَّةُ الْكَثْرَةِ وَالْقَلَّةِ، وَتَعْرِفُوا أَنَّ الْمُمْتَنِعَ أَيْضًا عَلَى ضَرْبَيْنِ: فَمِنَهُ مَا يَكُونُ لِعِلَّةٍ مَوْضُوعَةً يَجُوزُ دَفْعُهَا، وَمَا كَانَ مِنْهُ لِعِلَّةٍ لَا يَجُوزُ دَفْعُهَا، وَفَصَلَ مَا بَيْنَ الْعِلَّةِ الَّتِي لَا يَجُوزُ دَفْعُهَا وَهِيَ عَلَى كُلِّ حَالٍ عِلَّةٌ، وَبَيْنَ الْاِمْتِنَاعِ الَّذِي لَا عِلَّةَ لَهُ إِلَّا الْعَيْشُ الشَّيْءِ وَجِنْسُهُ.

وَيَنْبَغِي أَنْ تَعْرِفُوا فَرْقَ مَا بَيْنَ الْمَحَالِّ وَالْمُمْتَنِعِ، وَمَا يَسْتَحِيلُ كَوْنُهُ مِنَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ؛ وَمَا يَسْتَحِيلُ كَوْنُهُ مِنَ الْخَلْقِ. وَإِذَا عَرَفْتُمُ الْجَوَاهِرَ وَحُظُوظَهَا مِنَ الْقُوَى، فَعِنْدَ ذَلِكَ فَتَعَاطَوْا الْإِنْكَارَ وَالْإِقْرَارَ، وَإِلَّا فَكُونُوا فِي سَبِيلِ الْمُتَعَلِّمِ، أَوْ فِي سَبِيلِ مَنْ آثَرَ الرَّاحَةَ سَاعَةً عَلَى مَا يُوْرِثُ كَدُّ التَّعَلُّمِ مِنَ رَاحَةِ الْأَبَدِ، قَدْ يَكُونُ أَنْ يَجِيءَ عَلَى جِهَةِ التَّوْلِيدِ شَيْءٌ يَبْعُدُ فِي الْوَهْمِ مَجِيئُهُ، وَيَمْتَنِعُ شَيْءٌ هُوَ أَقْرَبُ فِي الْوَهْمِ مِنْ غَيْرِهِ؛ لِأَنَّ حَقَائِقَ الْأُمُورِ وَمَغْيِبَاتِ الْأَشْيَاءِ، لَا تُرَدُّ إِلَى ظَاهِرِ الرَّأْيِ، وَإِنَّمَا يَرُدُّ إِلَى الرَّأْيِ مَا دَخَلَ فِي بَابِ الْحَزْمِ وَالْإِضَاعَةِ وَمَا هُوَ أَصَوْبٌ وَأَقْرَبُ إِلَى بَيْلِ الْحَاجَةِ، وَلَيْسَ عِنْدَ الرَّأْيِ عِلْمٌ بِالنُّجْحِ وَالْإِكْدَاءِ؛ كَنَحْوِ مَجِيءِ الرَّجَاجِ مِنَ الرَّمْلِ، وَامْتِنَاعِ الشَّبَبِ وَالزَّبَقِ مِنَ

أن يتحوّل في طبع الذهب والفضّة، والزئبق أشبه بالفضّة المايعة من الرّمْل بالزجاج الفرعونيّ، والشّبه الدمشقي بالذهب الإبريز أشبه من الرّمْل بفلق الزجاج النقيّ الخالص الصافي. ومن العجب أنّ الزجاج - وهو مولّد - قد يجري مع الذهب في كثيرٍ مفاخر الذهب؛ إذ كان لا يغيّر طبّعه ماءً ولا أرضاً؛ والفضّة التي ليست بمولدة إذا دفنت زماناً غير طويلٍ استحالت أرضاً، فأما الحديد فإنّه في ذلك سريعٌ غير بطيء.

وقد زعمَ ناسٌ أنّ الفرقَ الذي بينهما إنما هو أنّ كلّ شيءٍ له في العالم أصلٌ وخميرةٌ، لم يكن كالشيء الذي يكتسب ويحتلب ويلقّق ويلزّق، وأنّ الذهب لا يخلو من أن يكون ركناً من الأركان قائماً منذ كان الهواء والماء والنار والأرض، فإن كان كذلك فهو أبعد شيءٍ من أن يولّد الناسُ مثله، وإن كان الذهب إنما حدث في عمق الأرض، بأن يصادف من الأرض جَوْهراً، ومن الهواء الذي في خلالها جَوْهراً، ومن الماء الملايس لها جَوْهراً، ومن النار المحصورة فيها جَوْهراً، مع مقدار من طول مُرور الزمان، ومقدار من مُقابلات البروج، فإن كان الذهب إنما هو نتيجة هذه الجواهرِ على هذه الأسباب، فواجب ألاّ يكون الذهب أبداً إلاّ كذلك.

فيقال لهؤلاء: أرايتم الفأرة التي خُلِقَتْ من صُلْبِ جُرَذٍ ورحم فأرة، وزعمتم أنّها فأرة على مقابلة من الأمور السَّمَاوِيَّةِ والهَوَائِيَّةِ والأَرْضِيَّةِ وكانت نتيجة هذه الخصال، مع استيقاف هذه الصِّفَاتِ؟ أَلَسْنَا قَدْ وَجَدْنَا فأرةً أُخْرَى تَهَيَّأُ لَهَا مِنْ أَرْحَامِ الْأَرْضِيِّينَ، وَمِنْ حَضَانَةِ الْهَوَاءِ، وَمِنْ تَلْقِيحِ الْمَاءِ، وَمِنْ مُقَابَلَاتِ السَّمَاوِيَّاتِ وَالْهَوَائِيَّاتِ، فَالزَّمَانِ أَصَارَ جَمِيعَ ذَلِكَ سَبَبًا لِفَأْرَةٍ أُخْرَى مِثْلَهَا، وَكَذَلِكَ كُلُّ مَا عَدَدْنَاهُ فَمِنْ أَيْنَ يَسْتَحِيلُ أَنْ يَخْلُطَ الْإِنْسَانُ بَيْنَ مَائِيَّةٍ طَبِيعِيَّةٍ وَمَائِيَّةٍ جَوْهَرٍ؟ إِمَّا مِنْ طَرِيقِ التَّبَعِيدِ وَالتَّقْرِيبِ، وَمِنْ طَرِيقِ الظُّنُونِ وَالتَّجْرِيبِ، أَوْ مِنْ طَرِيقِ أَنْ يَقَعَ ذَلِكَ اتِّفَاقًا، كَمَا صَنَعَ النَّاطِفُ السَّاقِطُ مِنْ يَدِ الْأَجِيرِ فِي مُدَّابِ الصُّفْرِ حَتَّى أُعْطَاهُ ذَلِكَ اللَّوْنِ، وَجَلَبَ ذَلِكَ النَّفْعَ، ثُمَّ إِنَّ الرِّجَالَ دَبَّرْتَهُ وَزَادَتْ وَنَقَصَتْ، حَتَّى صَارَ شَبَهًا ذَهَبِيًّا، هَذَا مَعَ التَّوَشَاذِ الْمَوْلَدِ مِنْ الْحَجَرِ السُّودِ.

فلو قلتم: إنّ ذلك قائم الجواز في العقل مطرد في المرأى، غير مستحيل في النظر، ولكننا وجدنا العالم بما فيه من الناس منذ كانا فإنّ الناس يلتمسون هذا وينتصبون له، ويكلفون به، فلو كان هذا الأمر يجيء من وجه الجمع والتوليد والتركيب والتجريب، أو من وجه الاتفاق، لقد كان ينبغي أن يكون ذلك قد ظهر من ألوف سنين



وألوف؛ إذ كان هذا المقدار أقل ما تؤرّخ به الأمم، ولكان هذا مقبولاً غير مردود، وعلى أنه لم يتبين لنا منه أنه يستحيل أن يكون الذهب إلا من حيث وجد، وليس قرب كون الشيء في الوهم بموجب لكونه، ولا بعده في الوهم بموجب لامتناعه. ولو أن قائلاً قال: إن هذا الأمر إذ قد يحتاج إلى أن تتهيأ له طباع الأرض، وطباع الماء، وطباع الهواء، وطباع النار، ومقادير حركات الفلك، ومقدار من طول الزمان، فمتى لم تجتمع هذه الخصال وتكمل هذه الأمور لم يتم خلق الذهب، وكذلك قد يستقيم أن يكون قد تهيأ لواحد أن يجمع بين مائتي شكل من الجواهر، فمزجها على مقادير، وطبخها على مقادير، وأغبها مقداراً من الزمان، وقابلت مقداراً من حركات الأجرام السماوية، وصادفت العالم بما فيه على هيئة، وكان بعض ما جرى على يده اتفاقاً وبعضه قصداً، فلما اجتمعت جاء منها ذهب فوق ذلك في خمسة آلاف سنة مرة، ثم أراد صاحبه المعاودة فلم يقدر على أمثال مقادير طبائع تلك الجواهر، ولم يضبط مقادير ما كان قصداً إليه في تلك المرة، وأخطأ ما كان وقفاً له اتفاقاً، ولم يقابل من الفلك مثل تلك الحركات، ولا من العالم مثل تلك الهيئة، فلم يعد له ذلك. فإن قال لنا هذا القول قائل وقال: بيئوا لي

موضع إحالته، ولا تحتجُّوا بتباعد اجتماع الأمور به، فإننا نقر لكم بتباعدها، هل كان عندنا في ذلك قولٌ مقنع، والدليل الذي تُلج به الصُّدور؟ وهل عندنا في استطاعة النَّاس أن يولِّدوا مثل ذلك، إلاَّ بأن يُعرِّض هذا القول على العقول السليمة، والأفهام الثَّامَّة وتردِّه إلى الرُّسُل والكتب؟ فإذا وجدنا هذه الأمور كلها نافيةً له، كان ذلك عندنا هُوَ المقنع، وليس الشأن فيما يظهر اللُّسان من الشكِّ فيه والتَّجْويز له، ولكن ليردِّه إلى العقل؛ فإنَّه سيَّجده منكرًا ونافياً له، إذا كان العقل سليماً من آفة المرض، ومن آفة التَّخيل.

## ضروب التَّخيل

والتَّخيل ضروب: تخيلٌ من المِرَار، وتخييل من الشَّيْطَان، وتخييل آخر كالرجل يعمد إلى قلبٍ رَطْبٍ لم يتوقَّح، وذهن لم يستمِرَّ، فيَحْمِله على الدقيق وهو بَعْدُ لا يفي بالجليل، ويتخطَّى المقدِّمات متسكعاً بلا أَمارة، فرجع حسيراً بلا يقين، وعَبَّرَ رَمَاتاً لا يعرف إلاَّ الشكوك والخواطر الفاسدة، التي متى لاقَت القلبَ على هذه الهيئة، كانت ثمرتها الحيرة، والقلبُ الذي يفسد في يومٍ لا يداوى في سنة، والبناءُ الذي يُنقَضُ في ساعةٍ لا يبْنَى مثله في شهر. قولهم: نبيدُ يُمنع جانبه ثم رجع بنا القول إلى ذكر الدَّبَّان. قيل لِعَلُّوبه كلبِ المطبخ: أيُّ شيءٍ معنى قولهم: هذا نبيدُ يمنع جانبه؟ قال: يريدون أن الدَّبَّان لا يدنو منه، وكان الرُّقاشي حاضراً فأنشد قول ابن عبدل:

الْعَنكَبُوتُ فِي قَعْرِ دَنِّي      إِنَّ ذَا مِنْ رَزِيَّتِي لَعَظِيمٌ  
قَدْ عَمَزْتُ دَنِي حَيِّي      أَبْصِرَ الْعَنكَبُوتَ فِيهِ يَعْوَمُ  
يُغِيثُهُ الدَّهْرُ إِلَّا      رَبَدُّ فَوْقَ رَأْسِهِ مَرْكُومٌ





فلما نزلنا أخذ بيده ومضى به إلى منزله، فغدّاه وكساه وسقاه، ثمّ قال له: أحببتُ أنْ تخرج البعوضَ من داري، فأما الذبابُ فإني أحتمله، قال: ولم تحتمل الأذى وقد أتاكَ اللهُ بالقرح؟ قال: فافعلْ، قال: لا بدّ لي من أنْ أخلط أدوية وأشتري أدوية قال: فكم تريد؟ قال: أريد شيئاً يسيراً، قال: وكم ذاك؟ قال: خمسون ديناراً، قال: ويحكُ خمسون يقال لها يسير؟ قال: أنتَ ليسَ تشتهي الرّاحة من قدرِ الدّبانِ ولسع البعوضِ ثمّ لبس نعليه وقام على رجليه، فقال له: اقعد، قال: إنْ قعدتُ قبل أنْ آخذها ثمّ اشتريت دواءً بمائة دينار لم تنتفعُ به؛ فإنّي لست أدخّن هذه الدُّخنة، إلّا للذين إذا أمرتهم بإخراجهنّ أخرجوهن، ولا أكتمك ما أريد؛ إنّي لست أقصد إلّا إلى العُمّار، فما هو إلّا أنْ سمعَ بِذكر العُمّار حتى ذهب عقله، ودعا له بالكيس وذهب ليزن الدنانير، فقال له: لا تشقّ على نفسك هاتها بلا وزنٍ عدداً، وإنّما خاف أنْ تحدثَ حادثَةً، أو يقعَ شغلٌ، فتفوت، فعدها وهو زَمِعُ فغلط بعشرة دنانير، فلما انصرف وزنها وعدّها فوجدَ دنانيره تنقص، فبكرَ عليه يقتضيه القَصْل، فضحك أبو حكيم حتّى كاد يموت، ثمّ قال: تسألني عن الفرع وقد استهلك الأصل؟ ولم يزل يختلف إليه ويدافعُه حتّى قال له ثمامة: ويليكَ أمجنونٌ أنت؟ قد ذهب المالُ والسُّخرية

مستورة، فإن نافرته فصحت نفسك، وربحت عداوة شيطانٍ هو والله  
أصرتُ عليك من عُمَارِ بيتك، الذي ليسَ يخرجون عنك الذبابَ والبعوض  
بلا كلفة، مع حقِّ الجوار، قال: هم سكَانِي وجيرانِي، قالوا: لو كان  
سمع منك أبو حكيم هذه الكلمة لكانت الخمسون ديناراً مائة ديناراً!!

## شعر في أصوات الذباب وغنائها

ومما قيل في أصوات الذباب وغنائها، قال المثقَّب العبدِيُّ:

للذَّبَابِ إِذَا تَغَنَّى كَتَغْرِيدِ الْحَمَامِ عَلَى الْعُصُونِ

وقال آخر:

تَغَنَّى فِي عَيَاطِلِهِ ذِبَابُهُ

مَسَارِبُهُ

وقال أبو النجم:

مَنْ زَهَرَ الرَّوْضِ الَّذِي يَكَلُّهُ

تَرَى ذِبَابَهَا تَعَلُّهُ

وقال أيضاً:

وَالشَّيْخُ تَهْدِيهِ إِلَى طَحْمَائِهِ فَالرَّوْضُ قَدْ نَوَّرَ فِي عَرَائِهِ

مُخْتَلَفَ الْأَلْوَانِ فِي أَسْمَائِهِ تَخَالَ الشَّمْسِينَ فِي حَمْرَائِهِ

بِالْوَرْدِ مِنْ صَفْرَائِهِ يَجَاوِبُ الْمَكَاءَ مِنْ مُكَائِهِ

ذِبَابِ الْعُشْبِ فِي دَرْمَائِهِدَعُو كَأَنَّ الْعَقَبَ مِنْ دُعَائِهِ

مُعَنَّ مَدَّ فِي غِنَائِهِ

وقال الشَّمَاخ:

أَلَّا تَخْفَضَ صَوْتَهَا أَهَارِيحُ ذِبَابِنِ عَلَيَّ عُودِ عَوْسَجِ

مَدَى التَّطْرِيْبِ أَوْلَى سَحِيلُ وَأَعْلَاهُ نَشِيحُ

المحشرج

المغثيات من الحيوان والأجناس التي توصف بالغناء أجناسُ الحمام

والبعوض، وأصنف المدبان من المدبر، والنحل، والشعراء، والقمعة

والتُّعْر، وليس لِذَبَّانِ الكلبِ غِنَاءٌ، ولا لما يخرُجُ من الباقلاء، قال  
الشاعر:

عنها بأثيثٍ دَائِلٍ      ذَبَّانِ شَعْرَاءَ وَصِيفٍ مَادِلٍ  
**ألوان الذَّبَّانِ**

وَذَبَّانِ الشَّعْرَاءِ حُمُرٌ، قال: والذَّبَّانِ التي تُهْلِكُ الإبِلَ زُرْقٌ.  
قال الشاعر:

والدَّهْرُ ذو تصفُّقٍ      خَالِيَةً بذِي سَبِيبٍ مَوْنِقٍ  
أصواتِ الذَّبَابِ الأزرقِ      أو من نقانقِ القَلَا المَنْقِنِقِ  
والذَّبَّانِ الذي يسقط على الدواب ضفر.  
وقال أَرْطاة بن سَهَيْة، لُرْمِيل بن أمِّ دينار:

إِنِّي إن أكن لك جازياً عَكَرَ عَلَيْكَ وإن تَرُخَ لا تَسْبِقِ  
أمرؤُ تجد الرِّجالِ عداوتي الرِّكابِ مَن الذَّبَابِ الأزرقِ  
وإذا مرَّ بك الشَّعر الذي يصلح للمثل وللحفظ، فَلَا تُنَسِّ حَطَّكَ من جِفظه.  
وقال المتلمس:

أوانُ العِرْضِ جُنَّ دُبَابُهُ      زنابيُّه والأزرقُ المتلمِّسُ  
وقال ابن مبادَة:

بعثتريسي كأنَّ الدَّبَّيرَ يلسعُها      إذا تغرَّدَ حادٍ خلقها طرب  
**ما يسمَّى بالذَّبَّانِ**

والدليل على أنَّ أجناسَ النَّحلِ والدَّبَّيرِ كلُّها ذَبَّانٌ، ما حدث به عَبَّاد بن  
صُهَيْب، وإسماعيل المكي عن الأعمش، عن عطية بن سعيد العوفي

قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: كلُّ ذُبابٍ في النارِ إلاَّ  
النَّحْلَ.

وقال سليمان: سمعت مجاهداً يكره قتل النَّحْل وإحراق العظام،  
يعني في في الغزو.

وحدثنا عَنبِسة قال: حَدَّثَنَا حَنْظَلَةُ السِّدُّوسِيُّ قَالَ: أَنبَأَنَا أَنَسُ بْنُ  
مَالِكٍ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: عَمَرَ الذُّبَابِ أَرْبَعُونَ  
يَوْمًا، وَالذُّبَابُ فِي النَّارِ.

بحث كلامي في عذاب الحيوان والأطفال وقد اختلف النَّاس في  
تأويل قوله: والذباب في النار وقال قوم: الذباب خلقٌ خُلِق للنَّار، كما  
خلق الله تعالى ناساً كثيراً للنَّار، وخلق أطفالاً للنَّار، فهؤلاء قومٌ  
خلعوا عُذْرَهُمْ فصار أحدهم إذا قال: ذلك عَدْلٌ من الله عزَّ وجلَّ؛ فقد  
بلغ أقصى العذر، ورأى أنَّه إذا أضاف إليه عذاب الأطفال فقد مَجَّده،  
ولو وجد سبيلاً إلى أن يقول إنَّ ذلك ظلم لقاله ولو وجد سبيلاً إلى  
أن يزعم أن الله تعالى يخبر عن شيءٍ أنه يكون وهو لا يكون، ثم  
يقول إلاَّ أن ذلك صدق لقاله، إلاَّ أنَّه يخاف السَّيف عند هذه، ولا  
يخاف السَّيف عند تلك، وإن كانت تلك أعظم في الفرية من هذه.  
وبعض يزعم أن الله عزَّ وجلَّ إنَّما عَدَّبَ أطفال المشركين ليغمَّ بهم



آباءهم، ثم قال المتعاقلون منهم: بل عذبهم لأنه هكذا شاء، ولأن هذا له، فليت شعري أيجتنب بهذا القول في باب التمجيد لله تعالى؛ لأن كل من فعل ما يقدر عليه فهو محمود، وكل من لم يخف سوط أمير فأتى قبيحاً فالذي يحسن ذلك القبيح أن صاحبه كان في موضع أمن، أو لأنه آمنٌ يمتنع من مطالبة السلطان، فكيف وكون الكذب والظلم والعبث واللغو والبخل كله محال ممن لا يحتاج إليه، ولا تدعوه إليه.

---

الذواعي.

وزعم أبو إسحاق أن الطاعات إذا استوت أهلها في الثواب، وأن المعاصي إذا استوت أهلها في العقاب، وإذا لم يكن منهم طاعة ولا معصية استوتوا في التفضيل.

وزعم أن أجناس الحيوان وكل شيء يحس ويألم، في التفضل سواء.

وزعم أن أطفال المشركين والمسلمين كلهم في الجنة، وزعم أنه ليس بين الأطفال ولا بين البهائم والمجانين فرق، ولا بين السباع في ذلك وبين البهائم فرقا.

وكان يقول: إن هذه الأبدان السبعية والبهيمية لا تدخل الجنة، ولكن الله عز وجل ينقل تلك الأرواح خالصة من تلك الآفات؛ فيركبها في أي الصور أحب. وكان أبو كلدة، ومعمّر، وأبو الهذيل وصحح،

يكرهون هذا الجواب، ويقولون: سواءٌ عند خواصِّنا وعوامِّنا، أقلنا: إنَّ أرواحَ كلابنا تصير إلى الجنَّة، أم قلنا: إن كلابنا تدخل الجنَّة ومتى ما اتَّصل كلابنا بذكر الكلب على أيِّ وجهٍ كان؛ فكأنَّنا عندهم قد زعمنا أنَّ الجنَّة فيها كلاب، ولكنَّا نزعم أنَّ جميع ما خلق الله تعالى مِنَ السَّبَاعِ والبهائم والحشرات والهمج فهو قبيح المنظرة مؤلم، أو حسن المنظرة مُلِدٌّ؛ فما كان كالخيل والظباء، والطواويس، والتَّدَارِجِ فإنَّ تلك في الجنَّة، ويَلدُّ أولياءُ الله عزَّ وجل بمنَّاظرها، وما كان منها قبيحاً في الدُّنيا مؤلِمَ النَّظَرِ جعله الله عذاباً إلى عذاب أعدائه في النَّارِ فإذا جاء في الأثر: أنَّ الدُّبَابَ في النَّارِ، وغير ذلك من الخلق، فإنَّما يراد به

---

هذا المعنى.

وذهب بعضهم إلى أنها تكون في النَّارِ، وتلدُّ ذلك، كما أنَّ حَزَنَةَ جهنَّم والذين يتولَّون من الملائكة التَّعْذِيبَ، يلدُّون موضعهم من النار. وذهب بعضهم إلى أنَّ الله تعالى يطبِّعهم على استلذاذ النَّارِ والعيشِ فيها، كما طبَّع ديدان التَّلجِ والخلِّ على العيش في أماكنها. وذهب آخرون إلى أنَّ الله عزَّ وجلَّ يحدث لأبدانها علةً لا تصل النَّارُ إليها، وتنعم قلوبها وأبدانها من وجه آخر كيف شاء، وقالوا: وقد وجدنا النَّاسَ يحتالون لأنفسهم في الدُّنيا جيلاً، حتى يدخُل أحدهم

بَعْضَ الْأَتَاتِينَ بِذَلِكَ الطَّلَاءِ، وَلَا تَضُرُّهُ النَّارُ، وَهُوَ فِي مَعْظَمِهَا، وَمَوْضِعَ  
الْجَاحِمِ مِنْهَا، فَفَضْلُ مَا بَيْنَ قُدْرَةِ اللَّهِ وَقُدْرَةِ عِبَادِهِ أَكْثَرُ مِنْ فَضْلِ مَا  
بَيْنَ حَرِّ نَارِ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ.  
وَذَهَبَ بَعْضُهُمْ إِلَى أَنَّ سَبِيلَهَا فِيهَا كَسَبِيلِ نَارِ إِبْرَاهِيمَ؛ فَإِنَّهُ لَمَّا قُذِفَ  
فِيهَا بَعَثَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ مَلَكًا يَقَالُ لَهُ مَلِكُ الظِّلِّ، فَكَانَ يَحْدِثُهُ  
وَيُؤَنِّسُهُ؛ فَلَمْ تَصِلِ النَّارُ إِلَى أَذَاهِ، مَعَ قُرْبِهِ مِنْ طِبَاعِ ذَلِكَ الْمَلِكِ.  
وَكَيْفَمَا دَارَ الْأَمْرُ فِي هَذِهِ الْجَوَابَاتِ؛ فَإِنْ أَحْسَنَّا وَأَشْتَنَعْنَا أَحْسَنُ مِنْ  
قَوْلِ مَنْ زَعَمَ أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى يُعَذِّبُ بِنَارِ جَهَنَّمَ مَنْ لَمْ يَسْخِطْهُ وَلَا يَعْقِلُ  
كَيْفَ يَكُونُ السَّخَطُ، وَمَنْ الْعَجَبُ أَنَّ بَعْضَهُمْ يَزْعُمُ أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى إِنَّمَا  
عَذَّبَهُ لِيَغْمَّ أَبَاهُ، وَإِنَّمَا يَفْعَلُ ذَلِكَ مَنْ لَا يَقْدِرُ عَلَى أَنْ يُوَصِّلَ إِلَيْهِمْ  
ضَعْفَ الْاِغْتِمَامِ، وَضَعْفَ الْأَلْمِ الَّذِي يَنَالُهُمْ بِسَبَبِ أبنَائِهِمْ، فَأَمَّا مَنْ  
يَقْدِرُ عَلَى إِيْصَالِ ذَلِكَ الْمَقْدَارِ إِلَى مَنْ يَسْتَحِقُّهُ، فَكَيْفَ يُوَصِّلُهُ  
وَيَصْرِفُهُ إِلَى مَنْ لَا يَسْتَحِقُّهُ؟ وَكَيْفَ يَصْرِفُهُ عَمَّنْ أَسْخِطَهُ إِلَى مَنْ لَمْ  
يُسْخِطْهُ؟ هَذَا وَقَدْ سَمِعُوا قَوْلَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ: (يَوَدُّ الْمُجْرِمُ لَوْ يَفْتَدِي  
مِنْ عَذَابِ يَوْمِئِذٍ بِنَتْنِهِ، وَصَاحِبَتِهِ وَأَخِيهِ، وَفَصِيلَتِهِ الَّتِي تُؤْوِيهِ، وَمَنْ فِي  
الْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ يُنْجِيهِ، كَلَّا إِنَّهَا لَلظَى، تَرَاغَةَ لِلشَّوَى) وَكَيْفَ يَقُولُ

هذا القَوْلَ مَنْ يَتْلُو الْقُرْآنَ؟ ثُمَّ رَجَعَ بِنَا الْقَوْلِ إِلَى الْمَذْبَانِ وَأَصْنَافِ  
الذَّبَّانِ.

## جهل الذبان وما قيل فيها من الشعر

والذَّبَّانِ أَجْهَلُ الْخَلْقِ؛ لِأَنَّهَا تَغْشَى النَّارَ مِنْ ذَاتِ أَنْفُسِهَا حَتَّى تَحْتَرِقَ، وَقَالَ الشَّاعِرُ:

الْفُؤَادَ عَلَى حُبِّهَا      كَذَلِكَ الصَّحِيفَةَ بِالْخَاتَمِ  
بِي إِلَى حُبِّهَا نَظْرَةً      هُوِيَ الْفَرَاشَةَ لِلْجَاحِمِ

وقال آخر:

مَشَافِرَ النَّجْدَاتِ مِنْهَا      إِذَا مَا مَسَّهَا قَمَعُ الذُّبَابِ  
مَاتَمَ مَتَسَاعِدَاتٍ      نَعَالُ السَّبَبِ أَوْ عَدَبَ الثِّيَابِ

نقد بيت من الشعر وقال بعض الشعراء، يهجو حارثة بن بدر الغداني:

عُدَانُهُ أَنْ فِيهَا سَيِّدًا      ضَحْمًا يُوَارِيهِ جَنَاحُ الْجُنْدُبِ

وزعم ناس أنه قال:

مَا يُرْوِي الذُّبَابَ فَيَنْتَشِي سُكْرًا، وَتُشْبِعُهُ كُرَاعُ الْأَرْنَبِ  
قَالُوا: لَا يَجُوزُ أَنْ يَقُولَ: يَرُويهِ مَا يَرُوي الذُّبَابَ وَيُوَارِيهِ جَنَاحُ الْجُنْدُبِ

ثُمَّ يَقُولُ: وَيَشْبِعُهُ كُرَاعُ الْأَرْنَبِ.

وإنما ذكر كُرَاعَ الْأَرْنَبِ؛ لِأَنَّ يَدَ الْأَرْنَبِ قَصِيرَةٌ، وَلِذَلِكَ تَسْرَعُ فِي

الصُّعُودِ، وَلَا يَلْحَقُهَا مِنَ الْكَلَابِ إِلَّا كُلُّ قَصِيرِ الْيَدِ، وَذَلِكَ مَحْمُودٌ مِنَ

الكلب، والفِرسُ تُوصَفُ بِقَصْرِ الدَّرَاعِ.

## قصة في الهرب من الذباب

وحدّثني الحسنُ بن إبراهيم العلويُّ قال: مررتُ بخالي، وإذا هو وحده يضحك، فأنكرتُ ضحكه؛ لأنّي رأيتُه وحده، وأنكرته، لأنّه كان رجلاً زمّيتاً ركيناً، قليلَ الصّحك، فسألته عن ذلك فقال: أتاني فلانُ يعني شيخاً مدينيّاً - وهو مذعور فقلتُ له: ما وراءك؟ فقال: أنا واللّه هاربٌ من بيتي قلت ولم؟ قال: في بيتي ذبابٌ أزرق، كلما دخلتُ تاراً في وجهي، وطار حولي وطرنّ عند أذني، فإذا وجد مني غفلةً لم يُخطئ موقَ عيني، هذا واللّه دأبه ودأبي دهرأً معه، قلت له: إنّ شبه الذباب بالذباب كشبه الغراب بالغراب؛ فلعنّ الذي آذاك اليوم أن يكون غير الذي آذاك أمس، ولعنّ الذي آذاك أمس غير الذي آذاك أوّل من أمس، فقال: أعتق ما أملك إن لم أكن أعرفه بعينه منذُ خمس عشرة سنة، فهذا هو الذي أضحكني.

### قصة في سفاد الذباب

وقال الخليلُ بن يحيى: قد رأيت الخنزير يركبُ الخنزيرة عامّة نهاره، ورأيتُ الجمل يركبُ الناقة ساعةً من نهاره، وكنت قبل ذلك أغبط العصفور والعصم - فإنّ الذكّر وإن كان سريع التّزول عن ظهر الأنثى فإنّه لسرعة العودة، ولكثرة العدد، كأنّه في معنى الخنزير والجمل

وحتى رأيت الذُّبابَ وفطنت له، فإذا هو يركب الذُّبابَ عامَّةً نهاره،  
فقال له محمد بن عمر البكراوي: ليس ذلك هو السَّفاد، قال: أمَّا  
الذي رأت العينانِ فهذا حُكْمه، فإن كنتَ تريد أن تطيب نَفْسُكَ بإنكار  
ما تعرفُ ممَّا قَسَمَ اللهُ عزَّ وجلَّ بين خلقه، من فضول اللِّدَّةِ،  
ف\_\_\_\_\_دونك..

سَفاد الورل ويزعمون أن للورل في ذلك ما ليس عند غيره.

## قِصَّةُ أَكْلِ الذُّبَابِ

وأنشد ابن داحة في مجلس أبي عبيدة، قول السَّيِّدِ الحميريِّ:

ضهاكاً وابنها وابن ابنها      وأبا قحافة آكل الذُّبَابِ  
يَرون وفي الأمور عجائبُ      يأتي بهنَّ تصرُّفُ الأزمانِ  
الخِلافةُ في ذؤابةِ هاشمٍ      فيهم تصيرُ وهيبةُ السُّلطانِ  
وكان ابن داحة رافضياً، وكان أبو عبيدة خارجياً صُفْرِيّاً، فقال له: ما  
معناه في قوله: آكل الذُّبَابِ؟ فقال: لأئنه كان يذبُّ عن عطر ابن  
جُدعان، قال: ومتى احتاج العطارون إلى المذابِّ؟ قال: غلظت إنَّما  
كان يذبُّ عن حَيْسَةِ ابن جدعان، قال: فابن جُدعان وهشامُ بن  
المغيرة، كان يُحاسُّ لأحدهما الحَيْسَةَ على عدَّة أنطاع، فكان يأكلُ  
منها الراكبُ والقائمُ والقاعدُ فأين كانت تقعُ مِدْبَةُ أبي قُحافة من هذا

الجبَلُ؟ قال: كان يذُبُّ عنها ويدورُ حوَالَيْهَا، فضحكوا منه، فهجر  
مجلسهم سنةً.

## تحقير شأن الذبابة

قال: وفي باب تحقير شأن الذبابة وتصغير قدرها، يقول الرسول: لو  
كانت الدنيا تُساوي عند الله تعالى جناح ذبابةٍ ما أعطى الكافر منها  
شيئاً.

## أعجوبة في ذبان البصرة

وعندنا بالبصرة في المذبان أعجوبة، لو كانت بالشامات أو بمصر  
لأدخلوها في باب الطلسم؛ وذلك أن التمر يكون مصبوباً في بيادر  
التمر في شقّ البساتين، فلا ترى على شيءٍ منها ذبابةً لا في الليل،  
ولا في النهار، ولا في البردين ولا في أنصاف النهار، نعم وتكون هناك  
المعاصر، ولأصحاب المعاصر ظلال، ومن شأن المذباب الفرار من  
الشمس إلى الظل، وإنما تلك المعاصر بين ثمرة ورطوبة، ودبس  
وثجير، ثم لا تكاد ترى في تلك الظلال والمعاصر، في انتصاف النهار،  
ولا في وقت طلب المذبان الكين، إلا دون ما تراه في المنزل

الموصوف بقلاً سنة الذبان.  
وهذا شيء يكون موجوداً في جميع الشقوق الذي فيه البساتين، فإن  
تحول شيء من تمر تلك الناحية إلى جميع ما يقابلها في نواحي  
البصرة، غشيه من الذبان ما عسى ألا يكون بأرض الهند أكثر منه  
وليس بين جزيرة نهر دُبَيْس، وبين موضع الذبان إلا فيض البصرة، ولا  
بين ما يكون من ذلك بنهر أذرب وبين موضع الذبان ممّا يقابله، إلا  
سيحان، وهو ذلك التمر وتلك المعصرة، ولا تكون تلك المسافة إلا  
مائة ذراع أو أزيئاً أو أنقص شيئاً.  
نوم عجيب لضروب من الحيوان وأعجوبة أخرى، وهي عندي أعجب  
من كل شيء صدرنا به جملة القول في الذباب، فمن العجب أن  
يكون بعض الحيوان لا ينام كالصافر والتوّط؛ فإِنَّهُمَا إذا كان الليل  
فإن أحدهما يتدلى من غصن الشجرة، ويضمُّ عليه رجليه، وينكس  
رأسه، ثم لا يزال يصيح حتى يبرق النور، والآخر لا يزال يتنقل في  
زوايا بيته، ولا يأخذه القرار، خوفاً على نفسه، فلا يزال كذلك، وقد  
تتف قبل ذلك ممّا على ظهور الأشجار مما يشبه الليف فنفسه، ثم  
فتل منه حبلاً، ثم عمل منه كهية القفة، ثم جعله مدلى بذلك الحبل،  
وعقده بطرف عُصِيٍّ من تلك الأغصان؛ إلا أن ذلك بترصيع ونسج،



وَمُدَاخَلَةٍ عَجِيبَةٍ؛ ثُمَّ يَتَّخِذُ عَشَّهَ فِيهِ، وَيَأْوِي إِلَيْهِ مَخَافَةَ عَلَى نَفْسِهِ.  
وَالْأَعْرَابُ يَزْعَمُونَ أَنَّ الدُّبَّ شَدِيدُ الْاحْتِرَاسِ، وَأَنَّهُ يُرَوَّاحُ بَيْنَ عَيْنَيْهِ،  
فَتَكُونُ وَاحِدَةً مَطْبِقَةً نَائِمَةً وَتَكُونُ الْآخَرَى مَفْتُوحَةً حَارِسَةً وَلَا  
يَشْكُونُ أَنَّ الْأَرْنَـبَ تَنَامُ مَفْتُوحَةَ الْعَيْنَيْنِ.  
وَأَمَّا الدَّجَاجُ وَالْكَلَابُ فَإِنَّمَا تَعْرُبُ عَقُولُهُمَا فِي النَّوْمِ، ثُمَّ تَرْجِعُ إِلَيْهِمَا  
بِمَقْدَارِ رَجُوعِ الْأَنْفَاسِ، فَأَمَّا الدَّجَاجُ فَإِنَّمَا تَفْعَلُ ذَلِكَ مِنَ الْجَبَنِ وَأَمَّا  
الْكَلْبُ فَإِنَّهُ يَفْعَلُ ذَلِكَ مِنْ شِدَّةِ الْاحْتِرَاسِ.  
وَجَاءُوا كُلَّهُمْ يَخْبِرُونَ أَنَّ الْغِرَانِيْقَ وَالْكَرَاقِيَّ لَا تَنَامُ أَبَدًا إِلَّا فِي أَعْبَدِ  
الْمَوَاضِعِ مِنَ النَّاسِ، وَأَخْرَجَهَا مِنْ صِغَارِ سَبَاعِ الْأَرْضِ، كَالثَّعْلَبِ وَابْنِ  
أَوْي، وَأَنَّهَا لَا تَنَامُ حَتَّى تَقْلُدَّ أَمْرَهَا رَئِيسًا وَقَائِدًا، وَحَافِظًا وَحَارِسًا،  
وَأَنَّ الرَّئِيسَ إِذَا أَعْيَا رَفَعَ إِحْدَى رِجْلَيْهِ، لِيَكُونَ أَيْقَظًا لَهُ.  
سُلْطَانُ النَّوْمِ وَسُلْطَانُ النَّوْمِ مَعْرُوفٌ، وَإِنَّ الرَّجُلَ مِمَّنْ يَغْزُو فِي  
الْبَحْرِ، لِيَعْتَصِمَ بِالشَّرَاقِ وَبِالْعُودِ وَبِغَيْرِ ذَلِكَ، وَهُوَ يَعْلَمُ أَنَّ النَّوْمَ مَتَى  
خَالَطَ عَيْنَيْهِ اسْتَرَحَّتْ يَدُهُ، وَمَتَى اسْتَرَحَّتْ يَدُهُ بَايَنَهُ الشَّيْءُ الَّذِي كَانَ  
يُرْكَبُهُ وَيَسْتَعَصِمُ بِهِ، وَأَنَّهُ مَتَى بَايَنَهُ لَمْ يَقْدِرْ عَلَيْهِ، وَمَتَى عَجَزَ عَنْ  
اللَّحَاقِ بِهِ فَقَدْ عَطَبَ، ثُمَّ هُوَ فِي ذَلِكَ لَا يَخْلُو، إِذَا سَهَرَ لَيْلَةً أَوْ لَيْلَتَيْنِ،  
مَنْ أَنْ يَغْلِبَهُ النَّوْمُ وَيَقْهَرَهُ، وَإِنَّمَا أَنْ يَحْتَاجَ إِلَيْهِ الْحَاجَةُ الَّتِي يَرِيهِ الرَّأْيَ

الخَوَّان، وفسادُ العَقْلِ المغمُور بالعلَّة الحادثة، أَنَّهُ قد يمكن أَن يُغْفَى  
وينتبه في أسرع الأوقات، وقبلَ أَن تَسْتَرخِي يَدُهُ كلَّ الاسترخاء،  
وقبلَ أَن تباينه الخَشْبَةُ إن كانت خشبة.

## العجبة في نوم الذبان

وليس في جميع ما رأينا ورؤينا، في ضروب نوم الحيوان، أعجب من  
نوم الذبان، وذلك أَنَّها ربما جعلت مأواها بالليل دَرُونْد الباب وقد  
غَشَّوه ببطانةٍ ساجٍ أَمَلَسَ كَأَنَّهُ صَفَاةٌ، فَإِذَا كان اللَّيْلُ لَزقت به،  
وجعلت قوائمها مما يليه، وعلقت أبدانها إلى الهواء، فإن كانت لا تنام  
البنَّة ولا يخالطها عُزوب المعرفة فهذا أعجب: أَن تكون أُمَّة من أمم  
الحيوان لا تعرف النَّومَ، ولا تحتاج إليه، وإن كانت تنام ويعزب عنها ما  
يعزب عن جميع الحيوان سوى ما ذكرنا، فما تخلص من أن تكون  
قابضةً على مواضع قوائمها، ممسكة بها، أو تكون مرسله لها مخلية  
عنها، فإن كانت مرسله لها فكيف لم تسقط وهي أثقل من الهواء؟  
وإن كانت ممسكة لها فكيف يجامع التشدد والتثبيت النَّوم؟.  
بعض ما يعترى النائم ونحن نرى كلَّ من كان في يده كيس أو درهماً  
و حبل، أو عصا فإنه متى خالط عينيه النَّوم استرخت يده وانفتحت

أصابُهُ، ولذلك يتشاءب المحتال للعبد الذي في يده عِنان دَابَّةِ مَولاهُ، ويتناوم له وهو جالس؛ لأنَّ من عادةِ الإنسان إذا لم يكن بحضرته من يشغله، ورأى إنساناً قَبالته ينوُدُ أو ينعَسُ، أن يتشاءب وينعَسُ مثله، فمتى استرخت يده أو قبضته عن طَرَفِ العِنانِ، وقد خامره سُكْرُ النَّومِ، ومتى صار إلى هذه الحال - ركب المحتال الدَّابَّةَ ومَرَّ بها.

## الغربان

اللهم جنبنا التكلُّفَ، وأعدِّنا مِنَ الخطأِ، واحمِننا العُجْبَ بما يكون منه، والثَّقَّةَ بما عندنا، واجعلنا مِنَ المحسنينِ.  
نذكر على اسم الله جُمَلَ القولِ في الغِربانِ، والإخبار عنها، وعن غريبٍ ما أُودِعَتْ من الدَّلالةِ، واستُخِرَتْ من عَجيب الهدايةِ. وقد كُنَّا قَدَّمنا ما تقول العربُ في شأنِ منادِمةِ الغُرابِ والمدِّيكِ وصدائِهِ له، وكيف رهنه عند الخَمَّارِ، وكيف خاسَ به وسخِرَ منه وخدعه وكيف خرج سالماً غيرَ غارمٍ، وغانماً غيرَ خائبٍ، وكيف ضربت به العربُ الأمثالَ، وقالت فيه الأشعارُ، وأدخلته في الاشتقاقِ لزجرها عند عيافتها وقِيافتها، وكيف كان السبب في ذلك.  
ذكر الغراب في القرآن فهذا إلى ما حكى الله عزَّ وجلَّ من خبر ابني

آدم، حينَ قَرَّبَا قُرْبَانًا فَحَسَدَ الَّذِي لَمْ يُتَقَبَّلْ مِنْهُ الْمُتَقَبَّلُ مِنْهُ، فقال  
عندما همَّ به من قتله، وعند إمساكه عنه، والتَّخْلِيَةِ بَيْنَهُ وَبَيْنَ مَا اخْتَارَ  
لنفسه: "إِنِّي أُرِيدُ أَنْ تَبُوءَ بِإِثْمِي وَإِثْمَكَ فَتَكُونَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ  
وَذَلِكَ جَزَاءُ الظَّالِمِينَ"، ثم قال: "فَطَوَّعَتْ لَهُ نَفْسُهُ قَتْلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُ  
فَأَصْبَحَ مِنَ الخَاسِرِينَ فَبَعَثَ اللَّهُ غُرَابًا يَبْحَثُ فِي الْأَرْضِ لِيُرِيَهُ كَيْفَ  
يُؤَارِي سَوْءَةَ أَخِيهِ" حتَّى قال القائل، وهو أحد ابني آدم ما قال: فلولا  
أنَّ للغراب فضيلةً وأموراً محمودةً، وآلةً وسبباً ليس لغيره من جميع  
الطَّيرِ لما وضعه الله تعالى في موضعٍ تأديبِ الناس، ولما جعله  
الواعظ والمذكَّرُ بذلك، وقد قال الله عزَّ وجلَّ: "فَبَعَثَ اللَّهُ غُرَابًا  
يَبْحَثُ فِي الْأَرْضِ لِيُرِيَهُ كَيْفَ يُؤَارِي سَوْءَةَ أَخِيهِ"، فأخبر أنه مبعوثٌ،  
وأنه هو اختاره لذلك من بين جميع الطَّيرِ.  
قال صاحب الدَّيْكَ: جعلت الدَّيْلَ على سوء حاله وسقوطِهِ الدَّيْلَ  
على حُسْنِ حاله وارتفاعِ مكانه، وكلما كان ذلك المقرَّعُ به أسفلَ  
كانت الموعظة في ذلك أبلغَ، ألا تَرَاهُ يقول: "يا وَيْلَتِي أَعْجَزْتُ أَنْ  
أَكُونَ مِثْلَ هَذَا الْغُرَابِ فَأُؤَارِي سَوْءَةَ أَخِي فَأَصْبَحَ مِنَ النَّادِمِينَ".  
ولو كان في موضعِ الغرابِ رجلٌ صالحٌ، أو إنسانٌ عاقلٌ، لما حَسُنَ به  
أن يقول: يا وَيْلَتِي أَعْجَزْتُ أَنْ أَكُونَ مِثْلَ هَذَا الْعَاقِلِ الْفَاضِلِ الْكَرِيمِ

الشَّريف، وإذا كان دوناً وَحَقيراً فقال: أعجزتُ وأنا إنسانٌ أن أحسِنَ ما يحسنه هذا الطائر، ثم طائرٌ من شرار الطير، وإذا أراه ذلك في طائرٍ أسودٍ محترقٍ، قبيحِ الشَّمائلِ، رديءِ المَشْيَةِ، ليس من بهائم الطير المحمودة، ولا من سباعها الشريفة، وهو بَعْدُ طائرٌ يتنكَّد به ويتطيَّر منه، آكلُ جيف، رديءُ الصيِّد، وكلما كان أجهلَ وأنذلَ كان أبلغَ في التَّوبيخ والتَّقريع.

وأما قوله: "فَأَصْبَحَ مِنَ النَّادِمِينَ" فلم يكنْ به على جهة الإخبار أنَّه كان قَتْلُهُ ليلاً، وإنما هو كقوله: "وَمَنْ يُؤَلِّمُ يَوْمَئِذٍ دُبْرَهُ إِلَّا مُتَحَرِّفًا لِقِتَالٍ أَوْ مُتَحَيِّزًا إِلَى فِتْنَةٍ فَقَدْ بَاءَ بِغَضَبٍ مِنَ اللَّهِ"، ولو كان المعنى وقع على ظاهر اللَّفظ دونَ المستعمل في الكلامِ من عادات الناس، كان من فرَّ من الرَّحْفِ ليلاً لم يلزمه وَعَيْدٌ، وإنما وقع الكلامُ على ما عليه الأغلْبُ من ساعاتِ أعمالِ الناس، وذلك هو النَّهَارُ دونَ اللَّيْلِ. وعلى ذلك المعنى قال صالح بن عبد الرحمن، حين دفعوا إليه جَوَاباً الخارجيَّ ليقْتله، وقالوا: إن قتلته برئت الخوارجُ منه، وإن ترك قتلته فقد أبدى لنا صفحته، فتأوَّل صالحُ عند ذلك تأويلاً مستنكراً: وذلك أنَّه قال: قد نجدُ التَّقِيَّةَ تسبيغَ الكفر، والكفر باللسانِ أعظم من القتل والقذفِ بالجراحة، فإذا جازت التقِيَّةُ في الأعظم كانت في الأصغر

أجوز، فلما رأى هذا التأويل يطرد له، ووجد على حال بصيرته ناقصة، وأحسن بالله إنما التمس عُذْرًا وَلَزِقَ الْحِجَّةَ تَلْزِيْقًا فَلَمَّا عَزَمَ عَلَى قَتْلِ جَوَّابٍ، وهو عنده واحدُ الصُّفْرِيَّةِ فِي النَّسْكِ وَالْفَضْلِ قَالَ: إِنِّي يَوْمَ أَقْتُلُ جَوَّابًا عَلَى هَذَا الصُّرْبِ مِنَ التَّأْوِيلِ لِحَرِيصٍ عَلَى الْحَيَاةِ وَلَوْ كَانَ حِينَ قَالَ إِنِّي يَوْمَ أَقْتُلُ جَوَّابًا إِنَّمَا عَنِيَ النَّهَارَ دُونَ اللَّيْلِ، كَانَ عِنْدَ نَفْسِهِ إِذَا قَتَلَهُ تِلْكَ الْقِتْلَةَ لَيْلًا لَمْ يَأْثَمَ بِهِ، وَهَذَا أَيْضًا كَقَوْلِهِ تَعَالَى: "وَلَا تَقُولَنَّ لِشَيْءٍ إِنِّي فَاعِلٌ ذَلِكَ غَدًا إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ". وَلَوْ كَانَ هَذَا الْمَعْنَى إِنَّمَا يَقَعُ عَلَى ظَاهِرِ اللَّفْظِ دُونَ الْمُسْتَعْمَلِ بَيْنَ النَّاسِ، لَكَانَ إِذَا قَالَ مِنْ أَوَّلِ اللَّيْلِ: إِنِّي فَاعِلٌ ذَلِكَ غَدًا فِي السَّحَرِ، أَوْ مَعَ الْفَجْرِ أَوْ قَالَ الْغَدَاةِ: إِنِّي فَاعِلٌ يَوْمِي كُلَّهُ، وَلَيْلَتِي كُلَّهَا، لَمْ يَكُنْ عَلَيْهِ جِنَاحٌ، وَلَمْ يَكُنْ مُخَالَفًا إِذَا لَمْ يَسْتَشِنْ، وَكَانَ إِذْنٌ لَا يَكُونُ مُخَالَفًا إِلَّا فِيمَا وَقَعَ عَلَيْهِ اسْمُ غَدٍ، فَأَمَّا كُلُّ مَا خَالَفَ ذَلِكَ فِي اللَّفْظِ فَلَا، وَلَيْسَ التَّأْوِيلُ كَذَلِكَ لِأَنَّهُ جَلٌّ وَعَلَا إِنَّمَا أُلْزِمَ عَبْدَهُ أَنْ يَقُولَ: إِنْ شَاءَ اللَّهُ، لِيَتَّقَى عَادَةَ التَّأْوِيلِ وَلئَلَّا يَكُونَ كَلَامُهُ وَلَفْظُهُ يَشْبَهُ لَفْظَ الْمُسْتَبَدِّ وَالْمُسْتَعْنِي، وَعَلَى أَنْ يَكُونَ عِنْدَ ذَلِكَ ذَاكِرَ اللَّهِ، لِأَنَّهُ عَبْدٌ مَدْبُورٌ، وَمَقْلَبٌ مَيْسَرٌ، وَمَصْرُوفٌ مَسْرُورٌ.

وإذا كان المعنى فيه، والغاية التي جرى إليها اللفظ، إنما هو على ما

وصفنا، فليس بين أن يقول أفعلُ ذلك بعْدَ طَرْقَةٍ، وبين أن يقولَ  
أفعلُ ذلك بعْدَ سِنَّةٍ فـرقٌ.  
وأما قوله: "فَأَصْبَحَ مِنَ النَّادِمِينَ" فليس أنه كان هنالك ناسٌ قتلوا  
إخوتَهُمْ وَنَدَمُوا فصارَ هذا القاتلُ واحداً منهم؛ وإنما ذلك على قوله  
لآدم وَخَوَّاءَ عليهما السلام: "ولا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ  
الظَّالِمِينَ"، على معنى أن كلَّ من صنع صنيعكما فهو ظالم.

### الاستثناء في الحلف

وعجبت من ناسٍ ينكرون قولنا في الاستثناء، وقد سمعوا الله عزَّ  
وجلَّ يقولُ: "إِنَّا بَلَوْنَاهُمْ كَمَا بَلَوْنَا أَصْحَابَ الْجَنَّةِ إِذْ أَقْسَمُوا لَيَصْرِمُنَّهَا  
مُصْبِحِينَ، وَلَا يَسْتَشْنُونَ، فَطَافَ عَلَيْهَا طَائِفٌ مِنْ رَبِّكَ وَهُمْ نَائِمُونَ،  
فَأَصْبَحَتْ كَالصَّرِيمِ"، مع قوله عزَّ وجلَّ: "ولا تَقُولَنَّ لِشَيْءٍ إِنِّي فَاعِلٌ  
ذَلِكَ غَدًا إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ".

### تسمية الغراب ابن دأية

والعربُ تسمي الغرابَ ابن دأية، لأنَّه إذا وجد دَبْرَةً في ظهر البعير، أو في عنقه قرحة سقط عليها،  
ونقره وأكله، حتَّى يبلغ الدَّأيات، قال الشاعر:

قَرَمٍ شَادَهَا الْقَتُّ وَالنَّوَى بِيَشْرَبَ حَتَّى تَبِيَّهَا مَتَظَاهِرُ

لها سيرى فما بكِ عِلَّةٌ سنامكِ ملامومٌ وناؤكِ فاطِرٌ  
أو خيراً تَرَكَتْ رَذِيَّةٌ تَقَلَّبَ عينيها إذا مرَّ طائر

ومثله قول الرَّاعي:

كنت معذوراً بنصرك طيرصقوري غزبان البعير المقيد  
هذا البيت لعنترة، في قصيدة له، ضرب ذلك مثلاً للبعير المقيد ذي الدبر، إذا وقعت عليه الغزبان.  
غرز الريش والخرق في سنام البعير وإذا كان يظهر البعير دبره غرزوا في سنامه إما قوادم ريش  
أسود وإما خرقاً سوداً، لتفزع الغزبان منه، ولا تسقط عليه، قال الشاعر، وهو ذو الخرق الطهوي:

رأت إبلي حطت حمولتها هزلى عجافاً عليها الريش  
والخرق

ألا تبتغي عيشاً نعيش بطلاقي فشر العيشة الرنق  
الرنق، بالراء المهملة، وبالنون، هو الكدر غير الصافي وقال آخر:

ريشة في غارب جر حثما صرفته الريح ينصرف

جرز: عظيم، قال رؤبة:

جرز منه وجوز عار

غرز الريش وجوز عاره وقد توضع الريش في أسنمتها وتغرز فيها لغير ذلك، وذلك أن الملوك كانت  
تجعل الريش علامة لحياء الملك، تحميها بذلك وتشرف صاحبها.  
قال الشاعر:

الهجان بريشها ورعائها كالليل قبل صباح المتبلج  
ولذلك قالوا في الحديث: فرج التابغة من عند التعمان وقد وهب له  
مائة من عصافيره بريشها وللريش مكان آخر: وهو أن الملوك إذا  
جاءتها الخرائط بالظفر غرزت فيها قوادم ريش سود،

غربان الإبل

وقال الشاعر:



قولاً للخصين ومالك به الغربان شطرَ المواسم  
به الهيمُ الظماءُ وبطيئته الغازين سجعُ الحمائم

يعني غربان الليل، وأما قوله: وتروى به الهيمُ الظماءُ فمثل قول الماتح:

يا حارث عند الورد  
عبي بابتناء المجد  
بجاذل لا رفل التردّي

شعر في تعرض الغربان للإبل وقالوا في البعير إذا كان عليه حمل  
من تمر أو حب، فتقدم الإبل بفضل قوته ونشاطه، فعرض ما عليه  
للغربان، قال الزجاج:

قلت قولاً للغراب إذ حجل عليك بالقود المسانيف الأول  
شئت على غير عجل

ومثله:

كلُّ علاة مذعان حمراء من معرّضات الغربان

## أمثال في الغراب

ويقال: أصحُّ بدناً من غراب، وأبصر من غراب، وأصفى عيناً من غراب.  
وقال ابن ميادة:

طرقتنا أم أوس ودونها من الظلّماء يعشى غرابها  
كأنا بيننا لطمية المسك أو دارية وعبابها

يقول: إذا كان الغراب لا يبصر في جراج الظلّماء، وواحد الجراج حرجة، وهي هاهنا مثل، حيث جعل  
كلّ شيء التفّ وكثف من الظلام جراجاً، وإثما الجراج من السدر وأشبه السدر.  
يقول: فإذا لم يبصر فيها الغراب مع حدة بصره، وصفاء مقلته فما طنك بغيره؟ وقال أبو الطمحان  
القيني:

شاء راعيا استقى من وقيع الغراب صفوها لم يكدر  
والوقيع: المكان الصلب الذي يمسك الماء، والجمع الوقاع.

استطرد لغوي قال: وأنشدنا أبو عمرو بن العلاء، في الوقاع:

## استبدالوا الخيل كانت

## وقائع للأبوالِ والماءُ أبردُ

يقول: كانوا في فلاةٍ فاستبدالوا الخيل في أكفهم، فشربوا أبوالها من العطش.  
ويقال شهد الوقيقة والوقعة بمعنى واحد، قال الشاعر:

لقد أبقْتُ وقيعةً راهطٍ على زقرٍ داءً من الشرِّ باقياً

وقال زُقر بنُ الحارث:

لقد أبقْتُ وقيعةً راهطٍ لِمزوانٍ صدعاً بيننا متنائياً

وقال الأخطل:

أوقع الجحافُ بالبشرِ وقعةً لله منها المشتكى والمعول

## أمثال من الشعر والنثر في الغراب

وفي صحّة بدن الغراب يقول الآخر:

مُعَادَ بنِ مَسْلِمٍ رَجُلٌ صَجَّ مِنْ طُولِ عُمَرِهِ الْأَبْدِ  
شَابَ رَأْسُ الزَّمَانِ وَاکْتَهَلَ رِوَاثُوبُ عُمَرِهِ جُدُدُ

لَقَمَانَ كَمْ تَعِيشُ وَكَمْ تَسْحَبُ ذَيْلَ الْحَيَاةِ يَا لَبَدِ  
أَصْبَحْتَ دَارُ أَدَمَ خَرِبَتْ وَأَنْتَ فِيهَا كَأَنَّكَ الْوَتِيدُ  
غَرِبَاتِهَا إِذَا حَجَلَتْ كَيْفَ يَكُونُ الصُّدَاعُ وَالرَّمْدُ

ويقال: أرضٌ لا يطير غرابها، قال التّابغة:

وَلِرَهْطِ حَرَابٍ وَقَدْ سَوَّرَهُ الْمَجْدُ لَيْسَ غَرَابُهَا بِمُطَارٍ  
جعله مثلاً، يعني أنّ هذه الأرض تبلغ من خصبها أنّها إذا دخلها الغراب لم يخرج منها، لأنّ كلّ شيءٍ  
يريدُ فيه

وفي زهو الغراب يقول حسّان، في بعض قريش:

الفراغِفة بن الأُحوصِ عِنْدَ مَجْنُ لَأَمِّكَ مِنْ بَنَاتِ عُقَابِ  
أَجْمَعْتَ أَنَّكَ أَنْتِ أَلَمُّ مَنْ مَشَفَحَشِ مُومِسِيَّةٍ وَزَهُوِ غَرَابِ

ويقال: وجد فلان تمرّة الغراب، كأنه يتبع عندهم أطيب التمر ويقال: إنّه لأخذر من غرابٍ و: أشد

سواداً من غرابٍ وقد مدحوا بسواد الغراب، قال عنتره:

اثنان وأربعون حلوبة سوداً كخافية الغرابِ الأسحمِ

وقال أبو دؤاد:

الحصى صُعداً شِرْقِيَّ  
الغُرابِ بأعلى أنفه العَرْدَا

مَنْسِيْمِهَا

والمغاريِد: كَمْءٌ، صِغَارٌ، وَأَنْشَدَ:

مَأْمُومَةٌ فِي قَعْرِهَا لَجَفَأْسُ الطَّيِّبِ قَذَاهَا كَالْمَغَارِيِدِ

وقد ذكرنا شدة منقاره، وحدة بصره في غير هذا المكان.

شعر في مديح السواد وقالوا في مديح السواد، قال امرؤ القيس:

قَادِحَةٌ وَالْيَدُ سَابِحَةٌ وَالْأُذُنُ مَصْغِيَةٌ وَاللَّوْنُ غَرِيبٌ

وفي السَّوَادِ يَقُولُ رَبِيعَةُ أَبُو ذُوَابٍ الْأَسَدِيِّ، قَاتِلَ عَتِيْبَةَ بْنِ الْحَارِثِ بْنِ شِهَابٍ:

المودة والهواة بيننا خلق كسحق اليمنة المنجاب

بجيش لا يكتُّ عديده سُودِ الْجُلُودِ مِنَ الْحَدِيدِ  
غَضَابِ

شعر ومثل في شيب الغراب وفي المثل: لا يكون ذلك حتى يشيب

الغُرابِ، وَقَالَ الْعَرْجِيُّ:

يَحُولُ الْفَوَادُ عَنْهُ بُوْدٌ

أَبْدًا أَوْ يَحُولَ لَوْنِ الْغُرَابِ

وقال ساعدة بن جؤبة:

الغراب ولا فؤادك تارك العَصُوبِ وَلَا عَتَابُكَ يُعْتَبُ

معاوية وأبو هودة الباهلي ومما يذكر للغراب ما حدث به أبو الحسن، عن أبي سليم، أن معاوية قال

لأبي هودة بن شماس الباهلي: لقد هممت أن أحمل جمعا من باهلة في سفينة ثم أغرقهم فقال أبو

هودة: إذن لا ترضى باهلة بعدئهم من بني أمية قال: اسكت أيها الغراب الأبقع وكان به برص، فقال

أبو هودة: إن الغراب الأبقع ربما درج إلى الرخمة حتى ينقر دماغها، ويقلع عينيها فقال يزيد بن

معاوية: ألا تقتله يا أمير المؤمنين؟ فقال: مة ونهض معاوية، ثم وجهه بعد في سرية فقتل، فقال

معاوية ليزيد: هـذا أخفى وأصوب.

شعر في نقر الغراب العيون وقال آخر في نقر الغراب العيون:

أَسْرَتِي وَتَرَكْتُ حُجْرًا يُرْبِعُ سَوَادَ عَيْنِيهِ الْغُرَابُ

لاقيت علباء بن جحش رصيت من الغنيمه بالإياب  
وقال أبو حية - في أن الغراب يسمونه الأعور تطيراً منه -:

تُحَلُّ قَتودها بتنوفة مَرَّت تليح من الغرابِ الأعور  
لأنها تخاف من الغرابان، لما تعلم من وقوعها على الدبر شعر فيه مدح لون الغراب ومما يمدح به  
الشعراء بلون الغراب قال أبو حية:

كان أسودَ حالكيّاً      ألا سقياً لذلك من غرابِ  
وقال أبو حية:

عَلَيَّ غرابٌ غداً      فطيره الدهرُ عني فطارا  
يُبعِدُ الله ذاك العُداً      وإن كان لا هو إلا اذكارا  
موضعه بائضاً      مُحيطاً خطاماً مُحيطاً عذارا  
وقال أبو حية في غير ذلك، وهو مما يُعدُّ للغراب:

عصيم الورس منهن جاسئال من غربانهن من الخطر

## استطراد لغوي

والغراب ضروب، ويقع هذا الاسم في أماكن، فالغراب حدُّ السكين والفأس، يقال فأسٌ حديدة  
الغراب، وقال الشماخ:

عليها ذات حدِّ غرابها عدوٌّ لأوساطِ العِضاهِ مُشارِرُ  
المشـارزة: المعـادة والمخاشـنة.

والغراب: حدُّ الورك ورأسه الذي يلي الظهر، ويبدأ من مؤخر الرِّدف، والجمعُ غِربان، قال ذو الرُّمّة:

بالزُّرقِ الحمائلِ بعدَ ما من غِربانِ أوراكاها الخطرُ  
تقوّب: تقشر ما على أوراكاها من سلجها وبولها، من ضربها بأذناها.

## غراب البين

وكلُّ غرابٍ فقد يقال له غراب البين إذا أرادوا به الشؤم، أمَّا غراب البين نفسه، فإنَّه غرابٌ صغير، وإثما قيل لكلِّ غرابٍ غراب البين، لسقوطها في مواضع منازلهم إذا بانوا عنها، قال أبو خولة الرَّباحي:

يبربوع إلى العقل فاقه ولا دنس يسودُّ منه ثيابها  
بنوكي مالك إن كفرتم لهم هذه أم كيف بعدُ خطابها  
ليسوا مُصلحين عشيرةً ولا ناعبٍ إلا بين غرابها

## الوليد بن عقبة وعبد الله بن الزبير

ومن الدليل على أنَّ الغراب من شرار الطير، ما رواه أبو الحسن قال: كان ابنُ الزبير يقعد مع معاوية على سريره، فلا يقدر معاوية أن يمتنع منه، فقال ذات يومٍ: أما أحدٌ يكفيني ابن الزبير؟ فقال الوليد بن عقبة: أنا أكفيكه يا أمير المؤمنين، فسبق فقعد في مقعده على السرير، وجاء ابن الزبير فقعد دون السرير، ثمَّ أنشد ابن الزبير:

أباناً بعد ما كان نافعاً كان دكوانٌ تكنى أبا عمرو  
فانحدر الوليدُ حتى صار معه، ثم قال:

خُرَّة مهَّدتْ عليكم صفيَّة ما عُديتْ في التَّفيرِ  
عُرَفَ الزبيرُ ولا أبوه جلس الزبير على السريرِ  
أنَّ أممكم غراب شرَّ طيرٍ في الطيورِ

## القواطع والأوابد

قال أبو زيد: إذا كان الشتاء قطعت إلينا الغربان، أي جاءت بلادنا، فهي قواطعُ إلينا، فإذا كان الصيف فهي رواجع، والطير التي تقيم بأرض شتاءها وصيفها أبداً فهي الأوابد، والأوابد أيضاً هي الدواهي، يقال جاءنا بآبدة، ومنها أوابد الوحش، ومنها أوابد الأشعار، والأوابد أيضاً: الإبل إذا توحَّش منها شيءٌ فلم يُقدَّر عليه إلا بعقر، وأنشد أبو زيد في الأوابد:

طامٍ فلم ألق به فراطا  
ورَدته التقاطا  
القطا أوابداً غطاطا

## صوت الغراب

ويقال نغق الغراب ينغق نغيقاً، بغين معجمة، ونعت ينعب نعباً بعين غير معجمة، فإذا مرّت عليه السنون الكثيرة وغلظ صوته قيل شحج يشحج شحجاً، وقال ذو الرّمة:

**وَمُسْتَشْحَجَاتٍ بِالْفِرَاقِ كَأَنَّهَا مَثَاكِيلُ مِنْ صِيَابَةِ النَّوْبِ نُوحٍ**

والنّوبُ توفسة توصف بالجزع. أثر البادية في رجال الروم والسند وأصحاب الإبل يرغبون في اتخاذ النوبة والبربر والرّوم للإبل، يرون أنهم يصلحون على معاشها، وتصلح على قيامهم عليها. ومن العجب أنّ رجال الرّوم تصلح في البدو مع الإبل، ودخول الإبل بلاد الروم هو هلاكها، فأما السند؛ فإنّ السنديّ صاحب الخربة إذا صار إلى البدو، وهو طفل، خرج أفصح من أبي مهديّة، ومن أبي مطرف الغنويّ، ولهم طبيعة في الصّرف، لا ترى بالبصرة صيرفيّاً إلا وصاحب كيسه سنديّ. نبوغ أهل السند واشترى محمّد بن السّكن، أبا رّوح فرجاً السندي، فكسب له المال العظيم، فقلّ صيدلانيّ عندنا إلا وله غلام سنديّ، فبلغوا أيضاً في التّزهار والمعرفة بالعقاقير، وفي صحّة المعاملة، واجتلاب الحرفاء مبلغاً حسناً. وللسنديّ في الطبخ طبيعة، ما أكثر ما ينجبون فيه. وقد كان يحيى بن خالد أراد أن يحوّل إجراء الخيل عن صبيان الحبشان والنّوبة، إلى صبيان السند، فلم يفلحوا فيه، وأراد تحويل رجال السند إلى موضع الفّرّاشين من الرّوم، فلم يفلحوا فيه، وفي السنديّ حلو جواد، وكذلك بنات السنديّ. استطراد لغوي والغراب يسمّى أيضاً حاتماً، وقال عوف بن الخرع:

**أَهْجُو صَفِيَّ بْنَ ثَابِتٍ مَتَّبِجَةً لَاقَتْ مِنَ الطَّيْرِ حَاتِمًا**

وقال المرقّش، من بني سدّوس:

أغدو على واق وحاتم  
من الأيام كالأشائم  
شرّ على أحدٍ بدائم

عدوث وكنث لا  
الأشائم كالأيا  
وكذاك لا خير ولا

وأنشد لحنيم بن عدّي:

بهيبٍ إذا شدّ رخله يقولُ عداني اليوم واق وحاتمُ

يمضي على ذاك مُقْدَمَصَدَّ عَنْ تَلِكِ الْهِنَاتِ الْخُثَارِمُ  
والخثارم: هو المتطيّر من الرّجال، وأما قوله: واق وحاتم فحاتم هو الغراب، والواقى هو الصّرد، كَأَنَّهُ  
يرى أنّ الرّجر بالغراب إذا اشتقّ من اسمه العزبة، والاعتراب، والغريب، فإنّ ذلك حتم، ويشتق من  
الصّرد التصريد، والصّرد وهو البرد، وبدلك على ذلك قوله:

صَرْدُ يَوْمًا عَلَى غَضْنٍ وَصَاحَ بِذَاتِ الْبَيْنِ مِنْهَا غَرَابُهَا  
شَوْحَطٍ : أَتَصْرِيذُ وَشَحَطُ وَغَرَبَتْهَا لِعَمْرِي نَائِيهَا وَاغْتِرَابُهَا  
فَاشْتَقُّ النَّصْرِيذَ مِنَ الصُّرْدِ، وَالْعُرْبَةَ مِنَ الْغُرَابِ، وَالشَّحَطَ مِنَ  
الشَّحَطِ.

ويقال أُغْرِبَ الرَّجُلُ: إذا اشتدَّ مرضه، فهو مُعْرَبٌ.  
قال: والعنقاء المُعْرِبُ، العقاب، لأنها تجيء من مكان بعيد.  
أصل التطير في اللغة قال: وأصل التطيّر إنما كان من الطير ومن  
جهة الطير، إذا مرَّ بارحاً أو سانحاً، أو رآه يتفلى وينتف، حتى صاروا  
إذا عاينوا الأعور من النَّاسِ أو البهائم، أو الأعضب أو الأبت، زجروا  
عند ذلك وتطيّروا عندها، كما تطيّرُوا من الطير إذا رآها على تلك  
الحال، فكان زجر الطير هو الأصل، ومنه اشتقوا التطيّر، ثمَّ استعملوا  
ذلك في كلِّ شيء.

## أَسْمَاءُ الْغُرَابِ

والغراب لسواده إن كان أسود، ولاختلاف لونه إن كان أبقع، ولأنه غريب يقطع إليهم، ولأنه لا يوجد في موضع خيامهم يتقَّمم، إلاَّ عند مباينتهم لمساكنهم، ومزايلتهم لدورهم، ولأنه ليس شيءٌ من الطير أشدَّ على ذوات الدَّبر من إبلهم من الغربان، ولأنه حديدُ البصر فقالوا عند خوفهم من عينه الأعور، كما قالوا: غراب لاغترابه وغرْبته وغراب البين، لأنَّه عند بينوتهم يوجد في دُورهم. ويسمُّونه ابن داية، لأنَّه ينقب عن الدَّبر حتَّى يبلغ إلى دايات العنق وما اتصل بها من خرزات الصُّلب، وفقار الظهر.

### مراعاة التفاؤل في التسمية

وللطَّيرة سمَّت العرب المنهوش بالسَّليم، والبرِّيَّة بالمفازة، وكنوا الأعمى أبا بصير، والأسود أبا البيضاء، وسمَّوا الغراب بحاتم، إذ كان يحتم الرِّجْر به على الأمور، فصار تطيُّرهم من القعيد والتَّطيح ومن جرد الجراد، ومن أن الجراد ذات ألوان، وجميع ذلك - دون التَّطيُّر بالغراب،

### ضروب من الطَّيرة



ولإيمان العرب باب الطَّيْرَةِ والفأل عقْدُوا الرِّتَائِمَ، وعشَّروا إذا  
دخلوا القرى تعشير الحمار، واستعملوا في القداح الأمر، والناهي،  
والمتربِّص، وهنَّ غيرُ قَداح الأيسار.

## قاعدة في الطيرة

ويَدُلُّ على أنهم يشتقون من اسم الشيء الذي يعاينون ويسمعون، قولُ سَوَّارِ ابنِ المضَرَّبِ:

الطائران بين ليلي على غصنين من عَرَبٍ وبانٍ  
البانُ أن بانَتْ سُليْمى وفي العَرَبِ اغْتِرابٌ غيرُ دانٍ  
فاشتقَّ كما ترى الاغْتِرابَ من العَرَبِ، والبيئونة من البانِ.  
وقال جرّان العود:

يوم رُحنا بالجمال نُزِفُهُقَابٌ وشَحَّاجٌ من البين يَبْرُحُ  
العُقَابُ فهي منها عقوبة جعل الشَّحَّاجُ هو الغراب البارج وصاحب البين، واشتقَّ منه  
الغريب المطوَّح.  
ورأى السَّمهريُّ غراباً على بانيةٍ ينتف ريشه، فلم يجد في البانِ إلاَّ البيئونة، ووجد في الغراب جميع  
معاني المكروه، فقال:

غراباً واقعاً فوق بانيةٍ يُنْتَفِ أعلَى ريشه ويُطايِرُهُ  
ولو أني أشاء زَجَرْتُبفسي للنهدِيَّ: هل أنت زاجرُهُ  
غرابٌ باغْتِرابٍ من الوالِيانِ بينُ من حبيب تعاشرُهُ  
فذكر الغرابُ بأكثر ممَّا ذُكر به غيرُهُ، ثمَّ ذكر بعدُ شأنَ الريشِ وتطاييره، وقال الأعشى:  
تَعِيفُ اليَوْمَ في الطيرِ الرَّوْحَنُ غرابِ البينِ أو تيسِ بَرَحُ  
فجعل التَّيسَ من الطَّيْرِ، إذ تقدم ذكر الطير، وجعله من الطير في معنى التطيُّر.  
وقال النَّابغة:

البوارِحُ أنَّ رِحلتنا عَدَاً وبذاك خَبَرنا الغرابُ الأسودُ

وقال عنتره:

الذين فراقَهُمْ أتَوْعُ وجرى بَيْنِهِمُ الْغُرَابُ الْأَبْقَعُ  
الجناحَ كَأَنَّ لَحْيِي رَأْسِهِ جَلْمَانِ بِالْأَخْبَارِ هَشًّا مُوَلَعٌ  
فَزَجْرْتُهُ أَلَّا يُفْرِحَ بِيضُهُ أبدأ وَيُصْبِحُ خَائِفًا يَتَفَجَّعُ  
الذين نَعَبَ لي بفراقِهِمْ أسهروا ليلي التَّمَامَ فَأَوْجَعُوا  
فقال: وجرى بينهم الغراب لأنه غريب، ولأنه غراب البين، ولأنه  
أبقع، ثم قال: حرق الجناح تطيراً أيضاً من ذلك، ثم جعل لَحْيِي رَأْسِهِ  
جَلْمَيْنِ، والجلم يقطع، وجعله بالأخبار هَشًّا مُوَلَعًا، وجعل نعييه  
وشحيجه كالخبر المفهوم.

## التشاؤم بالغراب

قال: فالغراب أكثر من جميع ما يُتَطَيَّرُ به في باب الشؤم، ألا تراهم  
كلما ذكروا ممَّا يتطيرون منه شيئاً ذكروا الغراب معه.  
وقد يذكرون الغراب ولا يذكرون غيره، ثم إذا ذكروا كلَّ واحدٍ من  
هذا الباب لا يمكنهم أن يتطيروا منه إلا من وجهٍ واحد، والغراب  
كثير المعاني في هذا الباب، فهو المقدم في الشؤم، دفاع صاحب  
الغراب قال صاحبُ الغراب: الغرابُ وغير الغراب في ذلك سواء،  
والأعرابيُّ إن شاء اشتقَّ من الكلمة، وتوهمَّ فيها الخير، وإن شاء  
اشتقَّ منها الشرُّ، وكلُّ كلمةٍ تحتلُّ وجوهاً.  
ولذلك قال الشاعر:

وأصحابي ببطن طويلٍ صُحَيًّا وقد أفضى إلى اللَّبِّ  
الْحَبْلُ  
ظبيةً تعطو سيالاً تصوِّجاً ذبها الأفنان ذو جُدد طفل  
وعِفت: الحبلُ حبلٌ من سلماك وانصرم الحبلُ  
وصالها  
سيال قَدْ تيسَّلت مَوْتَصُورٌ عُصُوناً صار جثمانها يعلو  
الغريِّرَ الطِّفلَ طفلاً أتت لأصحابي: مضئكم جهل

رُجُوعِي حَزْمٌ وَامْتِرَائِي صِكَّةٌ لَكَ كَانَ الرَّجْرُ يَصْدُقُنِي قَبْلُ  
وقال ابن قيس الرُّقِيَّات:

الظَّبِّيُّ وَالْعُرَابُ بُسْعُدِي مَرِحَبًا بِالَّذِي يَقُولُ الْغَرَابُ

وقال آخر:

قَصَدْنَا عَامِدِينَ لِأَرْضِنَا سَنِيحُ فَقَالَ الْقَوْمُ: مَرَّ سَنِيحُ  
رَجَالُ أَنْ يَقُولُوا وَجْمَعْمَوْقَلْت لَهُمْ: جَارِ إِلَيَّ رَبِيحُ  
بِأَعْقَابِ مِنَ الدَّارِ بَعْدَ مَمْلُضَتِ نِيَّةٍ لَا تَسْتَطَاعُ طَرُوحُ  
: دَمٌ دَامَتْ مَوْدَّةٌ بَيْنَنَا وَعَادَ لَنَا غَضُ الشَّبَابِ صَرِيحُ  
صَحَابِي: هُدُودٌ فَوْقَ بَاهِدَيَّ وَبَيَانٌ فِي الطَّرِيقِ يَلُوحُ  
: حَمَامَاتُ فَحْمٍ لِقَاؤُهُ وَطَلْحُ فَنِيْلَتِ وَالْمَطِيُّ طَلِيحُ  
قالوا: فهو إذا شاء جعل الحمام من الجِمام والحميم والحمى، وإن شاء قال: وقالوا حماماتُ فحمٍ  
لِقَاؤِهَا وَإِذَا شَاءَ اشْتَقَّ الْبَيْنَ مِنَ الْبَانِ، وَإِذَا شَاءَ اشْتَقَّ مِنْهُ الْبِيَانُ.  
وقال آخر:

: عَقَابُ قَلْتُ عُقْبِي مِنْ دَنْتٍ بَعْدَ هَجْرٍ مِنْهُمْ وَنَزُوحُ

: حَمَامَاتُ فَحْمٍ لِقَاؤُهُمَا لَنَا حُلُوُّ الشَّبَابِ رَبِيحُ

: تَغْنِي هَدِيدٌ فَوْقَ بَاهِدَيْكَ: هُدَى نَعْدُو بِهِ وَنَرُوحُ

ولو شاء الأعرابيُّ أَنْ يَقُولَ إِذَا رَأَى سِوَادَ الْغَرَابِ: سِوَادٌ سَوْدَدٌ، وَسِوَادُ الْإِنْسَانِ: شَخْصُهُ، وَسِوَادُ  
الْعِرَاقِ: سَعْفُ نَخْلِهِ، وَالْأَسْوَدَانُ: الْمَاءُ وَالتَّمْرُ، وَأَشْبَاهُ ذَلِكَ - لِقَالِهِ.  
قال: وهؤلاء بأعيانهم الذين يصرِّفون الرُّجْرُ كَيْفَ شَاؤُوا، وَإِذَا لَمْ يَجِدُوا مِنْ وَقُوعِ شَيْءٍ بَعْدَ الرَّجْرِ بُدًّا  
- هُمُ الَّذِينَ إِذَا بَدَأَ لَهُمْ فِي ذَلِكَ بَدَأَ أَنْكَرُوا الطَّيْرَةَ وَالرَّجْرَ الْبَيْتَةَ.  
تَطْيِيرُ النَّابِغَةِ وَمَا قِيلَ فِيهِ مِنَ الشَّعْرِ وَقَدْ زَعَمَ الْأَصْمَعِيُّ أَنَّ النَّابِغَةَ خَرَجَ مَعَ رَبَّانٍ بِنِ سَيَّارِ يَرِيدَانِ  
الْغَزْوِ، فَبَيْنَمَا هُمَا يَرِيدَانِ الرَّحْلَةَ إِذْ نَظَرَ النَّابِغَةُ وَإِذَا عَلَى ثَوْبِهِ جَرَادَةٌ تَجَرَّدَتْ ذَاتُ الْوَانِ، فَتَطْيَّرَ وَقَالَ:  
غَيْرِي الَّذِي خَرَجَ فِي هَذَا الْوَجْهِ فَلَمَّا رَجَعَ زَبَّانٌ مِنْ تِلْكَ الْغَزْوَةِ سَالِمًا غَانِمًا، قَالَ:

لِتَخِيرَهُ وَمَا فِيهَا خَبِيرُ  
أَشَارَ لَهُ بِحُكْمَتِهِ مُبَشِّرُ  
عَلَى مَتَطْيِيرٍ وَهُوَ التَّبُورُ

طَيْرَهُ فِيهَا زِيَادُ  
كَأَنَّ لِقَمَانَ بِنِ عَادٍ  
أَنَّهُ لَا طَيْرَ إِلَّا

شيءٌ يوافق بعض شيءٍ أحايينا وباطله كثيرٌ  
فزعم كما ترى رَبَّان - وهو من دهاة العرب وساداتهم - أنّ الذي يجدونه إنّما هو شيءٌ من طريق  
الاتفاق، وقال:

أَنَّهُ لَا طَيْرَ إِلَّا عَلَى مَتَطِيرٍ وَهُوَ التُّبُورُ  
وهذا لا ينقض الأول من قوله: أمّا واحدة فإنه إنّ جعل ذلك من طريق العقاب للمتطير لم ينقض  
قوله في الاتفاق، وإن ذهب إلى أنّ مثل ذلك قد يكون ولا يشعر به اللاهبي عن ذلك والذي لا يؤمن  
بالطيرة، فإنّ المتوقّع فهو في بلاء مادام متوقّعاً، وإن وافق بعضُ المكروه جعله من ذلك.  
تطير ابن الزبير ويقال إنّ ابن الزبير لما خرج مع أهله من المدينة إلى مكّة، سمع بعض إخوته ينشد:

بني أمّ سَيِّمَسُونَ لَيْلَةً يَبْقَ مِنْ أَعْيَانِهِمْ غَيْرٌ وَاحِدٍ  
فقال لأخيه: ما دعاك إلى هذا؟ قال: أما إني ما أردته قال: ذلك أشدُّ له.  
وهذا منه إيمان شديد بالطيرة كما ترى، بعض من أنكر الطيرة وممن كان لا يرى الطيرة شيئاً  
المرقش، من بني سدوس، حيث قال:

غدوت وكنت لا الأشائم كالأيا  
أغدو على واق وحاتم من والأيامن كالأشائم  
لا خير ولا شرٌّ على أحد بدائم  
قال سلامة بن جندل:

تعرّض للغربان يزجرها على سلامته لا بدّ مشؤوم  
وممن كان ينكر الطيرة ويوصي بذلك، الحارث بن حلزة، وهو قوله - قال أبو عبيدة: أنشدنيها أبو  
عمرو، وليست إلا هذه الأبيات، وسائر القصيدة مصنوع مولد - وهو قوله:

المزيمُ ثم انثنى قعيد أغضبُ قرْنُهُ  
لا يثنيكَ الحازي ولا الشاجحُ هاج له من مَرَبِعِ هَائِجُ  
الفتى يسعى وَيُسْعَى له تاح له من أمره خالِجُ  
ما رَفَّح من عيشه يعيثُ فيه همَجُ هامِجُ  
تكسع الشول بأغبارها إنك لا تَدْرِي من الناتِجُ  
وقال الأصمعي: قال سلّم بن قتيبة: أضللت ناقة لي عشراء، وأنا بالبدو، فخرجت في طلبها، فتلقاني  
رجلٌ بوجهه شينٌ من حرق النار، ثم تلّقاني رجُلٌ أخذ بخطام بعيره، وإذا هو ينشد:

## بغيت لها البغا ة فما البغاة بواجدينا

ثم من بعد هذا كله، سألت عنها بعض من لقيته، فقال لي: التمسها عند تلك النار، فأتيتهم فإذا هم قد نتجوها حُوراً، وقد أوقدوا لها ناراً فأخضت بخطامهم وانصرفت.

عدم إيمان النَّظَّام بالطيرة وأخبرني أبو إسحاق إبراهيم بن سيَّار النَّظَّام قال: جَعْتُ حَتَّى أَكَلت الطين، وما صِرت إلى ذلك حَتَّى قَلبت قلبي أتذكّر: هلُ بها رجلٌ أصيبُ عنده غداً أو عشاء، فما قدرت عليه، وكان علي جُبَّةٌ وقميصان، فنزعتُ القميص الأسفل فبعته بدريهمات، وقصدتُ إلى قُرْصَةِ الأهواز، أريد قِصْبَةَ الأهواز، وما أعرف بها أحداً، وما كان ذلك إلا شيئاً أخرجهُ الصَّجْر وبعض التعرُّض، فوافيتُ الفُرْصَةَ فلم أصبُ فيها سفينة، فتطيرتُ من ذلك، ثم إنني رأيت سفينةً في صدرها حَرْقٌ وهشم فتطيرتُ من ذلك أيضاً، وإذا فيها حمولة، فقلت للملاح: تحملني؟ قال: نعم، قلت: ما اسمك؟ قال: داوداد وهو بالفارسية الشَّيطان، فتطيرت من ذلك، ثم ركبت معه، تصكُّ الشمال وجْهي، وتُثير بالليل الصَّقِيعَ على رأسي، فلما قربنا من الفرصة صِحت: يا حمَّال معي لحافٌ لي سَمَل، ومضربة خلق، وبعضُ ما لا بُدَّ لمثلي منه، فكان أول حمَّال أجابني أعور فقلت

لبقار كان واقفاً: بكم تكري ثورك هذا إلى الخان؟ فلما أدناه من متاعي إذا الثور أعصبُ القرن، فازددتُ طيرة إلى طيرة، فقلت في نفسي: الرجوع أسلم لي، ثم ذكرت حاجتي إلى أكل الطين فقلت: ومن لي بالموت؟ فلما صرْتُ في الخان وأنا جالس فيه، ومتاعي بين يديَّ وأنا أقول: إن أنا خلفته في الخان وليس عنده من يحفظه فُشَّ البابُ وسرق، وإن جلست أحفظه لم يكن لمجيئي إلى الأهوازِ وَجْه، فبينما أنا جالس إذ سمعت قزع الباب، قلت: من هذا عفاك الله تعالى؟ قال: رجلٌ يريدك، قلت: ومن أنا؟ قال: أنت إبراهيم، فقلت: ومن إبراهيم؟ قال: إبراهيم النَّظَّام، قلت: هذا خَنَّاق، أو عدُوُّ، أو رسولُ سلطان ثم إنني تحاملتُ وفتحْتُ البابَ، فقال: أرسلني إليك إبراهيم بن عبد العزيز ويقول: نحن وإن كُنَّا اختلفنا في بعض المقالة، فإنَّا قد نرجع بعد ذلك إلى حقوقِ الإخلاق والحريَّة، وقد رأيتك حين مررت بي على حال كرهتها منك، وما عرفتك حتى خبرني عنك بعضُ من كان معي وقال: ينبغي أن يكون قد نزعْتُ بك حاجة، فإن شئت فأقم بمكانك شهراً أو شهرين، فعسى أن نبعث إليك ببعض ما يكفيك زمناً من دهرك، وإن اشتهيت الرجوع فهذه ثلاثون مثقالاً، فخذها وانصرف، وأنت أحقُّ ممن عَـذَرَ.

قال: فهجم والله عليَّ أمرٌ كاد ينقضني، أما واحدةً: فأني لم أكن ملكاً قبل ذلك ثلاثين ديناراً في جميع دهري، والثانية: أنه لم يطلع مقامي وغيبتي عن وطني، وعن أصحابي الذين هم على حال أشكل بي وأفهم عني، والثالثة: ما بين لي من أن الطيرة باطل؛ وذلك أنه قد تتابع عليَّ منها ضروبٌ، والواحدة منها كانت عندهم مُعطبة. قال: وعلى مثل ذلك الاشتقاقِ يعملُ الذين يعبرون الرؤيا. عجيبة الغربان بالبصرة وبالْبصرة من شأن الغربان ضروبٌ من العجب، لو كان ذلك بمصر أو ببعض الشامات: لكان عندهم من أجودِ الطلسم، وذلك أن الغربان تقطع إلينا في الخريف، فترى النخلَ وبعضها مصرومة، وعلى كلِّ نخلة عددٌ كثيرٌ من الغربان، وليس منها شيءٌ يقرب نخلةً واحدةً من النخل الذي لم يُصرم، ولو لم يبق عليها إلا عذقٌ واحد، وإنما أوكار جميع الطير المصوّت في أقلاب تلك النخل، والغراب أطيرٌ وأقوى منها ثم لا يجترئ أن يسقط على نخلة منها، بعد أن يكون قد بقي عليها عذقٌ واحدٌ.

## منقار الغراب

ومنقار الغراب مَعُول، وهو شديد النَّقْرِ، وإِنَّه ليَصِلُ إلى الكمأة المُنْدِفنة في الأرض بنقرة واحدة حتى يشخصها، وهو أبصرُ بمواقع الكمأة من أعرابيِّ يطلُّها في منبتِ الإجرِّدِّ والقِصيصِ، في يومٍ له شمس حارَّة، وإن الأعرابيِّ ليحتاجُ إلى أن يرى ما فوقها من الأرض فيه بَعْضُ الانتفاخِ والانصداعِ، وما يحتاجُ الغرابُ إلى دليلٍ، وقال أبو دُوادٍ الإباديِّ:

## الحصى صُعْدًا شَرْقِيًّا الغراب بأعلى أنفه العَرْدَا مَنْسَمَهَا

ولو أنَّ الله عزَّ وجلَّ أذن للغراب أن يسقط على النخلة وعليها الثُّمرة لذهبت، وفي ذلك الوقت لو أنَّ إنساناً نقر العِدْقُ نقرةً واحدةً لانتثر عامَّة ما فيه، ولهلكتُ غلاتُ الناسِ، ولكنتُ ترى منها على كلِّ نخلة مصرومة الغربانَ الكثيرة، ولا ترى على التي تليها غراباً واحداً، حتى إذا صرموا ما عليها تسابقن إلى ما سقط من التمر في جوف الليف وأصول الكَرَب لتستخرجه كما يستخرج المَنَّاخُ الشُّوكَ.

## حوار في نفور الغربان من النخل

فإن قال قائل: إنما أشباح تلك الأعداق المدلاة كالخِرْقِ الشُّود التي تُفزع الطير أن يقع على البزور، وكالقودام الشُّودِ تغرُّرُ في أسنمة ذوات الدَبْرِ من الإبل، لكيلا تسقط عليها الغربان، فكأنها إذا رأت سواد الأعداق فزععت كما يفزع الطير من الخِرْقِ الشُّود. قال الآخر: قد نجدُ جميع الطير الذمي يفزع بالخِرْقِ الشُّود فلا يسقط على البزور، يقع كله على النخل وعليه الحمل، وهل لعامَّة الطيِّر وكور إلا في أقلابِ النَّخْلِ ذوات الحمل. قال الآخر: يشبه أن تكون الغربان قطعاً إلينا من مواضع ليس فيها تَحْلُّ ولا أعداق، وهذا الطير الذي يفزع بالخِرْقِ الشُّودِ إمَّا حُلِقَتْ ونشأت في المواضع التي لم تنزل ترى فيها النَّخيل والأعداق، ولا نعرف لذلك علماً سوى هـذا.



قال الآخر: وكيف يكون الشأن كذلك ومن الغربان غرباناً أوابدُ بالعراق فلا تبرحُ تعشش في رؤوس النخل، وتبيض وتفرح، إلا أنها لا تقرب النخلة التي يكون عليها الحمل. والدليل على أنها تعشش في نخل البصرة، وفي رؤوس أشجار البادية قولُ الأصمعيّ:

زردك مثل مكن الصَّبَابِ      يُناوح عياداته السيمكان  
شكر فيه عُشُّ الغرابِ      ومن جيسرانٍ وبنّاذجان  
وقال أبو محمد الفقعسيّ وهو يصف فحل هَجْمَةَ:

عَدَبَسُ جُرَائِضُ      أَكَلُ مَرَبْدُ هَصُورُ هَائِضُ  
يعتش الغرابُ البائِضُ

## ما يتفائل به من الطير والنبات

والعامّة تتطيّر من الغراب إذا صاح صيحة واحدة، فإذا ثنى تفاعلت به. واليوم عند أهل الرّيّ وأهل مَرَوْ يُتفائل به، وأهل البصرة يتطيرون منه، والعربيّ يتطيّر من الخلاف، والفارسي يتفائل إليه، لأنّ اسمه بالفارسية بادامك أي يبقى، وبالعربية خلاف، والخلاف غيرُ الوفاق. والريحان يُتفائل به، لأنه مشتقُّ من الرّوح، ويتطيّر منه لأن طعمه مُرٌّ، وإن كان في العين والأنف مقبلاً.

وقال شاعرٌ من المحدثين:

له أحبّاه أُتْرَجَّةً      فبكي وأشفق من عيافة زاجرٍ  
متطيّراً ممّا أتاه فطعمه      لوانان باطنه خلافُ الظاهرِ  
والفرس تحبُّ الآس وتكره الورد، لأن الورد لا يدوم، والآس دائم.

قال: وإذا صاح الغرابُ مرتين فهو شرٌّ، وإذا صاح ثلاث مرّات فهو خير، على قدر عدد الحروف.

## عداوة الحمار للغراب

ويقال: إنَّ بين الغراب والحمار عداوةً، كذا قال صاحب المنطق.  
وأنشدني بعض النحويين:

لا زلت في تبابٍ عداوة الحمار للغراب

## أمثال في الغراب

ويقال: أصحُّ من غراب، وأنشد ابن أبي كريمة لبعضهم، وهو يهجو صريع الغواني مسلم بن الوليد:

ريحُ السَّدابِ أشدُّ بُغْضاً الحَيَّاتِ منكِ إلى الغواني

وأنشد:

وأصلبُ هامةً من ذي حُيودٍ ودُون صداعه حُمى الغراب  
وزعم لي داهيةً من دهاة العرب الحوائين، أنَّ الأفاعي وأجناس الأحناس، تأتي أصول الشَّيحِ  
والحزْمِ لـ، تسـ تظل بـه، وتسـ تريح إليـه.

ويقال: أغربُّ من غراب، وأنشد قول مضرِّس بن لقيط:

وأصحابي وكري عليهم على كلِّ حال من نشاط ومن

سأم

من الغربان أيام قرّةٍ لحاماً بالعراص على وضم  
حديث الطيرة وقد اعترض قومٌ علينا في الحديث الذي جاء في تفرقة ما بين الطيرة والفأل،  
وزعموا أنه ليس لقوله: كان يعجبه الفأل الحسن ويكره الطيرة معنى، وقالوا: إن كان ليس لقول  
القائل: يا هالك، وأنت باغٍ، وجهٌ ولا تحقيق، فكذلك إذا قال: يا واجد، ليس له تحقيق، وليس قوله يا  
مضلُّ وبا مهلك، أحقُّ بأن يكون لا يوجب ضللاً ولا هلاكاً من قوله يا واجد، وبا ظافر، من ألا يكون  
يوجب ظفراً ولا وجوداً، فإمّا أن يكونا جميعاً يوجبان، وإما أن يكونا جيمعاً لا يوجبان، قيل لهم: ليس  
التأويل ما إليه ذهبتُم، لو أن النَّاس أَمَلُوا فائدة الله عزَّ وجلَّ ورجوا عائِدته، عند كلِّ سبب ضعيف  
وقويٍّ، لكانوا على خير، ولو غلطوا في جهة الرِّجاء لكان لهم بنفس ذلك الرِّجاء خير، ولو أنهم بدل  
ذلك قطعوا أملهم ورجاءهم من الله تعالى، لكان ذلك من الشرِّ والفأل، أن يسمع كلمةً في نفسها  
مستحسنة، ثمَّ إن أحبَّ بعد ذلك أو عند ذلك أن يحدث طمعاً فيما عند الله تعالى، كان نفس الطمع  
خلاف اليأس، وإنما خبر أنه كان يعجبه، وهذا إخبارٌ عن الفطرة كيف هي، وعن الطبيعة إلى أيِّ شيء  
تتقلَّب.

وقد قيل لبعض الفقهاء: ما الفأل؟ قال: أن تسمع وأنت مُصِلُّ: يا واجد، وأنت خائف: يا سالم، ولم يقل إنَّ الفأل يوجب لنفسه السلامة، ولكنَّهم يحبُّون له إخراج اليأس وسوء الظن وتوقُّع البلاء من قلبه على كل حال - وحال الطيرة حال من تلك الحالات - ويحبون أن يكون لله راجياً، وأن يكون حسن الظن، فإن ظنَّ أن ذلك المرجوُّ يُوافقُ بتلك الكلمة ففرح بذلك فلا بأس، تطير بعض البصريين وقال الأصمعيُّ: هرب بعض البصريين من بعض الطَّواعين، فركب ومضى بأهله نحو سَقَوَان، فسمع غلاماً له أسود يحدو خلفه، وهو يقول:

يُسَبِّقُ اللَّهُ عَلَى حِمَارِ  
الْحَيْنِ عَلَى مَقْدَارِ  
فَلَمَّا سَمِعَ ذَلِكَ رَجَعَ بِهِمْ.  
وَلَا عَلِيٍّ ذِي مَيْعَةٍ مَطَّارِ  
قَدْ يَصْبِحُ اللَّهُ أَمَامَ السَّارِي

## معرفة في الغربان

قال: والغربان تسقط في الصحارى تلتمس الطُّعم، ولا تزال كذلك، فإذا وجبت الشمس نهضت إلى أوكارها معاً، و ما أقلَّ ما تختلط البُقُوع بالسُّود المصممة.

الأنواع الغريبة من الغربان قال: ومنها أجناس كثيرة عظام كأمثال الحداء السُّود، ومنها صغار، وفي مناقيرها اختلاف في الألوان والصور، ومنها غربان تحكي كلَّ شيء سمعته، حتى إنها في ذلك أعجب من البيغاء، وما أكثر ما يتخلف منها عندنا بالبصرة في الصيف، فإذا جاء القيظ قلَّتْ، وأكثر المتخلفات منها البقع، فإذا جاء الخريف رجعت إلى البساتين، لتنال مما يسقط من التمر في كرب

النَّخْلُ فِي الْأَرْضِ، وَلَا تَقْرُبُ النَّخْلَةَ إِذَا كَانَ عَلَيْهَا عَذْقٌ وَاحِدٌ، وَأَكْثَرُ  
هَذِهِ الْغُرَبَانَ سُودٌ، وَلَا تَكَادُ تَرَى فِيهِمْ أَبْقَعَ، قَبِحَ فَرخُ الْغُرَابِ وَقَالَ  
الْأَصْمَعِيُّ: قَالَ خَلْفٌ: لَمْ أَرَ قَطُّ أَقْبَحَ مِنْ فَرخِ الْغُرَابِ رَأَيْتَهُ مَرَّةً  
فَإِذَا هُوَ صَغِيرُ الْجِسْمِ، عَظِيمُ الرَّأْسِ، عَظِيمُ الْمَنْقَارِ، أَجْرَدُ أَسْوَدُ  
الْجِلْدِ، سَاقِطُ النَّفْسِ، مَتَفَاوَتُ الْأَعْضَاءِ.  
غُرَبَانَ الْبَصْرَةَ قَالَ: وَبَعْضُهَا يَقِيمُ عِنْدَنَا فِي الْقَيْظِ، فَأَمَّا فِي الصَّيْفِ  
فَكَثِيرٌ، وَأَمَّا فِي الْخَرِيفِ فَالذُّهُمُ، وَأَكْثَرُ مَا تَرَاهُ فِي أَعَالِي سَطْوِحِنَا  
فِي الْقَيْظِ وَالصَّيْفِ الْبُقْعُ، وَأَكْثَرُ مَا تَرَاهُ فِي الْخَرِيفِ فِي النَّخْلِ  
وَفِي الشَّيْثَاءِ فِي الْبُيُوتِ السُّودِ.  
وَفِي جَبَلِ تَكْرِيتٍ فِي تِلْكَ الْأَيَّامِ، غُرَبَانٌ سُودٌ كَأَمْثَالِ الْحَدَاءِ السُّودِ  
عَظْمًا.

تَسَافِدُ الْغُرَبَانَ وَنَاسٌ يَزْعَمُونَ أَنَّ تَسَافِدَهَا عَلَى غَيْرِ تَسَافِدِ الطَّيْرِ،  
وَأَنَّهَا تَزَاقُ بِالْمَنْقَارِ، وَتَلْقَحُ مِنْ هُنَاكَ.  
نَوَادِرُ وَأَشْعَارُ تَذَكُرُ شَيْئًا مِنْ نَوَادِرِ وَأَشْعَارِ وَشَيْئًا مِنْ أَحَادِيثِ، مِنْ  
حَارِّهَا وَبَارِدِهَا.

قَالَ ابْنُ نُجَيْمٍ: كَانَ ابْنُ مِيَادَةَ يَسْتَحْسِنُ هَذَا الْبَيْتَ لِأَرْطَاءَ بْنِ سُهَيْبَةَ:

لَهَا يَا أُمَّ بَيْضَاءَ إِنَّهُ هُرَيْقٌ شَبَابِي وَاسْتَشَنَّ أَدِيمِي

وكان الأصمعي يستحسن قول الطرمّاح بن حكيم، في صفة الظّليم:

شُمْلَةٌ بُرْجُدٍ لِسَرَاتِهِ قَدْرًا وَأَسْلَمَ مَا سِوَاهُ الْبَرْجُدُ

ويستحسن قوله في صفة الثور:

وَتَضْمَرَهُ الْبِلَادُ كَأَنَّهُ سَيْفٌ عَلَى شَرَفٍ يُسَلُّ وَيُغْمَدُ

وكان أبو نواسٍ يستحسن قول الطرمّاح:

قُيِّصَتْ نَفْسُ الطَّرْمَاحِ عُرَى الْمَجْدِ وَاسْتَرَخَى عَنَانَ  
أَخْلَقَتْ الْقَصَائِدِ

وقال كثير:

الْمَالُ يَوْجِبُ عَلَيْكَ عَطَاؤَهُ صَنِيعَةَ بَرٍّ أَوْ خَلِيلٍ تَوَامِقُهُ

وَبَعْضُ الْمَنْعِ حَزْمٌ وَقُوَّهُمْ يَفْتَلِكُ الْمَالَ إِلَّا حَقَائِقُهُ

وقال سهل بن هارون؛ يمدح يحيى بن خالد:

تِلَادِ الْمَالِ فِيمَا يَنْوِبُهُ مَنُوعٌ إِذَا مَا مَنَعُهُ كَانَ أَحْزَمًا

قال: وكان ربعي بن الجارود يستحسن قوله:

مَنْكَ مِنْ لَا خَيْرَ فِيهِ وَخَيْرٌ مِنْ زِيَارَتِكَ الْقُعُودُ

وقال الأعشى:

نَطْعُنَ الْعَيْرِ فِي مَكْنُونٍ فَائِلِيَهْشِيْطٍ عَلَى أَرْمَاحِنَا الْبَطْلُ

تَنْتَهَوْنَ وَلَنْ يَنْهَى ذَوِي شَطَطٍ كَالطَّعْنِ يَذْهَبُ فِيهِ الزَّيْتُ  
وَالْقُتْلُ

وقال العلاء بن الجارود:

وَعَلَى الْمَنْقُوشِ دَارُوا

وَلَهُ جَجَّوْا وَزَارُوا

وَلَهُ حَلَّوْا وَسَارُوا

وَلَهُمْ رِيَشٌ لَطَارُوا

أَظْهَرُوا لِلنَّاسِ نِسْكَأً

صَامُوا وَصَلَّوْا

قَامُوا وَقَالُوا

فَوْقَ الثَّرِيَّاتِ

وقال الآخر في مثل ذلك:

ثِيَابَكَ وَاسْتَعَدَّ لِقَابِلِ وَاحْكُ جَبِيْنِكَ لِلْقَضَاءِ بَثُومِ

الدَّيْبِ إِذَا مَشِيَتْ لِحَاجَةٍ حَتَّى تَصِيْبَ وَدِيْعَةً لِيْتِيْمِ

وقال أبو الحسن: كان يقال: من رُقَّ وجهُه رُقَّ عِلْمُه.  
وقال عمير: تفقَّهوا قبل أن تسودوا.  
وقال الأصمعي: وُصِّلت بالعلم، وكسبت بالملح.  
ومن الأشعار الطيبة قول الشاعر في السمك والخادم:

مدبر خفيف دَفيـف دسم الثوب قد شَوَى سمكاتِ  
شبابيط لجة ذات عَمَرٍ حُدْبٌ من شُحومها زَهَماتِ  
ففكُّر فيهم فإتَّهم ساسا ساسا يمتعانك ساساعة.

وقال الشاعر:

علقمة بن سيفٍ سعيه لا أجزه بلاءِ يوم واحدٍ  
حُبُّ الصبيِّ ورَمَّني رَمَّ الهدْيِّ إلى الغنيِّ الواجدِ  
شفيثٌ غليلتي ونقعتها من آل مسعودٍ بماءٍ باردِ

وقال رجل من جرم:

أخوالي أرادوا عمومتي شنعاء فيها ثاملُ السُّمِّ مُنقعا  
سأركبها فيكم وأدعى مفرِّقا شتتم من بعدُ كنت مجمعا  
وقال يونس بن حبيب: ما أكلت في شتاءٍ شيئا قطَّ إلاَّ وقد برد، ولا

أكلت في صيفٍ شيئا إلاَّ وقد سخن.

وقال أبو عمرو المديني: لو كانت البلايا بالحِصص، ما نالني كما نالني:

اختلفت الجارية بالشاة إلى التَّيَّاس اختلافاً كثيراً، فرجعت الجارية

حاملًا والشاة حائل.

وقال جعفر بن سعيد: الخلافُ موكلٌ بكلِّ شيء يكون، حتى القذاة

في الماء في رأس الكوز، فإن أردت أن تشرب الماء جاءت إلى فيك،

وإن أردت أن تصبَّ من رأس الكوز لتخرج رجعت.

## حديث أبي عمران وإسماعيل بن غزوان

وقال إسماعيل بن غزوان: بَكَرْتُ اليوم إلى أبي عمران، فَلَزِمْتُ الجَادَّةَ، فاستقبلني واحدٌ فَلَزِمَ الجَادَّةَ التي أنا عليها، فلما غشيني انحرفتُ عنه يَمَنَةً فأنحرفَ معي، فَعُدْتُ إلى سَمْتِي فَعَادَ، فَعُدْتُ فَعَادَ ثمَّ عُدْتُ فَعَادَ، فلولا أَنَّ صاحبَ بِرْذونٍ فَرَّقَ بيننا لكان إلى الساعة يَكُدُّني، فَدَخَلتُ على أبي عمران فَدَعَا بَعْدَاءَهُ، فَأَهْوَيْتُ بِلِقْمَتِي إلى الصَّبَاغِ فَأَهْوَى إليه بعضُهم، فَنَحَّيْتُ يَدِي فَنَحَّى يَدَهُ، ثمَّ عُدْتُ فَعَادَ، ثمَّ نَحَيْتُ فَنَحَّى، فقلت لأبي عمران: ألا ترى ما نحن فيه؟ قال سأحدثك بأعجبَ من هذا، أنا منذُ أكثرِ مِنْ سنةٍ أَشْفَقْتُ أن يراني ابنُ أبي عون الخياط، فلم يَتَّفِقْ لي أن يراني مَرَّةً واحدةً، فلما أن كانَ أمسٍ ذكرتُ لأبي الحارث الصُّنْعَ في السلامة من رؤيته، فاستقبلني أمسٍ أربَعَ مَرَّاتٍ.

## نوادير وبلاغات

وذكر محمد بن سلام، عن محمد بن القاسم قال: قال جرير: أنا لا أبتدي ولكنني أعتدي.  
وقال أبو عبيدة: قال الحجاج: أنا حديدٌ حَقودٌ حَسودٌ! قال: وقال قديد

بن مَنيع، لَجْدِيع بن عَلِيٍّ: لَكَ حَكْم الصَّبِيِّ عَلَى أَهْلِهِ! وَقَالَ أَبُو إِسْحَاقٍ -  
وَذَكَرَ إِنْسَانًا -: هُوَ وَاللَّهِ أَتَرَفُّ مِنْ رَبِيبِ مَلِكٍ، وَأَخْرَقَ مِنْ امْرَأَةٍ،  
وَأَظْلَمَ مِمَّنْ صَبَّحَ صَبِيًّا.

وَقَالَ لِي أَبُو عُبَيْدَةَ: مَا يَنْبَغِي أَنْ يَكُونَ كَانَ فِي الدُّنْيَا مِثْلَ هَذَا النَّظَامِ،  
قُلْتُ: وَكَيْفَ؟ قَالَ: مَرَّ بِي يَوْمًا فَقُلْتُ: وَاللَّهِ لَأَمْتَحِنَنَّه، وَلَأَسْمَعَنَّ  
كَلَامَهُ؛ فَقُلْتُ لَهُ: مَا عَيْبُ الرَّجَاجِ - قَالَ: يُسْرِعُ إِلَيْهِ الْكَسْرُ، وَلَا يَقْبَلُ  
الْجُبْرَ - مَنْ غَيْرَ أَنْ يَكُونَ فَكَّرَ أَوْ ارْتَدَعَ.  
قَالَ: وَقَالَ جَبَّارُ بْنُ سُلَيْمِ بْنِ مَالِكٍ - وَذَكَرَ عَامِرُ بْنُ الطَّفِيلِ فَقَالَ:  
كَانَ لَا يَضُلُّ حَتَّى يَضِلَّ النَّجْمُ، وَلَا يَعْطِشُ حَتَّى يَعْطِشَ الْبَعِيرُ وَلَا يَهَابُ  
حَتَّى يَهَابَ السَّيْلُ، كَانَ وَاللَّهِ خَيْرَ مَا يَكُونُ حِينَ لَا تَطُنُّ نَفْسٌ بِنَفْسٍ  
خَيْرًا.

وَقَالَ ابْنُ الْأَعْرَابِيِّ: قَالَ أَعْرَابِيٌّ: اللَّهُمَّ لَا تُنْزِلْنِي مَاءً سَوِيًّا فَأَكُونَ  
امْرَأً سَوِيًّا يَقُولُ: يَدْعُونِي قَلْبُهُ إِلَى مَنْعِهِ.  
وَقَالَ مُحَمَّدُ بْنُ سَلَامٍ، عَنْ حَمَادِ بْنِ سَلْمَةَ، عَنِ الْأَزْرَقِ بْنِ قَيْسٍ: إِنَّ  
الْأَحْنَفَ كَانَ يَكْرَهُ الصَّلَاةَ فِي الْمَقْصُورَةِ، فَقَالَ لَهُ بَعْضُ الْقَوْمِ: يَا أَبَا  
بِحْرٍ، لِمَ لَا تَصَلِّي فِي الْمَقْصُورَةِ؟ قَالَ: وَأَنْتَ لِمَ لَا تَصَلِّي فِيهَا؟ قَالَ:  
لَا أُتْرِكُ.



وهذا الكلام يدل على ضروب من الخير كثيرة.  
ودخل عبد الله بن الحسن على هشام في ثياب سفره، فقال: اذكر  
حوادثك، فقال عبد الله: ركابي مُناخَةٌ، وَعَلَيَّ ثِيَابُ سَفْرِي فقال: إِنَّكَ  
لا تجـدني خيراً مئني لك الساعة.  
قال أبو عبيدة: بلغ عمر بن عبد العزيز قدوم عبد الله بن الحسن،  
فأرسل إليه: إني أخاف عليك طواعين الشام، وإِنَّكَ لا تُغْنِمَ أَهْلَكَ  
خيراً لهم منك فالحق بهم، فإنَّ حوائجهم ستسبقك.  
وكان ظاهر ما يكلمونه به ويُرُونه إيَّاه جميلاً مذكوراً، وكان معناتهم  
الكراهة لمقامه بالشام، وكانوا يرون جماله، ويعرفون بيانه وكماله  
فكان ذلك العمل من أجود التدبير فيه عند نفسه.

## شعر في الزهد والحكمة

وأشده:

من الموت الذي هو واقعٌ وللموتِ بابٌ أنتِ لابدَّ داخله

وقال آخر:

أقام على عجوزٍ عشيرةٍ مقلدةٍ سخابا

وقال آخر:

بابٌ وكل الناس داخله شعري بعد الباب ما الدائر  
كنتُ أعلم من يدرى فيخبرني أجنته الخلد ما وأنا أم النَّار

وقال آخر:

لكلِّ مصيبةٍ وتجلدٍ      واعلمْ بأنَّ المرءَ غيرُ مخلدٍ  
ذكرت مصيبة تشجى بها      فاذكرْ مصابك بالنبىِّ محمدٍ

وقال آخر:

والشمس تنعى ساكن ال      دُنيا ويُسعدُها القَمَرُ  
الذين عليهم      رَكْمُ الجَنادِلِ والمَدَرُ  
عَلَس العِشا      ءِ يَهْرُ أَجْنَحَةَ السَّحَرُ  
للقلوب رقيقةً      وكانَ قلبك من حَجَرُ  
تبقى وعو      دُكَّ كلِّ يومٍ يُهْتَصَرُ

وقال زهير:

يُوفٍ لا يُذمُّ وَمَنْ يُفْضِ إلى مطمئن البرِّ لا يتجمجم

يغترب يحسب عدواً صدوقن لا يكرّم نفسه لا يكرّم  
تكن عند امرئ من خالها تخفى على الناس

تُعلم  
يزلُّ يسترحلُ النَّاسُ يُعِفُّها يومًا من الدَّمِ  
يندم

وقال زهير أيضاً:

يطعنهم ما ارتموا حتى إذا      حتى إذا صاربوا اعتنقا

وقال:

البيت والرجل المنادي      أمام الحيِّ عَقْدُهُما سواءُ  
شاهدٌ عدلٌ عليكم      وسِيَّانِ الكَفَالَةُ والنَّلاءُ  
الحقَّ مَقْطَعُهُ ثلاث:      يَمِينٌ أو نِفَارٌ أو جِلاءُ

فتفهّم هذه الأقسام الثلاثة، كيف فصلها هذا الأعرابيُّ. وقال أيضاً:

كان حمد يُخلدُ النَّاسَ لم ولكنَّ حمدَ المرءِ ليسَ بمُخلدٍ

منهُ باقياتٍ وراثَةٌ      فأورثَ بنيك بعضَها وتزوّد  
إلى يوم المماتِ فإنَّه وإنْ كرهته النَّفسُ أخِرُ معهدٍ

وقال الأسدِيُّ:

أَحَبُّ الْخُلْدِ لَوْ أَسْتَطَاعَ الْخُلْدُ عِنْدِي أَنْ أَمُوتَ وَلَمْ أَلْمُ

وقال الحادرة:

علينا لا أبا لأبيكم بإحساننا إنَّ الثَّناءَ هو الخلد

وقال الغنوي:

بلغتمْ أهلکم فتحَدَّثوا ومن الحديث مهالك وُخْلُودُ

وقال آخر:

بتقتيل وعقراً بعقرکم العُطَّاسِ لا يموت من اتَّأزَّ

وقال زهير:

من شرِّ ما تصولِ به والبرُّ كالغيثِ نبثه أمرُ

أي كثير، ولو شاء أن يقول:

كالماءِ نبثه أمرُ

استقام الشعر، ولكن كان لا يكون له معنى، وإِثْمًا أراد أن النبات يكون على الغيث أجود، ثمَّ قال:

أشْهَدُ الشَّارِبَ المَعْدَلِ لا معروفه مُنْكَرَ ولا حَصْرُ

فتيةٍ لِيَنِي المَازِرِ لا يَنْسَوْنَ أَحلامَهُمْ إِذا سَكِرُوا

يَشوُونَ لِلصَّيفِ والعُفاةِ وَيُو فون قضاءً إِذا هُمُ تَدْرُوا

يمدحُ كما ترى أهلَ الجاهليةِ بالوفاءِ بالثُّدورِ أَنشدني حَبَّانُ بنُ عِئبانَ، عن أبي عبيدة، من الشُّوارد

التي لا أربابَ لها، قوله:

أَوْ يَبْخَلُوا لَمْ يَحْفَلُوا

نَ كَأَنَّهُمْ لَمْ يَفْعَلُوا

مِ لَوْنَهُ يَتَخَيَّلُ

يَعْدِرُوا أَوْ يَفْجُرُوا

عَلَيْكَ مَرَجَلِي

بَرَأَقِشَ كُلُّ يُو

وقال الصَّلْتانُ السَّعْدِيُّ، وهو غير الصَّلْتانِ العَبْدِيِّ:

رَكَرَّ العَدَاةِ وَمُرُّ العَشِي

أَتَى بَعْدَ ذَلِكَ يَوْمَ فَتِي

وَحَاجَةٌ مِنْ عَاشٍ لا تَنْقُضِي

وَتَبْقَى لَهُ حَاجَةٌ ما بَقِي

أُرُونِي السَّرِيَّ أَرُوكَ العَنِي

وَأوصيتَ عَمْرًا فَنعم الوَصي

وسرُّ الثَّلاثَةِ غيرِ الخَفِي

الصَّغِيرِ وَأفْتَى الكَبِي

لِيلَةُ هَرَمَتْ يَوْمِها

وَنَعْدُو لِحَاجَاتِنَا

مَعَ المَرءِ حَاجَاتُهُ

قَلتَ يَوْمًا لَدَى مَعْشَرِ

لِقَمانِ أوصى بَنِي

ما كان عِنْدَ امْرِي

أَنشدني مُحَمَّدُ بنُ زيادِ الأعرابي:

تُلَيْتُ الْأَطْمَاعُ مِنْ لَيْسَ مِنْ الدِّينِ شَيْءٌ أَنْ تَمِيلَ بِهِ  
النَّفْسُ  
يُلبثُ الدَّخْسُ الإِهَابُ تحوزةً بجمْعِكَ أن ينهائه عن غيرك  
الترس

وأنشدني أبو زيدٍ النحويُّ لبعض القدماء:

يَكُنْ رَبِّبَ المَثُونِ فَإِنِّي قمر اللّيلِ المعدَّرِ كالفتى  
ضئيلًا ثم يرجعُ دائماً ويعظم حتى قيل قد تاب  
واستوى

رَيْدُ المرءِ ثم انتقا صوتكراؤه في إثره بعد ما مضى

وقال أبو النجم:

عَنهُ قُنْرَعًا مِنْ قُنْرَعٍ مَرُّ اللَّيَالِي أَبْطَيْي وَأَسْرَعِي  
قِيلُ اللّهِ لِلشَّمْسِ أَطْلَعِي ثُمَّ إِذَا وَارَاكِ أَفْقٌ فَارْجَعِي

وقال عمرو بن هند:

الذي ينهاكم عن طلابها يُنَاغِي نِسَاءَ الحَيِّ فِي طَرَّةِ  
البُرْدِ  
والأيام تنقص عمره تنقص التيران من طرف  
الزند

وقال ابن ميادة:

ينطقُ الرَّبْعُ بِالْعَلِيَاءِ غَيْرَهَا فِي الرِّيَّاحِ وَمَسْتَنٌّ لَهُ طُنْبٌ

وقال أبو العتاهية:

في نقص امرئ تاممه

وقال:

الفناء في كلِّ شيءٍ حركاتٌ كأنهنَّ سكُونُ

وقال ابن ميادة:

بالقنع العداة رُسومٌ دَوَارِسُ أدنى عهدهنَّ قديمٌ  
وقد جرّمنَ عشرينَ حِجَّةً لآح في ظهر البنان وشوم

وقال آخر:

مرققيها إذا ما عُونقتُ جَمَمَ الصَّجِيعِ وفي أنيابها شتَب

وقال ابن ميادة في جعفر ومحمد ابني سليمان، وهو يعني أمير المؤمنين المنصور:

لكما يا ابني سليمان      بَجَدَّ التُّهَى إِذْ يَقْسِمُ الْخَيْرَ  
قاسم      قاسمُهُ  
فبیتکُمَا بَیْتُ رَفِيعِ بِنَاؤُهُ      يَلْقَى شَيْئاً مُّحَدَّثاً فَهُوَ هَادِمُهُ  
كَبْشٍ صِدْقٍ شَدَّبَ الشَّوْلَ      وَكَسَّرَ قَرْنِي كُلَّ كَبْشٍ يَصَادِمُهُ

## من يهجى ويذكر بالشؤم

قال رِعْبِلُ بْنُ عَلِيٍّ، فِي صَالِحِ الْأَفْقَمِ - وَكَانَ لَا يَصْحَبُ رَجُلًا إِلَّا مَاتَ أَوْ قُتِلَ، أَوْ سَقَطَتْ مَنْزِلَتُهُ :-

لِلْأَمِينِ أَمِينِ آلِ مُحَمَّدٍ      قول امرئٍ شَفَقِي عَلَيْهِ مُحَامٍ  
أَنْ تُغْتَرَّ عَنْكَ صَنِيعَةٌ      فِي صَالِحِ بْنِ عَطِيَّةِ الْحَجَّامِ  
الصَّنَائِعُ عِنْدَهُ بِصَنَائِعِ      لَكُنْهَنَّ طَوَائِلُ الْإِسْلَامِ  
بِهِ نَحَرَ الْعَدُوَّ فَإِنَّهُ      جَيْشٌ مِنَ الطَّاعُونَ وَالْبِرْسَامِ  
وقال محمد بن عبد الله في محمد بن عائشة:

لِلْهَلَالِيِّ قَتِيلٌ      أبدأً فِي كُلِّ عَامٍ  
الْفَضْلَ بْنَ سَهْلٍ      وَعَلِيَّ بْنَ هِشَامٍ  
وَعَجِيفاً آخِرَ الْقَوِ      مِ بَأَكْنَفِ الشَّامِ  
يَطْلُبُ مِنْ يَقِ      تَلِّ بِالسَّيْفِ الْحُسَامِ  
اللَّهُ مِنْهُ      أَحْمداً خَيْرَ الْأَنَامِ  
يعني أحمد بن محمد بن علي بن داود.

وقال عيسى بن زينب في الصخري، وكان مشؤوماً:

مَنْ كَانَ لَهُ وَالِدٌ      يَأْكُلُ مِمَّا جَمَعَ مِنْ وَفْرِ  
عِنْدِي لِابْنِهِ حِيلَةٌ      يَمُوتُ إِنْ أَصْحَبَهُ الصَّخْرِي  
فِي كَفِّهِ مِبْرَدٌ      يَبْرُدُ مَا طَالَ مِنَ الْعُمَرِ

## شعر في مديح وهجاء

وقال الأعشى:

على قلبه عمرة      وما إن بعظمٍ له من وهنٍ

وقال الكميت:

يَقُلْ عِنْدَ رَبِّكَ لَهُمْ كُفُّوا الْمَعَاذِيرَ إِنَّمَا حَسَبُوا

وقال آخر:

تَعْذِرَانِي فِي الْإِسَاءَةِ إِنَّهُ الرَّجَالُ مِنْ يَسِيءُ فَيُعْذِرُ

وقال كلثوم بن عمر العنّابي:

الرَّجَاءُ إِلَيْكَ مَغْتَرِبًا حُشِدْتُ عَلَيْهِ نَوَائِبُ الدَّهْرِ  
عَلَيْكَ نِدَامَتِي أَمَلِي وَثَنِي إِلَيْكَ عَنَاتُهُ سُكْرِي  
وَجَعَلْتَ عَنَبَكَ عُنْبَ مَوْعِظَةٍ وَرَجَاءَ عَفْوِكَ مُنْتَهَى عُذْرِي

وقال أعشى بكر:

السُّعْرِيَا سَلَامَةٌ لِلْإِفْضَالِ وَالشَّيْءُ حَيْثُ مَا جُعِلَا  
وَالسُّعْرُ يَسْتَنْزِلُ الْكَرِيمَ كَمَا اسْتَنْزَلَ رَعْدُ السَّحَابَةِ السَّبَلَا  
كُنْتُ مَاءً عِدًّا جَمَمْتُ إِذَا مَا وَرَدَ الْقَوْمَ لَمْ تَكُنْ وَشَلَا  
آيَاؤُهُ الْكَرَامُ بِهِ إِذْ نَجَّاهُ فَنِعْمَ مَا تَجَلَا  
اللَّهُ بِالْبَقَاءِ وَبِالْحَمِّ دِ وَوَلَى الْمَلَامَةَ الرَّجَلَا

وقال الكذاب الجُزْمَارِيُّ لقومه، أو لغيرهم:

كُنْتُمْ شَاءً لَكُنْتُمْ نَقْدًا أَوْ كُنْتُمْ مَاءً لَكُنْتُمْ تَمْدًا  
قَوْلًا لَكُنْتُمْ قَنْدًا

وقال الأعشى في الثياب:

مِثْلَهَا أُرْوَرُ بَنِي قِي سَ إِذَا شَطَّ بِالْحَبِيبِ الْفِرَاقُ  
الْمُهَيْنِينَ مَا لَهُمْ فِي زَمَانِ الْ سَّوِّءِ حَتَّى إِذَا أَفَاقَ أَفَاقُوا  
الْفَضُولَ ضَنَّ عَلَيَّ وَصَارَتْ لَخِيمَهَا الْأَخْلَاقُ

الْقَوْمُ بِالْعِمَادِ إِلَى حَيِّ وَأَعْيَا الْمُسِيمِ أَيُّنُ

المساق

فَضْلُهُمْ هُنَاكَ وَقَدْ رَجَى عَلَيَّ عَرِيقُهَا الْكَرَامُ

العتاق

الغَيْثُ صَوْبُهُ وَضَعُ الْقَوْجُنِ التَّلَاغُ وَالْأَفَاقُ

يَزِدُّهُمْ سَفَاهَةً شُرْبُ اللَّهْوِ فِيهِمْ وَالسَّبَاقُ

فِي سِرَاةٍ تَجْرَانُ بَاعِمًا غَيْرَ أَنَّنِي مُشْتَاقُ

مطايَا أربابُهُنَّ عَجَالَ تَوَاءٍ وَهَمُّهُنَّ الْعِرَاقُ  
عُدْوَةً لَنَا وَنَشِيلُ وَصَبُوحُ مَبَاكِرُ وَاغْتَبَاقُ  
وَنَدَامَى بِيضُ الْوَجُودِ كَأَنَّ مِنْهُمْ مَصَاعِبُ أَفْنَاقُ

الْخِصْبُ وَالسَّمَا حُهُ دُهُ جَمْعًا وَالْخَاطِبُ  
الْمَسْلَاقُ  
لَا يُسَامُونَ ضَوْهَ كَيْتُونَ وَالْحَلُومُ وَثَاقُ  
مَجْلِسًا يَغْصُ بِهِ بِالْقَوْمِ وَالْتِيَابُ رِقَاقُ

وقال أيضاً في التِّيَابِ:

وقيساً هُمُ خَيْرُ أربابها  
لِ حَتَّى تُنَاقِي بِأبوابها  
وَجُرُّوا أَسَافِلَ هُدَّابها

يزيدَ وَعَبَدَ الْمَسِيحِ  
تَجْرَانِ حَتَمَ عَلِي  
الْجِبْرَاتُ تَلَوَّتْ بِهِم

وفي التِّيَابِ يقول الآخر:

ذَاكُمْ لَا خِفاً بِمَكَانِهِ لِعَيْنِ تَرْجِي أَوْ لِأَذُنِ تَسَمَّعُ  
النَّفْرِ الْبِيضِ الَّذِينَ إِذَا وَهَابَ الرَّجَالِ حَلَقَةَ الْبَابِ  
انْتَمَوْا  
الْأَذْفَرُ الْأَحْوَى مِنَ الْمَسْكِ وَطَيْبِ الدَّهَانِ رَأْسُهُ فَهُوَ أَنْزَعُ

النَّفْرِ السُّودِ الْيَمَانُونَ  
حَاوَلُوا  
حَوْكُ بَرْدِيهِ أَجَادُوا وَأَوْسَعُوا

وقال كثير:

سَبِيُّ هَلَالٍ لَمْ تَفْتَقِ شِرَانِقَهُ  
سَبْرًا لَأَنَّ عَلَيْهِ كَأَنَّهُ

وقال الجعدي:

نَصْرَهُمْ وَهُمْ بَعِيدُ  
بِلَادُهُمْ بِأَرْضِ الْخَيْرَانِ

يريد أرض الخصم والأغصاب والالتين

وقال الشاعر:

كَفَّهِ خَيْرَانُ رِيحَهَا عَيْقُ  
بَكَفِّ أَرْوَعٍ فِي عَرْنِينِهِ شَمَمُ  
لأن الملك لا يختصر إلا يعود لذن ناعم، وقال آخر:

أخرى على خَيْرَانِيَّةٍ يكاد يدينها من الأرض لينها  
وقال آخر:

نبات الخَيْرَانِيَّةِ فِي التَّرْجَمَانِيَّةِ مَتَى مَا يَأْتِكُ الخَيْرُ يَنْفَعُ  
وقال المَسَيَّبُ بن علس:

الهِمَّ إِلَّا فِي صَدِيقٍ كَأَنَّ وَطَابَهُمْ مُوشَى الصَّبَابِ

## عين الرضا وعين السخط

وقال المسيب بن علس:

فؤادك إذ عرضت لها حَسَنٌ برأي العين ما تمق  
وقال ابن أبي ربيعة:

فِي كُلِّ عَيْنٍ مِنْ تَوَدُّ  
وقال عبد الله بن معاوية:

الرِّضَا عَنْ كُلِّ عَيْبٍ كَلِيلُهُ وَلَكِنَّ عَيْنَ السُّخْطِ تُبَدِّي  
المساويا  
وقال رَوْحُ أَبُو هَمَّامٍ:

السُّخْطِ تَبْصِرُ كُلَّ عَيْبِ أَخِي الرِّضَا عَنْ ذَاكَ تَعْمَى

## شعر وخبر

وقال الفرزدق:

خَبَّرُونِي أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّمَا سَأَلْتُ وَمَنْ يَسْأَلُ عَنِ العِلْمِ  
يَعْلَمُ

أَمْرِي لَمْ يُعْفَلِ العِلْمُ السَّائِلِ الوَاعِي الأَحَادِيثِ  
كَالعَمِي

وقيل لِدَعْفَلٍ: أُنَى لَكَ هَذَا العِلْمُ؟ قَالَ: لِسَانُ سَوْوُلٍ، وَقَلْبُ عَقُولٍ وَقَالَ النَابِغَةُ:

مُضِلُّوهُ بِعَيْنِ جَلِيَّةٍ وَعُودِرَ بِالجَوْلَانِ حَزْمٌ وَنَائِلُ  
مُضِلُّوهُ: دَافَنُوهُ، عَلَى حَدِّ قَوْلِهِ تَعَالَى: "أِذَا ضَلَلْنَا فِي الأَرْضِ".

وقال المخبَّل:



بنو قيس بن سَعْدٍ وفارسها في الدَّهْرِ قيس بن  
عميدها عاصم

قوال زهير - أو غيره - في سنان بن أبي حارثة:

الرَّزِيَّةُ لا رَزِيَّةَ مثلها تبتغي غطفانُ يومَ أَصَلَّتْ  
ولذلك زعم بعضُ النَّاسِ أنَّ سنان بن أبي حارثة حَرِفَ فذهب على  
وجهه، فلم يُوجد.

## من هام على وجهه فلم يوجد

ويزعمون أنَّ ثلاثة نفرٍ هأموا على وجوههم فلم يُوجدوا: طالب بن أبي طالب، وسنان بن أبي حارثة،  
ومرداس بن أبي عاصم.  
وقال جرير:

لأستحيي أخي أن أرى له من الفضل الذي لا يرى ليا

وقال امرؤ القيس:

يَعْمَنُ إِلَّا خَلِيٌّ مَنَعَمٌ قليلُ الهموم ما يبيتُ بأوجال  
وقال الأصمعي: هو وكفولهم: استراحَ مَنْ لا عَقْلَ له.  
وقال ابن أبي ربيعة:

وأعجبها من عيشها ظلُّ غرفةٍ وربَّانُ مُتَفُّ الحدايقِ أَحْضَرُ  
كفاها كلَّ شيءٍ يَهُمُّه فليستْ لشيءٍ آخِرَ الليلِ تسهرُ

## مدح الصَّالحين والفقهاء

قال ابنُ الخياط، يمدح مالك بن أنس:

الجوابَ فما يُراجِعُ هَيْبَةً والسائلونَ نواكسُ الأذقانِ  
التقيِّ وعز سلطان التُّقى المطاعُ وليس ذا سُلطانِ

وقال ابن الخياط في بعضهم:

لم يجالس مالكا منذ أن يقتبس من علمه فهو جاهل

وقال آخر:

بالليل ذئب لا حریم وبلنهار علی سمیت ابن سیرین  
وقال الخليل بن أحمد وذكروا عنده الحظ والجِدُّ، فقال: أمَّا الجِدُّ فلا أقول فيه شيئا، وأمَّا الحظُّ  
فأخزى الله الحظَّ، فإنه يبئد الطالب إذا اتكل عليه وبعده المطلوب إليه من مذمة الطالب.  
وقال ابن شبرمة:

شئت كنت ككز في تعبده أو كابن طارق حول البيت  
والحرم

حال دون لذيذ العيش وسارعا في طلاب العز والكرم  
خوفهما

وقال آخر يرثي الأصمعي:

دُرَّ خطوب الدهر إذ فجاء الأصمعي لقد أبقث لنا أسفا  
ما بدا لك في الدنيا فلسيت الدهر منه ولا من علمه خلفا

وقال الحسن بن هانئ، في مرثية خلف الأحمر:

حي وائلا من التلّف شغواء في أعلى الشّعف  
فريخ أحرزته في لجف مُرَعِبِ الألغاد لم يأكل بكف  
أم عصماء في أعلى في الطباق والنزع الألف  
الشرف

جماع العلم مذ أودى خلفكم من العيالم الخسف

وقال يرثيه في كلمة له:

أعزّي الفؤاد عن خلفٍ وبات دمعِي إلا يفيض يكف  
الرزايا ميتٌ فجعتُ بأضحى رهينا للترب في جدف  
يسنى برُفقه غلقُ ال أفهام في لا خرق ولا عُنف  
عنك التي عشيت لهطيران، حتى يشفيك في لطف  
الهاء في القراءة بالخاء ء ولا لامها مع الألف  
مضلا سبل الكلام ولا يكون إسناده عن الصُحف  
ممن مضى لنا خلفاً فليس إذ مات عنه من خلف

وقال آخر في ابن شبرمة:

سألت الناس أين المكرمة والعز والجُرمومة المقدمه  
فاروق الأمور المحكمه تتابع الناس على ابن شبرمه

## شعر مختار

وقال ابن عرفطة:

بُعْضُ لِلصَّديقِ وَظَهَرَ قَدَيْتُكَ الشَّيْءَ الَّذِي أَنْتَ كاذِبُهُ  
مَشْنُوءٌ إِلَى كُلِّ صَاحِبِيلا، وَمِثْلَ الشَّرِّ يَكْرَهُ جَانِبُهُ  
مَهْداءُ الخِنا تَطِفُ النَّشا شَدِيدَ السَّبَابِ رافعُ الصَّوْتِ  
غالبُهُ

وقال الثابغة الجعدي:

البلاءُ وأتني امرؤ إذا ما تبينت لم أرتب  
وليس يريد أنه في حال تبينه غير مُرتاب، وإنما يعني أن بصيرته لا  
تتغير.  
وقال ابنُ الجهم، ذات يوم: أنا لا أشكُّ قال له المكيُّ: وأنا لا أكاد  
أوقن وقال طرفة:

إذا نادى المُضافُ مُحْتَباً كسيد الغضى في الطَّحِيَّةِ  
المتورِّدِ  
وتقصيرُ يومِ الدَّجَنِ والدَّجَنِ بهكنةٍ تحت الخباءِ الممدِّدِ  
قبرِ نَخامٍ بخيلٍ بماله غويٌّ في البطالةِ مُفسِدِ  
إنَّ المَوْتَ ما أخطأَ لكالطَّوْلِ المُرْخى وثُنياه باليدِ  
الموت أعداد النفوس ولا غداً، ما أقرب اليوم من غدِ  
ذوي القربى أشد مضاضة علي المرء من وقع الحسامِ  
المهندِ  
كثرة الأيدي عن الظلم خطرَتْ أيدي الرِّجالِ بمشهدِ

## الجعلان والخنافس

وسنقولُ في هذه المحقرات من حشرات الأرض، وفي المذكور من بغاث الطير وخشاشه، ممَّا يقات العذرة ويوصف باللؤم، ويَتَقَرَّرُ من لمسِه وأكلِ لحمه، كالخنفساء والجعل، والهداهِدِ والرَّخِم، فإنَّ هذه الأجناس أطلقُ للعذرة من الخنازير. فأول ما تَدُكُر من أعاجيبها صداقهُ ما بين الخنافس والعقارب، وصداقة ما بين الحيات والورغ، وتزعُم الأعراب أنَّ بين ذكورة الخنافس وإناث الجعلان تسافداً وأنهما ينتجان خلقاً ينزع إليهما جميعاً. وأنشد حَسَنامُ الأعور النحويُّ عن سيبويه النَّحويِّ، عن بعض الأعراب في هجائه عدوًّا له كان شديد السَّواد:

يا حُنْفَساً كَأَمْ جُعَلُ عداوة الأوعالِ حَيَّاتِ الجَبَلِ  
عَوْدٍ مُرْهَفِ النَّابِ عُنْتِ لِحَرْقِ إِنْ مَسَّ وَإِنْ شَمَّ قَتَلُ

ويثبت أكل الأوعال للحيات الشعْر المشهور، الذي في أيدي أصحابنا، وهو:

زيداً أن يُلاقِي مَرَّةً التماسِ بعضَ حَيَّاتِ الجَبَلِ  
العينينِ مَفطوحِ القفا ليس من حَيَّاتِ حُجْرٍ والقللِ  
يتواري في صُدوعِ مَرَّةٍ رَبْدُ الخِطْفَةِ كالقِدْحِ المُوَلِّ  
السَّمِّ على أشداقك مشعاعِ الشَّمْسِ لاحتْ في طَفَلِ  
الأزوي فما تقربُهُ ونفى الحَيَّاتِ عن بيضِ الحَجَلِ  
وإنما ذكر الأروى من بين جميع ما يسكن الجبال من أصناف  
الوحش، لأنَّ الأروى من بينها تأكلُ الحَيَّاتِ، للعداوة التي بينها وبين  
الحيَّاتِ.

## استطراد لغوي

والأزوي: إناث الأوعال، واحدها أرويَّة، والناس يُسمُّون بناتهم باسم الجماعة، ولا يسمُّون البنات  
الواحدة باسم الواحدة منها: لا يسمُّون بأرويَّة، ويسمُّون بأزوي، وقال شماخ بن ضرار:

أزوي وإن كُرمتْ علينا بأدنى من موقفةِ حَرُونِ  
وأنشد أبو زيدٍ في جماعة الأرويَّة:

من أروى تعاديت بالعمى لاقيت كلاباً مُطلاً ورامياً  
يقال: تعادى القومُ وتفاقدوا: إذا مات بعضهم على إثر بعض.  
وقالت في ذلك ضباعة بنت فُزط، في مريثة زوجها هشام بن المغيرة:

عثمان لم أنسهُ                      وإنَّ صمتاً عن بُكاهُ لِحُوبِ  
تفاقدوا من معشرٍ ما لهمُ      أيّ ذنوب صوّبوا في القلبِ

## طلب الحيات البيض

وأما قوله:

الحياتِ عن بيضِ الحجل  
فإنَّ الحياتِ تطلبُ بيض كلِّ طائر وفراخه، وبيض كلِّ طائرٍ مما  
يبيض على الأرض أحبُّ إليها، فما أعرف لذلك علةً إلا سهولة  
المطْلَبِ.

والأياكل تاكل الحياتِ، والخنازيرُ تاكل الحياتِ وتعاديها.

## عداوة الحمار للغراب

ورغم صاحب المنطق أن بين الحمار والغراب عداوة، وأنشدني بعض النحويين:

لا زلت في تبابٍ                      عداوة الحمار للغرابِ  
وأنشد ابن أبي كريمة لبعض الشعراء في صريع الغواني:

ريحُ السذابِ أشدُّ بُغْضاً      الحياتِ منك إلى الغواني

## أمثال

ويقال: ألج من الخنفساء، وأفحش من فاسية وهي الخنفساء  
وأفحش من فالية الأفاعي.

والفساء يُوصف بن ضربان من الخلق: الخنفساء، والظربان.  
وفي لجاج الخنفساء يقول خلف الأحمر:  
صاحبٌ مَوْلَعٌ بالخلافِ كثيرُ الخطاءِ قليلُ الصَّوابِ  
لجاجاً من الخنفساء وأزهى إذا ما مشى من غرابٍ

## طول ذماء الخنفساء

وقال الرقاشي: ذكرت صبر الخنزير على نفوذ السهام في جنبه، فقال لي أعرابي: الخنفساء أصبر منه، ولقد رأيت صبيّاً من صبيانكم البارحة وأخذ شوكة وجعل في رأسها فتيلةً، ثم أوقد نهاراً، ثم غرزها في ظهر الخنفساء، حتى أنفذ الشوكة، فغبرنا ليلتنا وإثها لتجول في الدار وتُصيح لنا، والله إني لأظنها كـ\_\_\_\_\_كـ\_\_\_\_\_انت مُقرباً، لاننفـ\_\_\_\_\_اخ بطنها\_\_\_\_\_ا.  
قال: وقال القناني: العواساء: الحامل من الخنافس، وأنشد:

## عواساء تفاسا مقرباً

## أعاجيب الجعل

قال: ومن أعاجيب الجعل أنه يموت من ريح الورد، ويعيش إذا أعيد إلى الرّوث، ويضرب بشدة سوادٍ لوّيه المثل، قال الرّاجز وهو يصف أسود سالخاً:

الأشداق عود قد كَمَلُ كَأَمَّا قُمَص من لِيَطِ جُعَلُ  
والجعل يظَلُّ دَهراً لا جناح له، ثم ينبت له جناحان، كالنمل الذي يُعْبُر  
دهراً لا جناح له، ثم ينبت له جناحان، وذلك عند هَلَكْتِه.

## تطور الدعاميص

والدّعاميص قد تغبر حيناً بلا أجنحة، ثم تصير فراشاً وبعوضاً، وليس كذلك الجراد والدّبّان، لأنّ أجنحتها تنبت على مقدار من العمر ومرور

م ————— من الأيام ————— م.

وزعم ثمامة، عن يحيى بن خالد: أَنَّ البرغوث قد يستحيل بعوضة.

## عادة الجعل

والجعل يحرسُ النَّام، فكلما قام منهم قائمٌ فمضى لحاجته تبعه، طمعاً في أَنَّهُ إِنَّمَا يريد الغائط، وأنشد بعضهم قول الشاعر:

في مجلس الأقسام يَرْبُوكَلَهُمْ شَرِطِيُّ بَاتَ فِي حَرَسِ  
وأنشد بعضهم لبعض الأعراب في هجائه رجلاً بالفسولة، وبكثرة الأكل، وبِعَظْمِ حَجْمِ النَّجْو:

إِذَا أَضْحَى تَدَّرَى وَاكْتَحَلَ لَجَارَتِيهِ ثُمَّ وَلَّى فَنَثَلُ  
الأنوقين القرني والَجَعَلُ

سمى القرني والجعل - إذ كانا يقتاتان الرُّبْل - أنوقين، والأنوق: الرَّخْمَة، وهي أحد ما يقتات العذرة، وقال الأعشى:

رَخْمًا قَاظَ عَلَى يَنْخُوبٍ يُعْجِلُ كَفَّ الْخَارِيَّ الْمُطِيبِ  
المطيب: الذي يستطيب بالحجارة، أي يتمسح بها، وهم يسمُّون بالأنوق كلَّ شيءٍ يقتات النَّجْو والرُّبْل، إِلَّا أَنَّ ذَلِكَ عَلَى التَّشْبِيهِ لَهَا بِالرَّخْمِ فِي هَذَا الْمَعْنَى وَحْدَهُ، وَقَالَ آخَرُ:

النَّابِحِي تَبَحَّ الْقَبَلُ يَدْعُو عَلِيَّ كَلِمًا قَامَ يُصَلُّ  
كَفَّيهِ كَمَا يَفْرِي الْجُعْلُ وَقَدْ مَلَأَتْ بَطْنَهُ حَتَّى أَتَلَ  
فَأَمْسَى ضَعْفُهُ قَدْ اعْتَدَلَ

والقبل: ما أقبل عليك من الجبل، وقوله أتَلَ، أي امتلأ عليك غيظاً فقصر في مشيته، وقال الجعدي:

الغدِرُ فَلَمْ أَهْمَمْ بِهِ وَأَخُو الْعَدْرُ إِذَا هَمَّ فَعَلُ  
اللَّهُ وَأَتَى رَجُلٌ إِنَّمَا ذَكَرِي كَنَارٌ بِقَبَلُ

وقال الرَّاجِز - وهو يهجو بعضهم بالفُسولة، وبكثرة الأكل، وعِظْمِ حَجْمِ النَّجْو:

يَعِشِّي وَحْدَهُ أَلْفِي جُعَلُ

وقال عنتره:

لَا قِيَتَ جَمْعَ بَنِي أَبَانَ فَإِنِّي لَأَنْمُ لِلْجَعْدِ لَاحِي

كسوتُ الجعد جَعْدُ بني أبان      ردائي بعد عُزِّيِّ وافتضاحِ  
ثم شَبَّهه بالجعل فقال:

مؤشر العضدين جَحَلًا      هُدوجاً بين أقلبةٍ مِلاحِ  
نعمتي فغداً عليها      بُكوراً أو تهجّر في الرَّواحِ

وقال الشَّمَّاح:

يُلْقيا شأواً بأرض هوى لمفرضٍ أطراف الذَّرَاعينِ أَفْلَجِ  
استطراد لغوي والشأوا هَاهُنَا: الرَّوثُ، كَأَنَّهُ كَثْرَهُ حَتَّى أَلْحَقَهُ بِالشَّأْوِ  
الذي يخرج من البئر، كما يقول أحدهم إذا أراد أن يُنْقِي البئر: أَخْرِجْ  
من تلك البئر شأواً أو شأوين، يعني من التراب الذي قد سقط فيها،  
وهو شَيْءٌ كَهَيْئَةِ الرَّيْةِ الصَّغِيرِ.  
والشَّأْوُ: الطَّلُّوقُ، والشَّأْوُ: الفَقْوُوتُ.  
والمفرضُ الأفلج الذي عنى، هو الجعل، لأنَّ الجعل في قوائمه تحزير،  
وفيهما تَفْرِيجٌ.

### معرفة في الجعل

وللجعل جناحان لا يكادان يُريانِ إِلَّا عند الطَّيرانِ، لَشِدَّةِ سوادهما،  
وشبههما بجلده، ولشِدَّةِ تمكّنهما في ظهره.  
قال الشاعر، حيثُ عدّد الحَوْتَةَ، وحثَّ الأمير على محاسبتهم:

يديك بزَيْدٍ إن ظفِرْتَ واشفِ الأرامل من دُحروجِ  
الجُعَلِ



والجعر ل لا يجرح إلا جعرأ يابسأ، أو بعرة.  
وقال سعد بن طريف، يهجو بلال بن رباح مولى أبي بكر:

أَسْوَدُ نَوْبِيُّ لَهْ ذَفْرٌ كَأَنَّهُ جُعْلٌ يَمْشِي بِقِرْوَاكِ  
وسنذكر شأنه وشأن بلالٍ في موضعه من هذا الكتاب إن شاء الله  
تعالى.

## أبو الخنافس وأبو العقارب

وكان بالكوفة رجلاً من ولد عبد الجبار بن وائل بن حُجر الحضرمي  
يكنى أبا الخنافس راضياً بذلك، ولم تكن الكنية لقباً ولا تَبْزاً، وكان من  
الفُقهَاء، وله هيئة ورواء، وسألته: هل كان في آباءه من يكنى أبا  
الخنافس؟ فإن أبا العقارب في آل سلم مولى بني العباس كثيرٌ على  
اتباع أثر، وكان أبو الخنافس هذا اکتنى به ابتداءً.

## طول ذمء الخنفساء

وقال لي أبو الفضل العنبري: يقولون: الضُّبُّ أطول شيء ذمء، والخنفساء أطول منه ذمء، وذلك  
أنه يُغرز في ظهرها شوكةٌ ثابتة، وفيها ذبالةٌ تستوقدُ وتُصَيِّحُ لأهل الدَّار، وهي تدبُّ بها وتجول وربما  
كانت في تضاعيف حبل قَتِّ، أو في بعض الحشيش والعُشب والخلأ، فتصيرُ في فم الجمل فيبتلعها  
من غير أن يضغم الخنفساء، فإذا وصلت إلى جوفه وهي حيَّةٌ جالت فيه، فلا تموت حتى تقتله.  
فأصحاب الإبل يتعاورون تلك الأورِيَّ والعلوفاتِ، خوفاً من الخنافس.  
هجا جواس لحسان بن بحدل وقال جواس بن القعطل في حسان بن بحدل:

يُهَلِكُنِّي لَا أَبَالِكُمْ  
تَمْطَى فِي عِمَائِهِ  
سُودَاءُ حَنْظَلَةٍ  
فَأَمَّا الْهَجَاءُ وَالْمَدْحُ، وَمِفَاخِرَةُ السُّودَانِ وَالْحَمْرَانِ، فَإِنَّ ذَلِكَ كُلَّهُ  
مَجْمُوعٌ فِي كِتَابِ الْهَجْنَاءِ وَالصُّرْحَاءِ.  
وَقَدْ قَدَّمْنَا فِي صَدْرِ هَذَا الْكِتَابِ جَمَلَةً فِي الْقَوْلِ فِي الْجَعْلَانِ وَغَيْرِ  
ذَلِكَ مِنَ الْأَجْنَاسِ اللَّئِيمَةِ وَالْمُسْتَقْذِرَةِ، فِي بَابِ التَّنِّ وَالطَّيِّبِ،  
فَكَرِهْنَا إِعَادَتَهُ فِي هَذَا الْمَوْضِعِ.

## الهدد

وَأَمَّا الْقَوْلُ فِي الْهَدْدِ، فَإِنَّ الْعَرَبَ وَالْأَعْرَابَ كَانُوا يَزْعُمُونَ أَنَّ الْقَنْزِعَةَ الَّتِي عَلَى رَأْسِهِ ثَوَابٌ مِنْ  
اللَّهِ تَعَالَى عَلَى مَا كَانَ مِنْ يَرِّهِ لِأُمَّهُ لِأَنَّ أُمَّهُ لَمَّا مَاتَتْ جَعَلَ قَبْرَهَا عَلَى رَأْسِهِ، فَهَذِهِ الْقَنْزِعَةُ عَوْضٌ  
عَنْ تَلْوِئِ الْوَهْمِ  
وَالْهَدْدُ طَائِرٌ مُنْتِنٌ الرِّيحِ وَالْبِدَنِ، مِنْ جَوْهَرِهِ وَذَاتِهِ، فَرَبَّ شَيْءٍ يَكُونُ مُنْتِنًا مِنْ نَفْسِهِ، مِنْ غَيْرِ عَرَضٍ  
يَعْرِضُ لَهُ، كَالْتِيُوسِ وَالْحَيَّاتِ وَغَيْرِ ذَلِكَ مِنْ أَجْنَاسِ الْحَيَوَانِ.  
فَأَمَّا الْأَعْرَابُ فَيَجْعَلُونَ ذَلِكَ النَّتْنَ شَيْئًا خَامِرًا بِسَبَبِ تِلْكَ الْجَيْفَةِ الَّتِي كَانَتْ مَدْفُونَةً فِي رَأْسِهِ، وَقَدْ  
قَالَ فِي ذَلِكَ أُمِّيَّةٌ أَوْ غَيْرُهُ مِنْ شِعْرَائِهِمْ، فَأَمَّا أُمِّيَّةٌ فَهُوَ الَّذِي يَقُولُ:

بَانَ اللَّهُ لَيْسَ كَصُنْعِهِ  
مَنْكَرَةٌ لَهُ مَعْرُوفَةٌ  
وَتَوْشِيمٌ وَرَسْمٌ عِلَامَةٌ  
أَرَادَ بِهَا وَجَابَ عِيَانَهُ  
وِظْلَمَاءٌ وَغَيْثٌ سَحَابَةٌ  
أَزْمَانَ كَفَّنَ وَاسْتَرَادَ الْهَدْدُ  
الْقَرَارَ لِأُمَّهُ لِيُجَنِّهَا  
وَلَا يَخْفَى عَلَى اللَّهِ مُلْجِدُ  
أُخْرَى عَلَى عَيْنٍ بِمَا يَتَعَمَّدُ  
وَخَزَائِنٌ مَفْتُوحَةٌ لَا تَنْفَدُ  
لَا يَسْتَقِيمُ لِخَالِقٍ يَتَزَيَّدُ  
وِظْلَمَاءٌ وَغَيْثٌ سَحَابَةٌ  
أَزْمَانَ كَفَّنَ وَاسْتَرَادَ الْهَدْدُ  
الْقَرَارَ لِأُمَّهُ لِيُجَنِّهَا  
فَبَنَى عَلَيْهَا فِي قِفَاهُ يُمَهِّدُ

وطيئاً فاستقلَّ بحمْلِهِ فِي الطَّيْرِ يَحْمِلُهَا وَلَا يَتَأَوَّدُ  
أُمَّهُ فَجُزِي بِصَالِحِ حَمَلِهَا وَلَدًا، وَكَلَفَ ظَهْرَهُ مَا تَفْقَدُ  
يَدْلُحُ مَا مَشَى بِجَنَازَةٍ وَمَا اخْتَلَفَ الْجَدِيدَ الْمَسْنَدَ

## معرفة الهدهد بمواضع المياه

ويزعمون أَنَّ الْهَدَّ هُوَ الَّذِي كَانَ يَدُلُّ سُلَيْمَانَ عَلَيْهِ السَّلَامَ عَلَى  
مَوَاضِعِ الْمِيَاهِ فِي قَعُورِ الْأَرْضِينَ إِذَا أَرَادَ اسْتِنْبَاطَ شَيْءٍ مِنْهَا.

## سؤال ومثل في الهدهد

وَيُرْوَى أَنَّ نَجْدَةَ الْحُرُورِيِّ أَوْ نَافِعَ بْنَ الْأَزْرَقِ قَالَ لِابْنِ عَبَّاسٍ: إِنَّكَ  
تَقُولُ إِنَّ الْهَدَّ إِذَا نَقَرَ الْأَرْضَ عَرَفَ مَسَافَةَ مَا بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْمَاءِ،  
وَالْهَدُّ لَا يُبْصِرُ الْفَحَّ دُونَ التُّرَابِ، حَتَّى إِذَا نَقَرَ التَّمْرَةَ انْضَمَّ عَلَيْهِ  
الْفَحُّ فَقَالَ: ابْنُ عَبَّاسٍ إِذَا جَاءَ الْقَدْرُ عَمِيَ الْبَصْرُ.  
وَمِنْ أَمْثَالِهِمْ: إِذَا جَاءَ الْحَيْنُ غَطَّى الْعَيْنَ.  
وَابْنُ عَبَّاسٍ إِنْ كَانَ قَالَ ذَلِكَ فَإِنَّمَا عَنَى هَدُّدَ سُلَيْمَانَ عَلَيْهِ السَّلَامَ  
بِعَيْنِهِ؛ فَإِنَّ الْقَوْلَ فِيهِ خِلَافُ الْقَوْلِ فِي سَائِرِ الْهَدَاهِدِ.  
وَسَنَأْتِي عَلَى ذِكْرِ هَذَا الْبَابِ مِنْ شَأْنِهِ فِي مَوْضِعِهِ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى.  
وَقَدْ قَالَ النَّاسُ فِي هَدُّدِ سُلَيْمَانَ، وَغَرَابِ نُوْحٍ، وَجِمَارِ عُزَيْرٍ، وَذَيْبِ

أهبان بن أوس، وغير ذلك من هذا الفن، أقاويل، وسنقول في ذلك  
بجملة من القول في موضعه إن شاء الله.

## بيت الهدد

وقد قال صاحب المنطق وزعم في كتاب الحيوان، أن لكل طائر  
يعشش شكلاً يتخذ عشه منه، فيختلف ذلك على قدر اختلاف  
المواضع وعلى قدر اختلاف صور تلك القراميص والأفاحيص، وزعم  
أن الهدد من بينها يطلب الرّبل، حتى إذا وجده نقل منه، كما تنقل  
الأرصة من التراب، وبينى منه بيتاً، كما تبني الأرضة، ويضع جزءاً على  
جزء، فإذا طال مُكثه في ذلك البيت، وفيه أيضاً ولد، أو في مثله،  
وتربى ريشه وبدنه بتلك الرائحة، فأخلق به أيضاً أن يورث ابنه الثن  
الذي علقه، كما أورث جدّه أباه، وكما أورثه أبوه، قال: ولذلك يكون  
منيناً

وهذا وجه أن كان معلوماً أنه لا يتخذ عشه إلا من الرّبل.  
فأمّا ناسٌ كثير، فيزعمون أن رُبّ بدنٍ يكون طيب الرائحة، كفأرة  
المسك التي ربما كانت في البيوت، ومن ذلك ما يكون مُتِنَ البدن،  
كالذي يحكى عن الحيات والأفاعي والثعابين، ويوجدُ عليه الثيوس.

اغتيالوس وذكر صاحب المنطق أَنَّ الطير الكبير، الذي يسمى  
باليونانية اغتيالوس، يحكم عُنْثَه ويتقنُه، ويجعله مستديراً مُدَاخِلاً كَأَنَّهُ  
كرة معمولة، وروى أَنَّهُم يزعمون أَنَّ هذا الطائر يجلب الدَّارصينيَّ  
من موضعه، فيُقْرِشُ به عُنْثَه، ولا يعشُّش إلاَّ في أعالي الشَّجَرِ  
المرتفعة المواضع، قال: ورَبِّمَا عمد الناسُ إلى سهامٍ يشدُّون عليها  
رصاصاً، ثمَّ يرمون بها أعشَّتْها، فيسقط عليهم الدَّارصينيُّ، فيلتقطونه  
ويأخ\_\_\_\_\_ذونه.

من زعم البحرين في الطير ويزعمُ البَحْرِيُّونَ أَنَّ طائرين يكونان ببلاد  
السُّفَالَة، أحدهما يظهر قبل قُدوم السفن إليهم، وقبل أن يُمكنَ البحرَ  
من نفسه، لخروجهم في متاجرهم فيقول الطائر: قرب آمَدُ،  
فيعلمون بذلك أَنَّ الوقت قد دنا، وأنَّ الإمكان قد قرب.  
قالوا: ويجيء به طائرٌ آخر، وشكل آخر، فيقول: سمارو، وذلك في  
وقت رجوع من قد غاب منهم، فيسمُّون هذين الجنسيتين من الطير:  
قرب، وسمارو، كَأَنَّهُم سمَّوهما بقولهما، وتقطيع أصواتهما، كما  
سمَّت العربُ ضرباً من الطَّيْرِ القطا، لأنَّ القطا كذلك تصيح، وتقطيع  
أصواتها قطا، وكما سمَّوا البيغاء بتقطيع الصَّوْتِ الذي ظهر منه.

فيزعم أهل البحر أنّ ذينك الطائرين لا يطير أحدهما أبداً إلاّ في إناث،  
وأنّ الآخر لا يطير أبداً إلاّ في ذكورة.

## وفاء الشغنين

وزعم لي بعض الأطباء ممن أصدّق خبره، أنّ الشغنين إذا هلكت  
أنثاه لم يتزوَّج وإن طال عليه التعرُّب، وإن هاج سفد ولم يطلب  
الزواج.

## من عجائب الطير

وحكوا أنّ عندهم طائرين، أحدهما وافي الجناحين وهو لم يطِر قطّ،  
والآخر وافي الجناحين، ولكنه من لدُن ينهض للطيران فلا يزال يطيرُ  
ويقتات من الفراش وأشباه الفراش، وأنّه لا يسقط إلاّ ميتاً، إلاّ أنهم  
ذكروا أنه قصير العمر.  
كلام في قول أرسطو ولست أدفع خبر صاحب المنطق عن صاحب  
الدارصيني، وإن كنت لا أعرف الوجه في أنّ طائراً ينهض من وكره  
في الجبال، أو بفارس أو باليمن، فيؤمُّ ويعمد نحو بلاد الدارصيني،  
وهو لم يجاوز موضعه ولا قرب منه، وليس يخلو هذا الطائر من أن

يكون من الأوابد أو من القواطع، وإن كان من القواطع فكيف يقطع  
الصَّحْحان الأملس وبطون الأودية، وأهضامَ الجبال بالتدويم في  
الأجواء، وبالمضيِّ على السَّمت، لطلب ما لم يرَهُ ولم يشمَّهُ ولم  
يدقُّه، وأخرى فإِنَّه لا يجلب منه بمنقاره ورجليه، ما يصير فراشاً له  
ومهاداً، إلا باختلاف الطويل، وبعد فإِنَّه ليس بالوطيء الوثير، ولا هو  
لـ بطعه \_\_\_\_\_ام.  
فأنا وإن كنت لا أعرفُ العلة بعينها فليست أنكر الأمور من هذه الجهة،  
فاذكُر هذا.

## قول أبي الشَّيخ في الهدد

وقال أبو الشَّيخ في الهدد:

تَأْمَنَنَّ عَلَى بِيْرِي وَسِيْرِكُمْ      وَغَيْرِكَ أَوْ طِيِّ الْقِرَاطِيْسِ  
طَائِرٍ سَاحَلِيْهِ وَأَنْعَتِهِ      زَالَ صَاحِبَ تَنْقِيْرِ وَتَدْسِيْسِ  
بِرَائِنِهِ مِيْلٍ ذَوَائِبُهُ      صُفْرَ حَمَالِقِهِ فِي الْحَسَنِ  
مَغْمُوسٍ  
هَمَّ سَلِيْمَانُ لِيَذْبَحَهُ      سِيْعَايْتِهِ فِي مَلِكٍ بَلْقِيْسِ  
وَقَدْ قَدَّمْنَا فِي هَذَا الْكِتَابِ فِي تَضَاعِيْفِهِ، عِدَّةَ مَقْطَعَاتٍ فِي أَخْبَارِ  
الْهَدْدِ.

الرخم

ويقال: إِنَّ لِنَامِ الطَّيْرِ ثَلَاثَةَ: الْغَرْبَانُ، وَالْبُومُ، وَالرَّحْمَ

## أسطورة الرخم

ويقال: إِنَّهُ قِيلَ لِلرَّخْمَةِ: مَا أَحْمَقُكَ قَالَتْ: وَمَا حُمَقِي، وَأَنَا أَقْطَعُ فِي أَوَّلِ الْقَوَاطِعِ، وَأَرْجِعُ فِي أَوَّلِ الرَّوَاجِعِ، وَلَا أَطِيرُ فِي التَّحْسِيرِ، وَلَا أَغْتَرُ بِالشَّكْرِ، وَلَا أَسْقَطُ عَلَى الْجَفِيرِ. وَقَدْ ذَكَرْنَا تَفْسِيرَ هَذَا، وَقَالَ الْكَمِيتُ:

يَا رَحْمَ انطقي في الطَّيْرِ إِنَّكَ شَرُّ طَائِرٍ  
بعض الملوك العجم والجلندي الزدي وقال أبو الحسن المدائني: أَمْرُ  
بعض ملوك العجم الجُلندي بن عبد العزيز الأزدي، وكان يقال له في  
الجاهلية عرجدة، فقال له: صِدِّ لِي شَرَّ الطَّيْرِ، وَاشْوَهْ بِشَرِّ الْحَطَبِ،  
وَأَطْعِمْهُ شَرَّ النَّاسِ، فَصَادَ رَخْمَةً وَشَوَّاهَا بَبْغَرٍ، وَقَرَّبَهَا إِلَى خَوْزِيٍّ،  
فَقَالَ لَهُ الْخَوْزِيُّ: أَخْطَأْتُ فِي كُلِّ شَيْءٍ أَمْرَكَ بِهِ الْمَلِكُ: لَيْسَ  
الرَّخْمَةُ شَرَّ الطَّيْرِ، وَلَيْسَ الْبَعْرَةُ شَرَّ الْحَطَبِ، وَلَيْسَ الْخَوْزِيُّ شَرَّ  
النَّاسِ، وَلَكِنْ أَذْهَبُ فَصِدِّ بَوْمَةً، وَاشْوَهَا بِدَفْلَى، وَأَطْعِمْهَا نَبْطِيًّا وَلِدَ  
زِنِي، فَفَعَلَ، وَأَتَى الْمَلِكُ فَأَخْبَرَهُ، فَقَالَ: لَيْسَ يُحْتَاجُ إِلَى وَلَدِ زِنِي  
يَكْفِيهِ أَنْ يَكُونَ نَبْطِيًّا.

## الغراب والرخمة



والغراب يقوى على الرّخمة، والرّخمة أعظم من الغراب وأشدُّ، والرّخمة تلمس لبيضا المواضع البعيدة، والأماكن الوحشيّة، والجبال الشامخة، وصدوع الصّخر، فلذلك يقال في بيض الأنوق ما يقال. ما قيل في بيض الأنوق وقال عُتبة بن شماس:

أولى بالحقّ في كلِّ حقٍّ      ثمّ أولى أن يكون حقيقاً  
أبوه عبد العزيز بن مروا      ن ومن كان جدّه الفاروقا  
أموالنا علينا وكانَتْ      دُرَى شاهق تفوت الأنوقا  
وطلب رجلٌ من أهل الشام الفريضة من معاوية فجاد له بها، فسأل لوّكده، فأبى، فسأله لعشيرته، فقال معاوية:

الأبلق العقوق فلماً      لم يجدّه أراد بيض الأنوق  
وليس يكون العقوق إلا من الإناث، فإذا كانت من البلق كانت بلقاء، وإنما هذا كقولهم: زلّ في سَلَى  
جَمَلٍ، والجمل لا يكــــون لــــه ســــلَى.  
وقد يرون بيض الأنوق، ولكنّ ذلك قليلاً ما يكون، وأقلّ من القليل، لأنّ بيضاها في المواضع الممتنعة،  
وليسست فيها منافع فيتعرّض في طلبها للمكــــرورة.  
وأنا أظنّ أن معاوية لم يقل كما قالوا: ولكنّه قدم في اللفظ بيض الأنوق، فقال: طلب بيض الأنوق،  
فلمــــالــــم يــــجــــدّه طلب الأبلق العقوق.  
ما يسمّى بالهدهد وأما قول ابن أحرر:

بأوظفةٍ شديدٍ أسرها شمّ السنايك لا تقي بالجدجد  
صبّحته طاوياً ذا شيرّة      وفؤأده زجلّ كعزف الهدهد  
فقد يكون ألا يكون عنى بهذا الهدهد، لأنّ ذكورة الحمام وكلّ شيء  
غنى من الطير وهدر ودعا، فهو هُدهد، ومن روى كعزف الهدهد  
فليس من هذا في شيء.  
وقد قال الشاعر في صفة الحمام:

استشرنّ أرنّ فيها هدهدٌ      مثل المدالك خضبته بجسار  
قصة في ميل بعض النساء إلى المال وخطب رجلٌ جميلٌ امرأةً،  
وخطبها معه رجل دميم فتزوجت الدميم لماله، وتركته، فقال:

عباد الله ما تأمرونني بحسن من صلّى وأقبحهم بعلاً

على أحشائها كلَّ ليلة القَرْنَبى بات يقرؤ نقاً سهلاً

## ما يطلب العذرة

والأجناس التي تريد العذرة وتطلبها كثيرة، كالخنازير، والدجاج، والكلاب، والجراد، وغير ذلك، ولكنها لا تبلغ مبلغ الجعل والرخمة. بعض ما يأكل الأعراب من الحيوان وقال ابن أبي كريمة: كنتُ عند أبي مالك عمرو بن كزكرة، وعنده أعرابيٌّ، فجرى ذكر القرنبي، قال: فقلت له: أتعرف القرنبي؟ قال: وما لي لا أعرف القرنبي؟ فوالله لربّما لم يكن غدائي إلا القرنبي يُحسحسُ لي، قال: فقلت له: إنها دويبة تأكل العذرة، قال: ودجاجكم تأكل العذرة. وقال: قال بعض المدنيين لبعض الأعراب: أتأكلون الحيات والعقارب والجعلان والخنافس؟ فقال: نأكل كلَّ شيء إلا أمَّ حُبين، قال: فقال المـدنيّ: لتَهـنِّـنِ أَمَّ الحـمـمِـنِ العـافـيـة. قال: وحدثنا ابن جريج، عن ابن شهاب، عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة، عن ابن عباس، أنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: من الدوابِّ أربع لا يُقتلن: النملة، والنحلة، والضُّرْد، والهدُّد.

## الخفاش

فأول ذلك أنّ الخفّاش طائر، وهو مع أنّه طائرٌ من عَرَضِ الطير فإنّه شديد الطَّيران، كثير التَّكْفِي في الهواء، سريع التَّقلُّب فيه، ولا يجوز أن يكون طُعْمه إلا من البعوض، وقوُّه إلا من الفراشِ وأشباه الفراش، ثمَّ لا يصيده إلاّ في وقت طيرانه في الهواء، وفي وقت سلطانه، لأنّ البعوض إنّما يتسلط بالليل، ولا يجوز أن يبلغ ذلك إلاّ بسرعة اختطافٍ واختلاس، وشدّة طيران، ولين أعطافٍ وشدّة متن، وحسن تأتٍ، ورفقٍ في الصَّيد، وهو مع ذلك كَلَّه ليس بذِي ريش، وإنما هو لحم وجلد، فطيرانه بلا ريش عجب، وكلما كان أشدَّ كان أعجب.

### من أعاجيب الخفّاش

ومن أعاجيبه أنّه لا يطير في ضوءٍ ولا في ظلمة، وهو طائر ضعيفُ قُوَى البصر، قليلُ شعاعِ العينِ الفاصِلِ من النَّاظِر، ولذلك لا يظهر في الظُّلْمَة، لأنّها تكون غامرة لضياء بصره، غالباً لمقدار قوَى شعاعِ ناظره، ولا يظهر نهاراً، لأنّ بصره ليضعف ناظره يلتمع في شدة بياض النهار، ولأنّ الشياء المتألئ ضارٌّ لعيونِ الموصوفين بحدّة البصر، ولأنّ شعاع الشمس بمخالفة مخرج أصوله وذهابه، يكون رادعاً

لشعاع ناظره، ومفترقاً له، فهو لا يبصر ليلاً ولا نهاراً، فلما علم ذلك واحتاج إلى الكسب والطُّعم، التمس الوقت الذي لا يكون فيه من الظلام ما يكون غامراً قاهراً، وعالياً غالباً، ولا من الضياء ما يكون مُعشياً رادعاً، ومفترقاً قامعاً، فالتمس ذلك في وقت غروب القُرص، وبقية الشفق، لأنه وقت هيّج البعوض وأشباه البعوض، وارتفاعها في الهواء، ووقت انتشارها في طلب أرزاقها، فالبعوض يخرج للطعم، وطعمه دماء الحيوان، وتخرج الخفافيش لطلب الطعم، فيقع طالبُ رزق على طالب رزق، فيصير ذلك هو رزقه، وهذا أيضاً مما جعل الله في الخفافيش من الأعاجيب.

## علاقة الأذن بنتاج الحيوان

ويزعمون أن الشُّك الآذان والممسوحة، من جميع الحيوان، أنها تبيضُ بيضاً، وأنَّ كلَّ أشرف الآذان فهو يلد ولا يبيض، ولا ندري لم كان الحيوان إذا كان أشرف الآذان ولد، وإذا كان ممسوحاً باض. ولآذان الخفافيش حجمٌ ظاهر، وشخص بيّن، وهي وإن كانت من الطير فإنَّ هذا لها، وهي تحبل وتلد، وتحيض، وترضع.

## ما يحيض من الحيوان

والناس يتقززون من الأرناب والضَّبَاع، لمكان الحيض.  
وقد زعم صاحب المنطق أَنَّ ذوات الأربع كُلَّهَا تحيضُ، على اختلافٍ  
في القلَّة والكثرة، والزَّمان، والحمرة والصفرة، والرقَّة والغلظ، قال:  
ويبلغ من ضنِّ أنثى الخفافيش بولدها ومن خوفها عليه، أنها تحمله  
تحت جناحها، وربَّما قبضت عليه بفيها، وربَّما أرضعته وهي تطير،  
وتقوى من ذلك، ويقوى ولدُها على ما لا يقوى عليه الحمام  
والشَّاهْمُزْك، وسباع الطير.

### معارف في الخفاش

وقال معمرُ أبو الأشعث: رَبَّما أَتَمَّتِ الخفافيشُ فتحمل معها الولدين  
جميعاً، فَإِنْ عَظُمَا عَاقَبَتْ بينهما.  
والخفَّاش من الطير، وليس له منقار مخروط، وله فمٌ فيما بين  
مناسر السَّبَّاع وأفواه البوم، وفيه أسنانٌ حداد صلاب مرصوفة من  
أطراف الحنك، إلى أصول الفك، إلا ما كان في نفس الخطم، وإذا  
قبضت على الفرخ وعضت عليه لتطير به، عرفت دَرَبَ أسنانها،  
فعرفت أي نوعٍ ينبغي أن يكون ذلك العض، فتجعله أَرْماً ولا تجعله  
عَصاً ولا تَيْبِياً ولا صَغُماً، كما تفعل الهَرَّة بولدها، فأبها مع ذربِ

أنيابها، وحادّة أظفارها ودقّتها، لا تخدش لها جلدًا، إلا أنها تُمسِكها ضرباً من الإمساك، وتأزم عليها ضرباً من الأزم قد عرّفته. ولكل شيءٍ حدٌّ به يصلح، وبمجاوزته والتقصير دونه يفسد. وقد نرى الطائر يغوص في الماء نهاره، ثم يخرج منه كالشعرة سلّتها من العيجن، غير مبتلّ الرّيش، ولا لثقيّ الجناحين، ولو أنّ أرفق الناس رفقاً، راهن على أن يغمس طائراً منها في الماء غمسَةً واحدة ثمّ خلّى سيربه ليكون هو الخارج منه، لخرج وهو متعجّن الرّيش، مُفسد النظم، منقوض التّأليف، ولكان أجود ما يكون طيراناً أن يكون كالجادف، فهذا أيضاً من أعاجيب الخفاش.

### من أعاجيب الخفافيش

ومن أعاجيبها تركها ذرى الجبال وبسيط الفيافي، وأقلاب النخل، وأعالي الأغصان، ودغل الغياض والرياض، وضدوع الصّخر، وجزائر البحر، ومجيئها تطلب مساكن الناس وقربهم، ثم إذا صارت إلى بيوتهم وقربهم، قصدت إلى أرفع مكان وأحصنه، وإلى أبعد المواضع من مواضع الاجتياز، وأعرض الحوائج.

### طول عمر الخفاش

ثمَّ الخَفَّاشُ بعد ذلك من الحيوان الموصوف بطول العمر، حتى يجوز في ذلك العُقَابَ والورشان إلى النسر، ويجوز حد الفيلة والأسد وحمير الوحش، إلى أعمار الحيات. ومن أعاجيب الخفافيش أنَّ أبصارها تصلح على طول العمر، ولها صبرٌ على طول فقد الطعم، فيقال إنَّ اللواتي يظهرن في القمر من الخفافيش المسنَّات المعمَّرات، وإنَّ أولادهن إذا بلغن لم تقو أبصارهنَّ على ضياء القمر. ومن أعاجيبها أنها تضخم وتجسم وتقبل الشحم على الكبر وعلى السن.

## القدرة التناسلية لدى بعض الحيوان

وقد زعم صاحب المنطق أنَّ الكلاب السلوقيَّة كلما دخلت في السنِّ كان أقوى لها على المعاظلة. وهذا غريبٌ جداً، وقد علمنا أنَّ الغلام أحدُّ ما يكون وأشبقُ وأنكحُ وأحرصُ، عند أوّل بلوغه، ثم لا يزال كذلك حتى يقطعه الكبر أو إصفاء أو تعرض لمرض آفة. ولا تزال الجارية من لدن إدراكها وبلوغها وحركة شهوتها على شبيه

بمقدارٍ واحدٍ من ضعف الإرادة، وكذلك عامَّتَهِنَّ، فإذا اكتهلن وبلغت المرأة حدَّ النَّصْفِ فعند ذلك يقوى عليها سلطانُ الشَّهْوَةِ والحرص على الباهِ، فإنما تهيج الكهلة عند سُكون هيج الكهل وعند إدبار شهوته، وكلال حدِّه.

## قول النساء في أشباهن في الخفافيش

وأما قول النساء وأشباه النساء في الخفافيش، فإنهم يزعمون أن الخفاش إذا عضَّ الصبي لم ينزع سنه من لحمه حتى يسمع نهيق حمار وحشيٍّ، فما أنسى فزعي من سِنَّ الخفاش، ووحشتي من قربه إيماناً بذلك القول، إلى أن بلغت. وللنساء وأشباه النساء في هذا وشبهه خرافاتٌ، عسى أن نذكر منها شيئاً إذا بلغنا إلى موضعه إن شاء الله.

## ضعف البصر لدى بعض الحيوان

ومن الطير وذوات الأربع ما يكون فاقد البصر بالليل، ومنها ما يكون سيِّءَ البصر، فأما قولهم: إِنَّهُ الفأرة والسُّتور وأشياءٌ أخرى أبصر بالليل، فهذا باطل. والإنسان رديء البصر بالليل، والذي لا يبصر منهم بالليل تسمّيه الفرس شَبْكُور وتأويلُهُ أَنَّهُ أَعْمَى لَيْلًا، وليسَ لَهُ في لُغَةِ الْعَرَبِ اسمٌ أَكْثَرُ مِنْ أَنَّهُ يُقَالُ لِمَنْ لَا يُبْصِرُ بِاللَّيْلِ بَعِينَهُ: هُدَيْد، ما سمعتُ إلا بهذا،



فَأَمَّا الْأَعْمَشُ فَمِائَةٌ السُّيَّةُ الْبَصْرُ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارَ جَمِيعًا.  
وإذا كانت المرأة مُعْرَبَةً الْعَيْنِ فكانت رَدِيَّةَ الْبَصْرِ، قيل لها: جَهْرَاءُ، وأنشد الأصمعيُّ في الشاء:

لا تَأَلُو إِذَا هِيَ أَظْهَرَتْ      بَصْرًا وَلَا مِنْ عَيْلَةٍ تُغْنِينِي  
وذكروا أَنَّ الْأَجْهَرَ الَّذِي لَا يَبْصُرُ فِي الشَّمْسِ، وَقَوْلُهُ لَا تَأَلُو أَي لَا  
تَسْتَطِيعُ، وَقَوْلُهُ: أَظْهَرَتْ صَارَتْ فِي الظَّهِيرَةِ، وَالْعَيْلَةُ: الْفَقْرُ، قَالَ:

يعني به شاة. وقال يحيى بن منصور، في هجاء بعض آل الصَّعِقِ:

ليتنى والمنى ليست بمغنية قتصاصك من ثأر الأحابيش  
أتتكحون مواليهم كما فعلوا بمضون كإغماض الخفافيش  
وقال أبو الشمقمق، وهو مروان بن محمد:

بالأهواز محزو      بنى سعدٍ وسعيدٍ  
كالخفاش لا أب      وقال الأخطل التغلبي:

غَبَرَ الْعَجْلَانَ حِينًا إِذَا بَكَى      عَلَى الرَّادِ أَلْقَتْهُ الْوَلِيدَةُ فِي  
الْكَسْرِ  
كَالْخُفَّاشِ يَدُلُّكَ عَيْنُهُ      مِنْ وَجْهِ لَيْمٍ وَمِنْ حَجَرٍ  
وقالوا: السحاة مقصورة: اسم الخفاش، والجمع سحاً كما ترى.

## لغز في الخفاش

وقالوا في اللُّغز، وهم يعنون الخفَّاش:

شعراءُ النَّاسِ لَا يُخْبِرُونَنِي      وَقَدْ ذَهَبُوا فِي الشُّعْرِ فِي كُلِّ  
مَذْهَبٍ  
إِنْسَانَ وَصُورَةَ طَائِفٍ يُرْبِعُ      وَأَنْيَابٍ تُعَلِّبُ

## النهي عن قتل الضفادع والخفافيش

هشامُ الدَّسْتَوَائِي قال: حَدَّثَنَا قَتَادَةُ، عَنْ زُرَّارَةَ بْنِ أَوْفَى، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو أَنَّهُ قَالَ: لَا تَقْتُلُوا الصَّفَادِعَ فَإِنَّ نَقِيقَهُنَّ تَسْبِيحٌ، وَلَا تَقْتُلُوا الْخَفَاشَ فَإِنَّهُ إِذَا خَرَبَ بَيْتَ الْمُقَدَّسِ قَالَ: يَا رَبِّ سَلْطَنِي عَلَى الْبَحْرِ حَتَّى أُغْرِقَهُمْ.

حماد بن سلمة قال: حَدَّثَنَا قَتَادَةُ، عَنْ زُرَّارَةَ بْنِ أَوْفَى، قَالَ: قَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَمْرٍو: لَا تَقْتُلُوا الْخَفَاشَ، فَإِنَّهُ اسْتَأْذَنَ فِي الْبَحْرِ: أَنْ يَأْخُذَ مِنْ مَائِهِ فَيُطْفِئُ نَارَ بَيْتِ الْمُقَدَّسِ حَيْثُ حَرِقَ، وَلَا تَقْتُلُوا الصَّفَادِعَ فَإِنَّ نَقِيقَهَا تَسْبِيحٌ.

قال: وَحَدَّثَنَا عَثْمَانُ بْنُ سَعِيدِ الْقُرَشِيِّ قَالَ: سَمِعْتُ الْحَسَنَ يَقُولُ: نَهَى رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنْ قَتْلِ الْوَطُوطِ، وَأَمَرَ بِقَتْلِ الْأَوْزَاعِ.

قال: وَالْخَفَاشُ يَأْتِي الرُّمَانَ وَهِيَ عَلَى شَجَرَتِهَا، فَيَنْقَبُ عَنْهَا، فَيَأْكُلُ كُلَّ شَيْءٍ فِيهَا حَتَّى لَا يَدَعُ إِلَّا الْقَشْرَ وَحْدَهُ، وَهُمْ يَحْفَظُونَ الرُّمَانَ مِنَ الْخَفَافِيشِ بِكُلِّ حِيلَةٍ.

قال: وَلِحُومِ الْخَفَافِيشِ مُوَافِقَةٌ لِلشَّوَاهِينِ وَالصُّقُورَةِ وَالْبُؤَازِي، وَلَكَثِيرٍ مِنْ جِوَارِحِ الطَّيْرِ، وَهِيَ تَسْمِنُ عَنْهَا، وَتَصِحُّ أَبْدَانُهَا عَلَيْهَا، وَلِهَا فِي ذَلِكَ عَمَلٌ مَحْمُودٌ نَافِعٌ عَظِيمٌ النَّفْعِ، بَيْنَ الْأَثَرِ، وَاللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى أَعْلَمُ.